

عند ابن جبران البستاني من خلال كتابه روضنا العفلاء ونزهة الفضلاء  
إعداد

عبد الكريم محمد بن محمد

إشراف الدكتور / عبد الرحمن صالح عبد الله

مقدمة إلى قسم التربية في كلية التربية  
بجامعة أم القرى كمنطوق تكميلي لنيل درجة  
الماجستير في ( تخصص التربية الإسلامية )

سنة ١٤٠٣ / ١٤٠٤ هـ

بجامعة أم القرى مكة المكرمة

تحرير: مُليك اللاش القادري الجيلاني

عفا الله عنه وعن شيوخه ووالديه والمؤمنين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نمودج رقم ( ۸ )

قرار باجازه رساله ماجستير في صيغتها النهائية

تقرر مایلسی :-

ففى / التربية الاسلاميـة .

توقيع أعضاء اللجنة

المشرف  
د. عبد الرحمن صالح عبد الله

64                     

رئيس قسم التربية

د . هاشم بک و حویلی



١٦٦٦ - ٢٠٢٠ - ١٠ - ٣

د. ماجد وسام الدين  
عنه  
رئيس قسم  
دراسة  
الاسلام

د. بشر حجاج  
عنه

د. عبد الرحمن صالح  
عنه

( ١ )

قَالَ تَعَالَى :-

( وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ  
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى  
صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ )

سَبَأُ ( ٦ )

وَقَالَ تَعَالَى :-

( وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ  
قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ، وَإِذَا ذُكِرَ  
الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ) .

الزُّمَرُ ( ٤٥ )

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمَا  
بِهِمَا ، كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّتِي ]

أُضْرِبُ الْحَاكِمَ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ

( إِنْ مَحَبَّةَ الْمَرْءِ الْمَكَارِمِ مِنَ الْأَخْلَاقِ ، وَكَوَاهِنُهُ سَفْسَافُهَا  
هُوَ نَفْسُ الْعَقْلِ )

ابن عباس - روضة العقلاء ص ٤

### ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: دور العقل في التربية الإسلامية عند ابن حبان البستي من خلال كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء

اسم الباحث : عبد الكريم محمد أحمد زهد .

التربية الإسلامية تربية ربانية لا تدانيها أية تربية أرضية ، فهي تربية لجسم الإنسان ، وروحه ، وعقله وهو موضوع هذه الدراسة .

ولقد حدد الباحث دراسته بفكر عالم من علماء الحديث ألا وهو ابن حبان البستي - من خلال كتابه روضة العقلاء - الذي صنغه ابن حبان ليبين أن التربية العقلية تعني التزام منهج الله ، والتحلي بكرم الصفات والابتعاد عن حقيرها .

ولقد ركز الباحث في دراسته على ثمرات العقل التطبيقية ، وبالتالي كانت الدراسة كمايلي :

فصل تمهيدي ناقش فيه الباحث أهمية الدراسة وأهدافها وحدودها وخطتها . ولقد عرّف الباحث في الفصل الأول بابن حبان البستي وكتابه روضة العقلاء ، وهذا دفعه إلى الحديث عن الواقع التربوي في القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه ابن حبان .

وتحدث الباحث في الفصل الثاني عن أهمية العقل ومكانته في الشريعة الإسلامية والتربية مبيناً حدوده ومجالاته ، وبعض الأمراض التي تصيبه وكيفية علاجها .

وتحدث عن التربية العقلية كمدخل تمهيدي لثمرات التربية العقلية ، أو الجانبي السلوكي فيها .

وفي الفصل الثالث ناقش الباحث دور العقل في التربية الفردية عند ابن حبان -

موءكدا على أهمية التربية العقلية في اكتساب العلم ، وفي توجيه العالم إلى الاتصاف بصفات سلوكية تتعلق بعلاقة المرء مع ربه ، ودور العقل في تحديد آداب العالم النفسية في تعامله مع نفسه ، وهي آداب خلقية يتصف بها العاقل .

وفي الفصل الرابع تحدث الباحث عن دور العقل في الآداب الاجتماعية عند ابن حبان وهي مجموعة من الآداب والأخلاق الإسلامية التي تنظم سلوك الأفراد في تعاملهم مع بعضهم البعض ، وكيف يمكن للتربية الاستفادة منها في بناء الأمة القوية المتأسكة . وفي هذا الفصل ناقش الباحث تنظيم الإسلام لعلاقة الأخوة والصداقة التي تسهم التربية العقلية بدور كبير في الحث على التزامها ، وكذلك ناقش دور التربية العقلية في محاربة بعض العادات الخبيثة الضارة بوحدة الجماعة وتربطها ، وناقش أيضا موضوع المسئولية ، وصفات المربي المسلم كمسئول عن تربية الأمة .

وختم الباحث دراسته بالتأكيد على أهمية التربية العقلية ، مبينا أنها تربية ربانية فريدة في منهجها ، إذ أنها تربط المرء بالله في كل لحظة من حياته ، ومن ثم أكد الباحث العلاقة الوثيقة بين الأخلاق والتربية العقلية حيث أن الأخلاق الفاضلة ثمرة من ثمرات العقل ، وبالتالي بين الباحث بعض القضايا المتصلة بالتفكير العقلي كقضية الطريقة العلمية ، والموضوعية ، والعلمانية .

وهذا البحث يؤكء لنا أهمية التربية العقلية في ربط المسلم بخالقه ، وفي تحكيم الشرع والعقل في السلوك ، فهو يقدم للمربين تصورا واضحا لعلاقة التربية العقلية بالأخلاق الحسنة .

(ح)

## الإهداء

إلى المجاهدين في سبيل الحق .  
إلى الذين يرفعون راية العلم .  
إلى العقول الحائرة في متاهات الشريعة الغربية  
إلى من يصبو إلى سيادة التربية الربانية  
إلى كل مسلم ومسلمة أخدم ثمرة هذا  
أجهد المتواضع .



تمهيد

الحمد لله الذي بنى لنا منار الدين ، ورسم لنا الصراط القويم ، وبعث لنا صفة خلقه محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - الذي رباه فأحسن تربيته وجعله "شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا" ودَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا<sup>(١)</sup> الأحزاب ٤٥-٤٦ ومنحنا العقل لتدبر آياته ، وألزمنا بأحكام كتابه ، والتهذيب بآدابه ، ووجه الخطاب لأولي الألباب لأنهم الذين يدركون مقاصده ، ورضي الله عن الصحابة والقرا به والتابعين والعلماء المهديين الذين كانوا خير دعاة ومربين بما أمرهم ربهم بقوله: ﴿ كُونُوا رِبَايِنِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ آل عمران / ٧٩ وساواهم بالمجاهدين فسي سبيله ليطلعنا على قيمة التعلم والتعليم ، فهذه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ) (١) وحذر من التفاعس عن تربية الأمة بقوله صلى الله عليه عليه وسلم: ( من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ) (٢)

---

(١) أخرجه البخاري / أنبياء ١٤٣/٤ - والترمذي / علم ٤٠/٥ ( ٢٦٦٩ ) وقال حسن صحيح .

(٢) أخرجه أبو داود / علم ٣٢١/٣ - والترمذي / علم ( ٢٦٤٩ ) ٢٩/٥ وحسنه . وابن ماجه بإسناد ضعيف من طريق يوسف بن إبراهيم / علم ( ٢٦٤ ) ٩٧/١ .

أما بعد :

فقد حفل كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - بأعظم فكر تربوي عرفته الإنسانية ، وتربى عليه أجيال من أئمة العلم والأدب ، ورفعوا به راية الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها . . . مادفع العالم الغربي إلى إرسال أبنائه للتعلم في معاهد المسلمين ومدارسهم وشهد كثير منهم لعلمائنا بالفضل ، وكانت النهضة العلمية الحديثه امتدادا لعلوم الشرق المسلم الذي حافظ على دينه وأحكام شريعته أحقابا من الزمن . وبعمر فترة عصية على الأمة الإسلامية تدهورت أحوالها وساءت بقدر ما ابتعدت عن منهج الله ، وفي هذه الفترة تقدمت الأبحاث في الغرب في جميع المجالات والعيادين العلميه ، وتقدمت بالتالي أبحاث التربية فأخذ المسلمون يرسلون أبناءهم لتلقي العلوم في جامعات ومعاهد أوروبا وأمريكا ، وكثيرا ما نجد ذلك بالنسبة لدراسة العلوم التربوية مما أدى إلى انتقال النظريات التربوية المختلفة إلى البلاد الإسلامية ، وظهر التقصير في التزام التربية الربانية فكان ذلك انتصارا للفكر المادي غير الإسلامي ، وهذا الأمر يدعونا إلى العودة إلى منابع الفكر الإسلامي الأصيل لننهل منها ، ونعمل على إبراز تربيتنا القائمة على العدل والحق الأزليين ، ولننشر هذه التربية الحققة بين الخلق جميعا .

وخير من نستعين بفهمهم لهذا الفكر هم علماء السنه الذين ارتبطوا بها في كل قول أو عمل ، لقربهم من كتاب الله ، وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ووجد الباحث في فكر ابن حبان البستي منهجا تربويا عظيما - معتمدا على الكتاب والسنه يحث على استعمال العقل في التربية على الفضائل الخلقية والآداب السامية التي جاء بها الإسلام . فتناوله الباحث بالدراسة المستفيضة ليظهر دور العقل في التربية الإسلامية . إن أن هذا الموضوع غالبا ما نجده بحث من وجهة نظر فلسفية بعيدة عن الشرع ، ووجهة النظر هذه لا تصل إلى درجة الحكم الرباني ، ولقد أمرنا الله برد الأمور المتنازع فيها إليه وإلى شرعه ، قال تعالى : **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ**

فِي شَيْءٍ فَرَدَّوْهُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ إِلَى الرَّسُولِ \* النساء / ٥٩ . وحكم الله ورسوله هو العدل الذي يفصل في أي أمر ، وهذا الأمر دفعني إلى بذل كل ما في وسعي من الجهود والطاقة لإخراج هذا البحث بصورة مقبولة .

ورغم ما يبذل المرء من جهود إلا أنه لم يبلغ الكمال ، فما يكتبه في الليل قد يستحسن غيره في الغد ، فيقول لو أنني قدمت أو أخرت في كذا ، لكان أفضل . وكذلك لا يخلوا إنسان من الخطأ إذ أن كل الناس خطاؤون ، والمعصوم من عصم الله تعالى .

هذا فإن أصبت وجه الحق فمن فضل الله وكرمه ومنه علي وعلى العالمين ، وإن أخطأت في أمر فمن نفسي ومن الشيطان أعاذنا الله وإياكم منه ، والفضل حينها لمن يجنبني الخطأ ، قال تعالى : \* وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا \* الأحزاب / ٥ .

أدعوا الله أن أوفق في بحثي ، وأن يكون فيه من الخير ما يجعله قدوة لأبحاث لاحقة مني ومن زملائي الذين يحبون لشرع الله أن يهيم على حياتنا جميعهم —  
والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل .

\* الباحث \*

## شكر وتقدير

( رَّبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَنْدِخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ) النمل / ١٩ ، أحمد الله وأشكركه على إسباغ نعمته علي بأن جعلني أنجز هذا العمل المتواضع الذي أرجو أن أنال به رضاه .

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى كل من قدم إلي يد العون والنصح والإرشاد في بحثي هذا وإلى كل من علمني حرفاً أو هذب في خلقاً ، وأخص بالذكر الأخ الغاضل الدكتور / عبد الرحمن صالح عبد الله الذي تحمل معي المشاق في إشرافه على الرسالة ولما بذل من جهد متواصل دون كلل أو ملل مؤثراً خدمة هذا البحث على أعماله الأخرى . . فمهما شكرته فلم أوفيه حقه وأحتسب أجره على الله الذي لا يضيع أجر المحسنين .

كما أشكر المهتمين بالتربية الإسلامية في شتى البقاع من العالم لعطيتهم على تأصيل تربيتنا القويمة وربطها بمنهج الله وأدعوا الله أن يجعل علي هذا إسهاماً في أداء هذه الأمانة وأن يعيننا لنيل رضاه إنه سميع مجيب .

فهرست المومضات

الرقم	الموضوع	الصفحة
١ -	آية وحديث	١
٢ -	ورقة الإجازة	ب
٣ -	ملخص الرسالة	ت
٤ -	العنوان	ج
٥ -	الإهداء	ح
٦ -	تمهيد	خ
٧ -	شكر وتقدير	ر
٨ -	فهرست الموضوعات	ز
٩ -	الفصل التمهيدي	١
١٠ -	مقدمة الفصل	٢
١١ -	سبب اختيار الموضوع	٣
١٢ -	هدف الدراسة	٣
١٣ -	تحديد الدراسة وأهميتها	٤
١٤ -	خطة الدراسة	٦
١٥ -	الفصل الأول : التعريف بابن حبان وكتابه روضة العقلاء .	٩
١٦ -	مقدمة الفصل .	١٠
١٧ -	ترجمة ابن حبان البستي	١٠
١٨ -	نسبه	١٠
١٩ -	مولده	١١
٢٠ -	تفاعله مع رجال الفكر في عصره	١٢
٢١ -	تلاميذه	١٣
٢٢ -	آثاره	١٩

الرقم	الموضوع	الصفحة
٢٣	ابن حبان في آخريات حياته ووفاته	٢٣ -
٢٥	التعريف بكتاب روضة العقلاء	٢٤ -
٢٥	الوصف الخارجي	٢٥ -
٢٥	نسبته إلى مؤلفه	٢٦ -
٢٨	أبواب الكتاب	٢٧ -
٢٩	أساليب تنمية العقل عند ابن حبان	٢٨ -
٣٧	الواقع التربوي في عصر ابن حبان	٢٩ -
٥٢	خاتمة الفصل .	٣٠ -
٥٣	الفصل الثاني : العقل ومكانته في الشريعة الإسلامية ، والتربية	٣١ -
٥٤	مقدمة الفصل	٣٢ -
٥٥	مفهوم العقل	٣٣ -
٥٥	في اللغة العربية	٣٤ -
٥٦	في القرآن الكريم	٣٥ -
٥٨	في السنة	٣٦ -
٥٩	عند علماء المسلمين حتى عصر ابن حبان	٣٧ -
٦٥	أهمية العقل ومكانته في الإسلام	٣٨ -
٦٥	أهمية العقل في الشرع على أنه منهاط التكليف .	٣٩ -
٦٨	حدود العقل ومجالاته	٤٠ -
٧٠	النفس البشرية .	٤١ -
٧٢	الكون .	٤٢ -
٧٤	التاريخ .	٤٣ -
٧٨	أمراض العقل التي حددها القرآن الكريم	٤٤ -

الرقم	الموضوع	الصفحة
- ٤٥	الجهل	٧٩
- ٤٦	التقليد	٨٢
- ٤٧	المكابرة	٨٤
- ٤٨	الخلط بين الاقتران والسببية	٨٦
- ٤٩	الاكتفاء بقليل العلم دون كثيره	٨٧
- ٥٠	النظرة الجزئية إلى المعرفة	٨٨
- ٥١	تربية العقل	٨٩
- ٥٢	طرق التربية العقلية	٩١
- ٥٣	تحديد مجال النظر العقلي	٩١
- ٥٤	وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي	٩٤
- ٥٥	دعوة العقل إلى التأمل في سنن الكون	٩٤
- ٥٦	العقل باعتباره وسيلة من وسائل المعرفة	٩٦
- ٥٧	خاتمة الفصل	٩٩
- ٥٨	الفصل الثالث : مظاهر العقل السليم في الفرد عند ابن حبان	١٠٠
- ٥٩	مقدمة الفصل	١٠١
- ٦٠	المظاهر العلمية للعقل عند ابن حبان	١٠٤
- ٦١	المظاهر الروحية للعقل عند ابن حبان	١١٥
- ٦٢	تقوى الله	١١٦
- ٦٣	التوكل على الله	١١٨
- ٦٤	الصبر على الشدائد	١٢١
- ٦٥	المظاهر النفسية والأخلاقية للعقل عند ابن حبان	١٢٧
- ٦٦	الصدق	١٢٧



الرقم	الموضوع	الصفحة
٦٧ -	الصمت وحفظ اللسان .	١٢٩
٦٨ -	الرفق والحلم .	١٣٤
٦٩ -	الحياء .	١٣٨
٧٠ -	التواضع .	١٤١
٧١ -	القناعة .	١٤٤
٧٢ -	اعتزال الناس .	١٤٦
٧٣ -	الترويح عن النفس بالمزاح .	١٤٨
٧٤ -	خاتمة الفصل .	١٥١
٧٥ -	الفصل الرابع : مظاهر هيمنة العقل السليم في الجماعة	١٥٣
٧٦ -	مقدمة الفصل	١٥٤
٧٧ -	دور العقل في تهذيب أخلاق الجماعة :	١٥٤
٧٨ -	تعلم الأدب ولزوم الفصاحة .	١٥٤
٧٩ -	التحبيب إلى الناس .	١٥٧
٨٠ -	منع التهاجرين المسلمين .	١٦٠
٨١ -	البشر والتبسم للناس .	١٦٢
٨٢ -	النصح لجميع البشر .	١٦٤
٨٣ -	كتم السر	١٦٧
٨٤ -	جمع المال بالطرق المشروعة لمن يوفى حقه	١٧٥
٨٥ -	الكرم وإقامة المروءات	١٧٢
٨٦ -	السخاء .	١٧٤
٨٧ -	قضاء حوائج الناس .	١٧٦
٨٨ -	اعطاء السائل .	١٧٨

الرقم	الموضوع	الصفحة
٨٩ -	استضافة الناس	١٨٠
٩٠ -	المغفوع عن المسيء	١٨١
٩١ -	المجازاة على الصنائع	١٨٣
٩٢ -	دور العقل في الصداقة والأخوة	١٨٦
٩٣ -	تعريف الصداقة وأهميتها	١٨٧
٩٤ -	صفة الأصحاب	١٨٩
٩٥ -	المواخاة وعدم المعاداة	١٩٢
٩٦ -	الوفاء	١٩٦
٩٧ -	زيارة الإخوان	١٩٨
٩٨ -	قبول الهدية من الأصحاب	٢٠٠
٩٩ -	قبول الاعتذار	٢٠٣
١٠٠ -	عدم قبول قول الوشاة	٢٠٤
١٠١ -	دور العقل في محاربة العادات السيئة	٢٠٧
١٠٢ -	الحرص على الدنيا	٢٠٨
١٠٣ -	الطمع	٢١٠
١٠٤ -	التجسس وسوء الظن	٢١١
١٠٥ -	الحسد والبغضاء	٢١٤
١٠٦ -	الكذب والفجور	٢١٦
١٠٧ -	سألة الناس	٢١٩
١٠٨ -	الغضب	٢٢١
١٠٩ -	الكبر	٢٢٣
١١٠ -	دور العقل في تحمل المسئولية	٢٢٦
١١١ -	المسئولية وأهميتها .	٢٢٦
١١٢ -	الصفات الواجب توفرها في المعلم	٢٢٨
١١٣ -	خاتمة الفصل	٢٣١
١١٤ -	الخاتمة .	٢٣٢
١١٥ -	فهرست الآيات الواردة في البحث	٢٣٧
١١٦ -	فهرست الأحاديث الواردة في البحث	٢٤٩
١١٧ -	المراجع العربية	٢٥٦
١١٨ -	المراجع الأجنبية	٢٨١

# الفصل التمری

## أولا : مقدمة الفصل

يعيش الإنسان في يومنا هذا صراعا دائما بين الحق والباطل ، جعله في حيرة من أمره ، وأرداه فريسة الأهواء والضلالات ، وقلبت له الأمور وما ذلك كله إلا لتنكبه عن الجادة التي أنزلت إليه من يعلم سره ونجواه ، وما يسعده وما يشقيه ، فاختار لنفسه طرقا شتى معتمدا على عقله الذي جعله الوسيلة الرئيسية للمعرفة دون وعي لقصوره واحتياجه إلى الوسائل الأخرى .

والتربية التي تنتج الإنسان العابد لله تلازمه منذ تكوينه فهو في أطوار خلقه في رحم أمه يسبح بحمد ربه ويقدر له . قال تعالى : **"وَأَنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ" (الإسراء / ٤٤) ، وقال : "ألم تر أَنَّ اللَّهَ يَسْبِيحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآيَةُ النُّور / ٤١** .

ويبدو لكل ناظر في حياة البشر أن التربية عماد الحياة ، وأن الوعاة إذا ما حل بهم خطب رجعوا إلى نظام تربيتهم ، وفي الإسلام تهى التربية السعادة والأمن من عناء الدنيا والآخرة بمراعاتها مطالب الدارين .

لقد أعز الله الإسلام بمن تخرج من مدرسة النبوة وفتح عليهم الأرض بنعيمها وملكهم مشارقها ومغاربها وصدق فيهم قول الله : **"كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" (آل عمران / ١١٠)** بالتربية الربانية أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر . . . وأزلنا التبعية التربوية واتباع أهوائنا حتى أصبحنا غناء أكفأ السيل سيمانسا الجهل والاستعباد لمن هم أدنى منا وافترقت كتاباتنا إلى الأصالة .

لقد أصبحت المعرفة العقلية في مجتمعنا المعاصر تقوم على الظن ، وهذا تتعارض مع شريعتنا النقية التي تراعي كل صغيرة وكبيرة وهي بذلك تتعارض مع ما يوجب العقل ومع أفكار المربين من السلف الصالح الذين جعلوا كتاب الله حجتهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم - قدوتهم لذا فإنه لا يليق بعاقل أن يطرح جهودهم وآراءهم جانبا والبهتان وراء كل فكر مادي غث لا يناسبنا لتعارضه مع طبيعة ديننا . لذا فإنني أعود إلى الفكر الإسلامي الأصيل لأقدم دراسة عن دور العقل

في التربية الإسلامية عند علم من أعلام الإسلام شهد له أهل الدراية بالحدس وكثرة الحفظ ومعرفة الرجال والعلم والعدل والورع والتقوى . إنه أبو حاتم محمد ابن حبان البستي صاحب الصحيح من خلال كتابه روضة العقلاء ونزهة الفضلاء .

### ثانيا : سبب اختيار الموضوع

لقد اهتمت جميع النظريات التربوية في شتى العصور بالعقل وتباين الاهتمام في درجته من مجتمع لآخر ومن وقت لآخر ، وغالى البعض في العناية به حتى عبده وقدسه . بينما بالغ آخرون في إهماله وإغفاله . وهذا الإفراط والتفريط في إدراك حقيقة العقل هو الذي حفز الباحث على التنقيب عن موضوع يعين على تشخيص الداء ووصف الداء . وكتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء يستند إلى كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وهذا ما يجعله جديرا بتمثيل الإسلام في منهجه وأبن حبان قد ألف هذا الكتاب ليرد على الذين يطلقون العقل على الظن والشهوات والنفاق والتلاعب بالألفاظ . وقد استخرت الله - عز وجل - حتى شرح صدرى لا نتقائه من بين العديد من الموضوعات لأن فيه شفاءا وميزانا لضبط سلوك الأفراد والجماعات لذا فإننى أتقرب إلى الله بالدعاء أن يكون عوناً لي على خدمة هذا العمل الجليل وإخراجه كي يستفيد منه طلبة العلم ويعملوا على تطبيق ما جاء فيه من حقائق ومبادئ .

### ثالثا : هدف الدراسة

لهذه الدراسة هدف عام يتحدد في إبراز وتوضيح دور العقل في التربية الإسلامية - عند ابن حبان البستي من خلال كتابه روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - تلك التربية التي يعطينا تطبيقها قوة ومنعة وتقدم وحضارة سامية وسعادة أبدية .

ويتضمن هدف الدراسة العام الأهداف الخاصة التالية :

أ - توضيح أهمية العقل وحدوده في فكر ابن حبان لنقدم تصورا واضحا يوجه التفكير لدى المتعلمين .

ب - توضيح مفهوم التربية الإسلامية المثالية وأثر العقل في تطبيقها .

ج - التعرف على دور العقل في تربية الفرد المسلم على الفضيلة ، ونقدم ذلك

- في مناهجنا الدراسية لنصنع قدوة صالحة في كل ميدان .
- د - التعرف على دور العقل في تربية الجماعة القوية المتأسكة من خلال روضة العقل .
- هـ - غرس الاتجاه الصحيح نحو العقل خاصة وأن المجتمعات المعاصرة تسخط بين اتباع الهوى والعقل .
- و - التحذير من الآفات التي تصيب العقل فتضعفه أو تشل حركته .

#### رابعاً : تحديد الدراسة وأهميتها

- لقد بحث العقل من قبل علماء مسلمين وغير مسلمين في الماضي والحاضر وكرر الحديث عنه إلا أن أحداً لم يتناول موضوع العقل عند ابن حبان البستي بالدراسة والبحث . هذا ويدرس الفكر التربوي بطرق مختلفة منها :
- ( ١ ) دراسته في حقبة زمنية - كالتربية في القرن الرابع الهجري ، والتربية في عصر الماليك وغيرها .
- ( ٢ ) دراسته في قضايا - كالحرية والتربية - والديمقراطية والتربية ، والمعرفة ، وغيرها .
- ( ٣ ) دراسته عن طريق فكر الربيين - كالتربية عند الشاطبي ، والتربية عند القاسبي وغيرها ، وفي هذه الحالة قد تتناول الدراسة جميع جوانب الفكر التربوي عند الربيين ، أو جانباً واحداً منها ، وتحدد مشكلة دراستنا في : دراسة دور العقل في التربية الإسلامية عند ابن حبان البستي من خلال كتاب روضة العقل ونزهة الفضلاء .

ويرى الباحث أن الدراسة الحالية تنطوي على أهمية بالغة . وتتبع أهميتها في أنها تزودنا بصورة حية وواقعية لما ينبغي أن يكون عليه سلوكنا . وإذا أردنا أن نكون أكثر تحديداً فإن هذه الدراسة تهتم كلاً من مخططي المناهج والمشرفين التربويين والمعلمين والطلاب فالدراسة الحالية :

- ١ - تقدم لمخططي المناهج التصور لما نريد من مؤسساتنا التعليمية أن تزرعه

من فضائل في نفوس الأبناء وترسم صورة للمصغات المراد تغييرها ليتمسكوا على تحقيقها في مناهجهم .

ب - تعين الموجهين والمشرفين في حقل التربية والتعليم على رؤية أسس التربية الإسلامية وأهدافها وأصل العلاقات والتعامل ويصبح توجيه العملية التربوية أكثر سهولة عندما يدرك المشرفون التربويون الأهداف التي تسعى التربية إلى تحقيقها والمعوقات التي تقود إلى ركود العملية التربوية .

ج - تساعد المعلم على معرفة صفات القدوة الصالحة في ميدان العقل وتجعله يحاول تلمس خطاها ، واتباع ما يستطيع لتحقيق هذه القدوة في نفسه وتلاميذه من بعده .

د - تقدم للتلميذ في المدرسة صورة صادقة عن دور العقل في الإيمان بالله ، ومعرفة الحكمة من خلق الإنسان ، والكون وطبيعة العلائق بينها . وهي تسهم في توجيه المتعلمين إلى العلم والتعلم ، والسعي وراء تحصيل أفضل العلوم .

## خامساً : خطة الدراسة

### الفصل الأول

#### التعريف بابن حبان وكتابة روضة العقلاء

ماد منا سنتحدث عن منهج الإسلام من خلال فكر ابن حبان ، وكتابه روضة العقلاء ، فلا بد لنا من تعريف القاريء به ، لإبراز منهجه وفكره . . لأن الحديث عن المجهول يفقده الكثير من أهميته ، ففي رواية الحديث لا تقبل رواية المجهول ، وخبره ضعيف حتى يعرف ، فكيف برأي الإسلام ومنهجه إن أخذناه من مجهول .  
إن فلان فلا بد من تعريف وافٍ لهذا العلم وكتابه - لا ييخس فيها حقاً من حقوقه .  
وأترجم له بالطريقة الآتية : التعريف بنسب ابن حبان ومولده وتفاعله مع رجـال الفكر في عصره ممن تتلمذ عليهم ، وتلاميذه وآثاره ، ونبذة عن محنته في آخر حياته ووفاته .

ثم أنتقل إلى التعريف بكتاب روضة العقلاء من حيث المواصفات الخارجية لـه ، وتحقيق نسبته إلى ابن حبان ، وأبواب الكتاب ، وأساليب تنمية العقل عند ابن حبان والواقع التربوي في القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه ابن حبان .

### الفصل الثاني

#### العقل ومكانته في الشريعة الإسلامية والتربية

#### حتى عصر ابن حبان

هذا الفصل مدخل شرعي وتربوي يقرب للقاريء مفهوم ومكانة الأمر الذي نريد إيصاله إليه . . لما فيه من تيسير إدراك المقصود ، ويزيد البحث استنارة ووضوحاً . ليكون حديثنا فيما بعد مقبولا بلا غرابة ولا ملل . فهذا الفصل يحدد مكانة البحث ويوثقه ، ويهون السير فيه ، ويعطينا نظرة مسبقة عن الموضوع .



ونوضح في هذا الفصل الآتي : مفهوم العقل في اللغة العربية والقرآن الكريم والسنة ومفهوم العقل عند علماء المسلمين حتى عصر ابن حبان . وكذلك نوضح أهمية العقل ومكانة في الإسلام على أنه مناط التكليف ثم نبين حدوده ومجالاته . التمثلة في دراسة : النفس البشرية والكون والتاريخ ، ثم ننقل إلى الحديث عن أمراض العقل التي حذر بها القرآن الكريم ومنها الجهل ، والتقليد ، والمكابرة ، والخلط بين الاقتران والسببية والاكتفاء بقليل العلم والنظرة الجزئية إلى المعرفة . ثم نناقش تربية العقل عن طريق دراسة طرق التربية العقلية والتي منها : تحديد مجال النظر العقلي ، ووضع المنهج الصحيح للنظر العقلي ، ثم دعوة العقل إلى التأمل في سنن الكون ، وتحدث عن العقل كوسيلة للمعرفة .

### الفصل الثالث

#### مظاهر العقل السليم في الفرد عند ابن حبان

ونبحث في هذا الفصل أهمية العقل وأثره في العلم كما نبرز الآداب الروحية والنفسية للعالم . المستمدة من الشرع ويأبى العقل السليم مخالفتها ، ويقود صاحبه للزومها . ثم نتعرض إلى السمات التي تزين المرء وترفع من قدره ، وأثر العقل في التوجيه إلى التحلي بها ورفض أضدادها .

وقد منا دور العقل في التربية الفردية على دوره في التربية الاجتماعية لأن علاقة العبد بربه ونفسه وأخلاقه وسلوكه الشخصي تؤثر بصورة فعالة في تعامله مع الآخرين وأن الجماعات تتكون من أفراد . . ولنا بعض الإضافات فيما نراه مناسباً لمعالم يذكره المؤلف ، وندرس في هذا الفصل المظاهر العلمية للعقل عند ابن حبان ، والمظاهر الروحية للعقل وفيها تقوى الله ، والتوكل على الله والصبر على الشدائد .

ثم ندرس في هذا الفصل المظاهر النفسية والأخلاقية للعقل عند ابن حبان وفيها الصدق ، وحفظ اللسان ، والرفق والحلم ، والحياء ، والتواضع ، والقناعة ، واعتزال الناس ، والترويح عن النفس بالمزاح .

## الفصل الرابع

### مظاهر هيمنة العقل السليم في الجماعة عند ابن حبان

نركز في هذا الفصل على الصفات التي ينبغي أن تتصف بها الجماعة المسلمة .  
وتسيطر على تعاملها داخل المجتمع المسلم ودور العقل النّير في شرحها ،  
وتوضيحها وترسيخها والعمل على تجسيدها في واقع عملي ناتج عن اقتناع لا عن  
إكراه ، والأُمُور التي نبحثها في هذا الفصل هي : دور العقل في تهذيب  
أخلاق الجماعة من تعلم للأدب ولزوم الفصاحة ، والتحبب إلى الناس ومنع التهاجر  
بينهم ، والبشر والتبسم والنصح للمسلمين وكنم أسرارهم ، وجمع المال بالطريق  
المشروعة مع أداء حقه ، والكرم وإقامة المروءات ثم نناقش دور العقل في الصداقة  
والأخوة فنعرف الصداقة ، ونبين صفة الأصحاب ، والتي منها المؤاخاة والوفاء ،  
والمزاورة والمهاداة وقبول الاعتذار ، وعدم قبول الوشاية من المفرضين .  
ونناقش دور العقل في محاربة العادات السيئة فالحرص على الدنيا والطمع ،  
والتجسس والحسد والكذب ومسألة الناس ، والغضب والكبر . ثم نناقش  
دور العقل في تحمل المسؤولية مبينين أهمية المسؤولية والصفات الواجب توفرها  
في المعلم المسلم .

## الخاتمة

ويتحدث الباحث فيها عن المنهج الذي اتبعه ، ويعطي صورة موجزة عن  
موضوع الدراسة التي قام بها .

# الفصل الأول

التعريف بابن حبان  
وكتابه روضة الغفلاء

## ( أ ) مقدمة الفصل

هذه الدراسة تتطلب منا التعريف بابن حبان وشيوخه وتلاميذه ورحلاته وإنتاجه العلمي الذي رفع قدره وكتبه مع ذوي الفضل من جهابذة العلماء، وكذلك لابد لنا من التعريف بالكتاب ونسبته إلى مؤلفه ومنهجه في تصنيفه، ويلزمنا أيضا الحديث عن التربية في الفترة التي عاش فيها، وعندما ندرس ذلك بالنسبة للإمام الفاضل ابن حبان نستطيع أن نعطي صورة واضحة لأهل زماننا وأهل كل زمان عن فكره وأهميته في اتباع السلوك الإسلامي الرشيد .

## ( ب ) ترجمة ابن حبان البستي ( ١ )

١ - نسبه :

هو : أبو حاتم محمد بن حبان ( ٢ ) بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد سعيد ( ٣ ) بن شهيد بن هدية ( ٤ ) بن مرة بن سعيد بن يزيد ابن مرة بن زيد بن عبد الله بن داود بن داود .

- ( ١ ) ترجم له : الزركلي ، الأعلام : ٧٨ / ٦ - الصفدي ، الوافي بالوفيات : ٣١٧ / ٢ - السمعاني ، الأنساب : ٢٢٥ / ٢ - وابن العماد ، شذرات الذهب : ١٦ / ٣ - السبكي ، طبقات الشافعية : ١٣١ / ٣ - ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ٣٤٢ / ٣ - ابن كثير ، البداية والنهاية : ٢٥٩ / ١١ - ابن الأثير ، اللباب : ١٥١ / ١ - الذهبي : سير أعلام النبلاء : ٣ / ١٠ ص ٣٣١ - ٣٣٦ - وفي ، تذكرة الحفاظ : ٩٢٠ / ٣ - وفي ، ميزان الاعتدال : ٥٠٦ / ٣ - وابن حجر ، لسان الميزان : ١١٢ / ٥ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٤١٥ / ١ .
- ( ٢ ) لم يذكر ياقوت الحموي ( أحمد بن حبان ) قبل ذكره معاذ وأجمع المصادر على إثباته . ينظر ، معجم البلدان : ٤١٥ / ١ .
- ( ٣ ) لم يذكر الذهبي في السير ( بن سعيد ) وأثبتته غيره ، ينظر ٣ / ١٠ ورقه ٣٣١ .
- ( ٤ ) قال ياقوت : ( شهيد بن هدية ) وهو كما أثبتناه ينظر ، سير أعلام النبلاء : ٣ / ١٠ ص ٣٣١ من المخطوطة ،

ابن مالك بن حنظلة (١) بن مالك بن زيد بن سادة بن تميم (٢) بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر (٣) التميمي الداري البستي .

ومست : مدينة من إقليم سجستان تقع بين هراة و غزنة ، وتبعد عن كابل ما يزيد عن أربع مائة وخمسين كيلومترا وهي ذات حسن و خضرة و أنهار كبيرة و مساحسة شاسعة و تسمى : كرم سير بمعنى - النواحي الحارة المزاج - وكانت موطننا للعلم و الثقافة الإسلامية لاهتمام المسلمين بنشر العلم و الأدب و صنوف المعرفة و من علمائها : الحافظ - أبو سليمان الخطابي صاحب معالم السنن - و غريب الحديث و الأديب أبو الفتح علي بن محمد البستي و غيرهما (٤)

من هذا يتضح أن ابن حبان أفغاني الموطن ، عدناني الأصل ، و يبدو أن أحد أجداده قدم مع المجاهدين المسلمين الذين قاموا بفتح الهند في القرن الأول تحت قيادة محمد بن القاسم الثقفي و تخلف في تلك الربوع من البلاد المسماة بلاد ( الطتان ) و كان أبوحاتم من حفدته . (٥)

## ٢- مولده :

لقد ترجم لابن حبان الكثير من المؤرخين ، لكننا لم نعثر على أي مصدر من المصادر التي تذكر تاريخ مولده ، إلا أن الحافظ الذهبي ذكره على التقريب

- 
- (١) سقط من سير أعلام النبلاء (مالك) قبل حنظلة وهو مشتب عند غيره . ينظر ، معجم البلدان : ٤١٥/١
  - (٢) لم يذكر الذهبي في السير ما بين تميم و التميمي و اثبتتها ياقوت في المعجم ينظر نفس الموضع السابق .
  - (٣) ولم يذكر ياقوت نسبة ابن حبان إلى دارم و ذكرها الذهبي نفس الموضع السابق .
  - (٤) ابن الأثير ، اللباب : ١٥١/١ ، وكذلك السمعاني ، الأنساب : ٢٢٥/٢
  - (٥) الهيثمي ، موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان - مقدمة الكتاب بقلم محب الدين الخطيب : ص ٥

فقال : ولد سنة بضع وسبعين ومائتين (١) .

### ٣ - تفاعله مع رجال الفكر في عصره :

كان ابن حبان رجلا مجاهدا في سبيل العلم ، لم يترك بابا ولا طرقة ونهل من علومه وكان طموحا حيث شق البلاد وعبر الصحاري ، وقطع السافات الطويلة بحثا عن المعرفة ما جعل كبار العلماء عندما يذكرونه يجلونه ، ومنه ما قاله الذهبي : الإمام العلامة الحافظ شيخ خراسان أبو حاتم (٢) .

ولقد ارتحل ابن حبان في العالم الإسلامي - مابين الشاش (٣) شرقا ، والاسكندرية غربا ، وزار مدنه وقراء وحظي بملاقة أعلامه ، وأثمة العلم فيه فكان من أوعية العلم في معظم فروع ، ولعله في بداية رحلته سنة ٣٠٠ هـ اتجه شرقا إلى الصفد (٤) وبخارى \* فلقي علماء أجلاء ثم اتجه فيما بعد إلى البلاد الإسلامية الأخرى ، فتنقل في بلاد مرو (٥) ،

- 
- (١) الذهبي / سير أعلام النبلاء ٣/١٠ ورقة ٣٣١ .  
(٢) المرجع السابق ٣/١٠ ورقة ٣٣١ .  
(٣) الشاش قرية فيما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان على حدود الصين وأهلها شافعيون . ينظر ياقوت / معجم البلدان ٣/٣٠٨ .  
(٤) الصفد جزء من الامبراطورية الفارسية القديمة بين نهري سيحون وجيحون ، من بخارى إليها سبع مراحل والمرحلة ثلاثة فراسخ ونصف والفرسخ ثلاثة أميال أي ٥٥٤٠ مترا - وهي ما بين بخارى وسمرقند . ينظر / الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٢٣ ، والحميري / السوروس المعطار ص ٣٦٢ .  
\* هذا وإن مقاله محب الدين الخطيب من أن ابن حبان اتجه هنالك خوفا من المحنة لا أساس له ، وسنبينه بعد الحديث من شيوخه - سوار الظمان ص ٧ .  
(٥) تقع في واحة بصحراء كاراتسوم السوفياتية ، بجمهورية تركمان على نهري مرجب وتسمى مرجيانا ، والمدينة الجديدة أقيمت بجوار المدينة القديمة ، وتسمى الآن بيرام علي . ينظر / الموسوعة العربية الميسرة ص ١٦٨٨ .

ونساء (١) ، ونيسابور (٢) ، وأرغيان (٣) ، وجرجان (٤) ، والري (٥) ، ثم الكرخ (٦) وعسكر مكرم (٧) ، وتستر (٨) ، وجند نيسابور (٩) ، والأهواز (١٠) ، والأبلسة (١١) فالبصرة وبغداد ، ثم في موسم من مواسم الحج انتقل إلى الكوفة ، وسار مع حجاج العراق إلى مكة ، ثم زار بلاد الشام وفلسطين ومصر ، ثم عاد إلى العراق فدخل سامراء (١٢) ، والموصل وبلاد كثيرة ، وفي كل مكان دخله كان له شيوخ سمع منهم

- 
- (١) بلدة من كور نيسابور قيل من أرض فارس ، وقيل : من أرض خراسان بينها وبين مرو سيرة خمسة أيام ، وبين نيسابور ستة أيام .  
ينظر : الحميري : الروض المعطار ص ٥٧٩ ، والمقدسي : أحسن التقاسيم ص ٣٢٠ ، وياقوت : معجم البلدان ٥ / ٢٨٢ .
  - (٢) مدينة تقع شرق إيران وكانت عاصمة الدولة الطاهرية في القرن التاسع الميلادي ، ينظر / الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٦٦ .
  - (٣) اسم بلاد غربية بن شانجة ، يشتمل على : بلاد ونازل وأعمال ، تسمى بلاد أرغون ، قرية من خراسان ، بين فارس والأهواز .  
ينظر / الروض المعطار ص ٥ .
  - (٤) مدينة شرقي إيران على بعد أربعين كيلو مترا شرق بحر قزوين واسمها القديم هرقاينا . ينظر / الروض المعطار ص ١٦٠ .
  - (٥) مدينة اسمها القديم راغا ، وتقع آثارها على بعد ثمانية كيلو مترات جنوب طهران . ينظر / الموسوعة العربية الميسرة ص ٦٢١ .
  - (٦) بين همدان واصفهان تبعد عن همدان ثلاثين فرسخا ،  
ينظر / الروض المعطار ص ٤٩١ ، معجم البلدان ٤ / ٤٤٦ .
  - (٧) مدينة بأرض الأهواز بناها مكرم بن معاوية بن الحرث على نهر المسرقان ،  
ينظر / القزويني : آثار البلاد ص ٢٢٢ ، الروض المعطار ص ١٧٣ .
  - (٨) مدينة بالأهواز بينها وبين عسكر مكرم ثمانية فراسخ وبين سا بور ثمانية فراسخ  
ينظر / الروض المعطار ص ١٤٠ .
  - (٩) مدينة إيرانية من أعمال خوزستان في نشر من الأرض ،  
ينظر / الروض المعطار ص ١٧٣ .
  - (١٠) مدينة بخوزستان جنوب غرب إيران على نهر قارون تبعد عن أصبهان ٤٥ فرسخا واسمها رام هرمز ، ينظر / الروض المعطار ص ٦٦ ، الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٥٢ .
  - (١١) مدينة عراقية تبعد عن البصرة أربعة فراسخ جهة الخليج .  
ينظر / الروض المعطار ص ٨ .
  - (١٢) المقصود بها العراقية ، وليست الإيرانية ، وتقع على بعد مائة كيلو مترا شمال بغداد . ينظر / الموسوعة العربية الميسرة ص ٩٤٨ .

المسلم ، وتأثر بههم ، ومن أشهر هؤلاء الشيخ :

١ - إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري الشافعي ، الحافظ صاحب التصانيف الكثيرة ، شيخ الإسلام ، ولد سنة ٢٠٢ هـ ، وتوفي سنة ٣١١ هـ ، ولقد كان حافظاً ثباتاً وإماماً ، رحل إلى الشام والحجاز والعراق ومصر وتلمذ على ابن حجر وابن راهويه ، ومحمود بن غيلان والمزني ، وخلق ، وروى عنه البخاري وسلم خارج الصحيح وغيرهما . له المسند الصحيح ، والتوحيد ، وإثبات صفات الرب (١) ، وتلمذ ابن حبان عليه ولازمه في نيسابور وتلمذ له وروى عنه \* في الصحيح ٦٩٠١٤ وفي الثقات ١١٤/٢ وغيرها ، وفي المجروحين ٤٦/١ ، وروضة العقلاء ص (٢٠) .

٢ - الإمام أبو عبد الرحمن ، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار النسائي (٢) محدث حافظ ولد بنسأ سنة ٢١٥ هـ وتوفي سنة ٣٠٢ هـ وسمع الكثير ، ورحل إلى نيسابور ، والعراق والشام ومصر والحجاز ، والجزيرة وتلمذ على شيوخ لا يحصون منهم ابن راهوية ، وقتيبة بن سعيد ، وأبا كريب ،

---

(١) ابن العماد / شذرات الذهب ٢/٢١٢ - ٢٦٣ ، وابن كثير / البداية والنهاية ١١/١٤٩ ، الصفدي / الوافي بالوفيات ٢/١٩٦ ، والذهبي / تذكرة الحفاظ ٢/٧٢٠ - ٧٣١ .

\* ما ذكرناه في الصحيح فهو من الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان فما كان فيه بالأرقام فهي أرقام الأحاديث من الأجزاء المطبوعة ، أما ما يحمل رموزاً مثل ( أ ، ب ) فالأرقام تشير إلى أرقام الصفحات في المخطوط ، أما بالنسبة للثقات فالجزء الثامن اعتمد الباحث فيه على صورة المخطوطة ، وهي موجودة في مكتبة الآخ عذاب الحمشي .

(٢) ينظر ترجمته في : الصفدي / الوافي بالوفيات ٦/٤١٦ ، ووفيات الأعيان ١/٢٥٠ ، وابن حجر ، تهذيب التهذيب ١/٣٦ - ٣٩ وابن تفرري بره ي / النجوم الزاهرة ٣/١٨٨ ، والذهبي / تذكرة الحفاظ ٢/٦٩٨ - ٧٠١ ، وابن العماد / شذرات الذهب ٢/٢٣٩ .



وطبقتهم ، وخرج له من التصانيف السنن الكبرى والصفري ، والخصائص في فضل علي بن أبي طالب ، وكتاب الضعفاء والمتروكين والكثير من الإنتاج العلي غير ما ذكرنا ، وتلمذ عليه أبو بشر الدلابي ، وأبو بكر بن السني وأبو القاسم الطبراني ، وتلمذ عليه ابن حبان في مصر\* وروى عنه في الصحيح ٦٠٧، ٦٩٧، وفي الثقات ٣٣٦/٥ ، وفي المجروحين ٤/١ ، ٩١/٢ ، وفي روضة العقلاء ص(٤٧) .

٣ - الإمام أبو يعلى (١) أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلية ، ولد سنة ٢١٠ هـ حافظ من علماء الحديث ، ثقة مشهور ، نعتة الذهبي بمحدث الموصل . وعمر سبعة وتسعين سنة ، وتوفي سنة ٣٠٧ ، ولد في بيئة زاخرة بالعلم والفكر وكان تقيا ورعا متبعاً لمنهج السلف الصالح . من شيوخه ، أحمد بن حاتم الطويل تلميذ مالك ، وشارك أبا زرعة والإمام أحمد في الرواية ، وتلمذ على أبي بكر وعثمان ابني أبي شيبة ، ويحيى بن معين وخلق سواهم .

خرج له الكثير من التصانيف أشهرها السنن الكبرى ، والصغير ، ومعجم شيوخه ، والمفاريذ ومن أشهر تلاميذه الإمام النسائي ، والإمام زكي الدين السندري ، وأبو بكر بن السني ، والإمام أبو حاتم ابن حبان الذي تلمذ عليه وتأثر به ، وروى عنه في الصحيح ٣ ، ١٠ ، ١١ ، وفي الثقات ١/٩٩ ، ٢/٢١٣ ، ومواطن عدة وفي المجروحين ١/١٤ ، ١٥ ، وروضة العقلاء (ص ٢٠٤) وغيرها .

---

\* يقصد بها القاهرة ، ولذلك عندما يريد أحد العلماء أي مكان غير القاهرة يسمونه ، وقد مر معنا تحديد الاسكندرية ، وكذلك ميز الذهبي بين الاسكندرية ومصر حيث قصد بالأخيرة القاهرة ، ينظر: السير ١٣/٢ ص ٢٦٦ .

(١) ينظر ترجمته في : الذهبي / تذكرة الحفاظ ٢/٧٠٧ - ٧٠٩ .  
والصفدي / الوافي بالوفيات ٧/٢٤١ ، والنجوم الزاهرة ٣/١٩٧ ،  
وابن العماد / شذرات الذهب ٢/٢٥٠ ، والزركلي / الأعلام ١/١٧١ .

٤ - عبد الله بن أحمد بن موسى الجواليقي (عبدان الأهوازي) (١) هـ —  
 المحدث الحافظ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن موسى بن زياد الأهوازي  
 الجواليقي الشهير (بعبدان الأهوازي) ولد سنة ٢١٦ هـ ، ومن شيوخه  
 الجحدري ، وابن بكار ، وخليفة بن خياط ، وابن أبي شيبة وأقرانه —  
 ومن تلاميذه حمزة الكناني ، وأبو القاسم الطبراني وابن حبان الذي تتلمذ  
 عليه في عسكر مكرم وروى عنه في الصحيح ٣٤٨ ، ٤٨٧ ، وفي الثقات ٤٥/٨ ب  
 - وفي المجروحين ٢٩٤/١ ، وتوفي في العراق عن سبع وخمسين سنة  
 عام ٣٠٦ هـ .

٥ - الحافظ أبو عروبة ، الحسين بن أبي معشر محمد بن مودود السلمي  
 الحراني (٢) محدث حران ، وهو في عشر المائة ، روى عن اسماعيل بن  
 موسى السدي وطبقته .

كان عارفا بالحديث والرجال رحل إلى الجزيرة والشام والعراق ، ورحل  
 إليه الناس للتعلم منه ، ومن تلاميذه الحاكم النيسابوري (أبو عبد الله)  
 وابن حبان البستي الذي روى عنه في روضة العقلاء ص ٤٨ .

٦ - أبو خليفة الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر الجمحي البصري (٣)  
 من رواة الأخبار والأشعار والأنساب ، ولي قضاء البصرة ، له من التصانيف  
 كتاب طبقات الشعراء الجاهليين ، وكتاب الفرسان ، كان إماما ثقة ، وسمي  
 محدث البصرة تتلمذ على مسلم بن إبراهيم ، وسدد ، وأبي الوليد الطيالسي  
 وطبقته ومن تلاميذه الطبراني ، وعبد الله بن عدي ، وأبو الشيخ الأصبهاني  
 وابن حبان البستي وهو أكبر شيخ لقيه ابن حبان وروى عنه في الصحيح ٢٤١٨

(١) الذهبي / تذكرة الحفاظ ٦٨٨/٢ - ٦٨٩ ، وابن تفردي بردى / النجوم

الزاهرة ١٩٥/٣ ، وابن العماد / شذرات الذهب ٢٤٩/٢

وعمر كحالة / معجم المؤلفين ٢٣٢/٦ ، والزركلي ، الأعلام ٦٥/٤ .

(٢) الذهبي / تذكرة الحفاظ ٧٧٤/٢ ، وابن العماد / شذرات الذهب

٢٧٩/٢ ، وحران بلدة في شمال سورية .

(٣) الذهبي / تذكرة الحفاظ ٦٧٠/٢ - ٦٧١ ، وابن حجر / لسان الميزان

٤٣٨/٤ - ٤٤٠ .

وغيرها وفي الثقات ٨/١ ، وفي المجروحين ١٦/١ . وتوفي سنة ٣٠٥ هـ .

٧ - المحدث الحافظ أبو العباس الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز ابن النعمان بن عطاء الشيباني النسوي (١) ولد سنة ٢١٣ هـ ، ورحل إلى بلاد كثيرة ، توفي سنة ٣٠٣ هـ ، له السند الكبير ، الجامع ، والمعجم . ومن شيوخه أبو ثور وكثير من العلماء ، وحدث عنه ابن خزيمة ، وأبو بكر الإسماعيلي وابن حبان في الصحيح ٧ ، وفي الثقات ٤٢/١ ، وفي المجروحين ١٠/١ ، وفي روضة العقلاء ص (٧ ، ١٠ ، ٢٦) .

٨ - المحدث الحافظ أبو إسحق عمران بن موسى بن مجاشع السخيتاني الجرجاني (٢) ولد سنة بضعة عشرة ومائتين ، وروى عن أبي بكر وعثمان ابني أبي شيبة وتوفي بجرجان في النصف من رجب سنة ٣٠٥ هـ ، وله السند في الحديث ومن أشهر تلاميذه ابن حبان الذي روى عنه في الصحيح ٢٩ - ٩١ ، وفي الثقات ٩٩/١ ، وفي المجروحين ٣٢٣/١ وفي روضة العقلاء ص (٨٩) وغيرها .

هذا وقد روى عن خلق كثير يشق علينا حصرهم في هذا البحث ، ويتضح أن ابن حبان كان محققا حينما قال في مقدمة الصحيح : ( ولعلنا قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ ) ولا حق لابن الصلاح في اتهامه بالغلط الفاحش لقوله بذلك (٣) . كما أنني أحب أن ألفت النظر إلى دراسة قام بها أحد الأخوة في كلية الشريعة أحصى فيها شيوخ ابن حبان في الصحيح ، وروضة العقلاء ، والثقات ، والمجروحين فاطلع على أسماء ثلاثة عشر وخمسة عشر شيخ وهذا ليس بالعدد اليسير \* .

- 
- (١) تذكرة الحفاظ ٢/٧٠٣ - ٧٠٥ ، وابن تغري بردي / النجوم الزاهرة ٣/١٨٩ .  
 (٢) ينظر ترجمته في : الذهبي / تذكرة الحفاظ ٢/٧٦٢ - ٧٦٣ ، والسهمي / تاريخ جرجان ٣٢٢ - ٣٢٣ .  
 (٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٠/٣ ص ٣٣٢ .  
 \* الرسالة ستناقش قريبا بعنوان ( ابن حبان ومنهجه في الجرح والتعديل ) فرع الكتاب والسنة ، وقد أفرد فيها الباحث سفرا خاصا بترجمة ابن حبان وشيوخه وتلاميذه ، وكتبه .

٤ - تلاميذه :

سند ذكر البعض من تلاميذ ابن حبان لعدم استطاعتنا الإلمام بعددهم وحصرهم ، ولعدم توفر أي مصدر للباحث يجمعهم على سبيل الحصر ومن أشهر تلاميذه :

١ - أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري الحاكم الشافعي المعروف بابن البيهقي (١) محدث حافظ مؤرخ . ولد بنيسابور سنة ٣٢١ هـ ، ورحل في طلب الحديث تتلمذ على شيوخ كثيرين منهم ابن حبان ، والأصم ، وابن السماك ، وكان عالما بالحديث والقراءات والفقه والتاريخ ، وله المستدرك على الصحيحين وتاريخ نيسابور ، والإكمل في الحديث وغيرها . ومن تلاميذه البيهقي صاحب السنن وكثيرين سواه ، ولقد توفي سنة ٤٠٥ هـ .

ب - أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدى الأصفهاني (٢) محدث ، حافظ ، مؤرخ ، ولد سنة ٣١٠ هـ ، ورحل إلى بلاد كثيرة في طلب العلم وتوفي بأصبهان في سلخ ذي القعدة سنة ٣٩٥ هـ ، له تاريخ أصبهان ، والناسخ والمنسوخ ، وإيمان وغيرها ومن أشهر شيوخه ابن حبان البستي .

ومن تلاميذ ابن حبان أيضا : منصور بن عبد الله الخالدي ، وأبو معاذ بن عبد الرحمن بن محمد بن رزق الله السجستاني ، وأبو الحسن محمد بن أحمد بن هارون الزوزني ومحمد أحمد منصور النوقاني ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد الفجار الحافظ البخاري وأبو سلمة محمد بن محمد بن داود الشافعي ، وجعفر بن شعيب ابن محمد السمرقندي والحسن بن منصور الأسبيجاني ، والحسن بن محمد بن سهل الفارسي ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن خشام الشروطي وخلق سواهم . (٣)

(١) الخطيب/ تاريخ بغداد ٤٧٣-٤٧٤ ، وابن حجر/ لسان الميزان ٢٣٢/٥-٢٣٣ .

(٢) الذهبي/ ميزان الاعتدال ٤٧٩/٣ وتذكرة الحفاظ ٧٤١-٧٤٢ ، وابن حجر/

لسان الميزان ٧٠-٧٢ ، وابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ٢١٣/٤ .

(٣) الذهبي/ سير أعلام النبلاء ١٠/٣ ص ٣٣٢ ، وياقوت/ معجم البلدان

٤١٦-٤١٧ ، والسمعاني/ الأنساب ٢٢٥/٢ .

٥- آثاره العلمية :

يعتبر ابن حبان دائرة معارف حيث كان حافظاً ثباتاً إماماً حجة أحمد أوعية العلم صاحب التصانيف المختلفة ، قال عنه ابن العماد : ( من أوعية العلم في الفقه واللغة والوعظ وغير ذلك حتى الطب والنجوم والكلام ) (١) . واعترف بذلك كثير من العلماء سواء الأحياء أو الأعداء كما سنرى في كلام الذين اتهموه ، ومن مؤلفات ابن حبان التي وصلتنا أخبار عنها .

(٢) الكتب المطبوعة :

كتاب الثقات : وهو قيد التحقيق ، صدر منه حتى الآن ثماني مجلدات ، والمجلد الثامن انتهى بنهاية حرف العين ولم يتسن للباحت الاطلاع عليه الا وقت طباعته للبحث وهذا المجلد لم يصل إلى المكتبات حتى الآن ، ونشرته دار المصنفات العثمانية - حيدرآباد - الهند سنة ١٩٧٣ م ، وبقي مجلد واحد لم ينشر وبدأ بحرف الفين وينتهي بحرف اليا ، وجرى ابن حبان في هذا الكتاب على قاعدته التي ذكرها في مقدمة الأنواع والتقسيم - المسند الصحيح - حيث قال : ( شرطنا في نقله ما أودعناه في كتابنا ، الا نحتج الا بأن يكون في كل شيخ من خمسة أشياء الأول : العدالة في الدين بالستر الجميل . والثاني : الصدق في الحديث بالشهرة فيه . الثالث : العقل بما يحدث من الحديث . الرابع : العلم بما يحيل المعنى من معاني ما روى . الخامس : تعري خبرة من التدليس ، فمن جمع الخصال الخمس احتجنا به ) (٢) وكتب الرجال مليئة بأحكام ابن حبان في توثيقه رجال الحديث على هذه القاعدة .

- كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين : يسمى - الجرح

والتعديل - أو الضعفاء - حققه محمد إبراهيم زايد - ونشرته دار الوعي - بحلب

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب ١٦/٣

(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٠/٣ ص ٣٣٤

سنة ١٣٩٦ هـ وموضوعه الحكم على رواية الحديث .

- كتاب مشاهير علماء الأمصار : ولعله هو الذي يطلق عليه : المعجم على المدن وطبع ما وجد منه بمعاية المستشرق م . فلايشهر ، وحدث سقط في الطبعة الأخيرة منه ، ونشرته مطبعة لجنة التأليف والترجمة - القاهرة سنة ١٩٥٩ م ، وموضوعه تراجم للأعلام .

#### (ب) الكتب غير المطبوعة :

ترك ابن حبان عشرات الكتب التي ماتزال غير مطبوعة ، ومن بين هذه

الكتب :

- الأنواع والتقاسيم : ويسمى : المسند الصحيح ، وهو كتاب نفيس ، عظيم الفائدة ، ذكره ابن حبان بأسانيده ، وعلق عليها ، وتحدث عن فقه الحديث . وتوثق من صحة كل حديث على شرطه الذي وضعه ، وقد ذكرناه في الصفحة السابقة والتزم ابن حبان بهذه الشروط في قبول الروايات ، ولم يخل بشرط منها ، وهذا الأمر جعل مسنده أصح من مستدرك تلعيذه الحاكم . ويرى ابن حجر العسقلاني أن البعض قد خالف قاعدة ابن حبان هذه وأخذ عليه مأخذ في ذلك لمخالفة شرطه عن شروطهم في قبول الرواية . (١)

ولهذا الكتاب أهمية كبيرة بين كتب السنة حيث أثنى عليه العلماء ،

وفي ذلك يقول ابن العماد : (١) كثر نقاد الحديث على أن صحيحه أصح من سنن ابن ماجه (٢) . هذا وقد لاقى الكتاب عنلية فائقة من العلماء فسي مختلف العصور وقد قام الأمير علاء الدين بن أبي الحسن على بن بلبان الفارسي المصري المتوفى سنة ٧٢٩ هـ بترتيبه على الكتب والأبواب مع المحافظة على أصله وإثبات عناوين الأحاديث التي كتبها ابن حبان بنصها ، وأثبت تعليلاتها

(١) لسان الميزان : ١٤/١ - ١٥ من المقدمة .

(٢) شذرات الذهب ١٦/٣

ابن حبان على الرجال ، وتفسير المعاني ، وأسعى هذا الكتاب : الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان . وقد طبع من الكتاب ثلاثة أجزاء حقق الأول منها أحمد محمد شاكر ، وقام عبدالرحمن محمد عثمان بتحقيق الأجزاء الثلاثة الأولى منه وقد نشرتها المطبعة السلفية بالقاهرة ، وعمله هذا لا يعتبر تحقيقاً لا احتياجاً إلى السعي دراسة وتحقيق دقيق ، لذا فإن كلية الشريعة بجامعة أم القرى قامت بتوزيع الكتاب على بعض طلبة الدراسات العليا - فرع الكتاب والسنة لتحقيقه في رسائل السند كتروية . واختصره سراج الدين عمر بن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ هـ .

وهناك كتاب الحافظ نور الدين الهيثمي ، موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان الذي جرد منه الأحاديث الواردة في الصحيحين وطبع في مصر بتحقيق عبدالرزاق حمزه .

- كتاب الهداية إلى علم السنن : ويتحدث فيه عن علم الحديث والفقه ، ويذكر حديثاً ويترجم له ثم يذكر من تفرد بروايته ، ويعرف تعريفاً كاملاً بكل رجل من رجال السند ويتحدث في فقه الحديث ويذكر الأخبار المعارضة له ، وطريقة الجمع بينها .  
- شعب الإيمان ولعله أقدم من ألف في هذا الموضوع . (١)

وهناك كتب عديدة غير منشورة ذكرها ابن حبان في روضة العقلاء منها :

محجة المبتدئين (٢) ، العالم والمتعلم ، (٣) حفظ اللسان (٤) مراعاة

- 
- (١) ياقوت ، معجم البلدان : ٤١٧/١ .  
(٢) روضة العقلاء : ص ٢٠ في باب إصلاح السرائر .  
(٣) المرجع السابق : ص ٢٧ في باب العلم .  
(٤) المرجع السابق : ص ٣٦ في باب الصمت وحفظ اللسان .

العشرة (١) ، الوداع والفراق (٢) ، الثقة بالله (٣) ، التوكل (٤) ، مراعاة  
الإخوان (٥) ، الفصل بين الغنى والفقر (٦) ، السخاء والبذل (٧) .

ما ذكرناه كان جزءاً من مؤلفات ابن حبان رحمه الله ، ومن الواضح  
أنّ هذه الثروة من المؤلفات قد اندثر أغلبها ، وفي عداد المفقود ، قال  
الخطيب البغدادي في ذلك ( سألت مسعود بن ناصر السجزي فقلت له : أكل  
هذه الكتب موجودة عندكم ، ومقدور عليها . بيلادكم (سجستان) ؟! فقال :  
إنما يوجد الشيء اليسير ، والنزد الحقيقير ، قلت : أي الخطيب - وكان هذا  
بعد مائة سنة من عصر ابن حبان ، وقد عمل الجهل بعد ذلك أكثر وأكثر فسي  
إهمال علم السلف والتفريط فيه ، قال الخطيب : ومثل هذه الكتب الجليسة  
كان يجب أن يكثر بها النسخ ، فيتنافس فيها أهل العلم ويكتبونها ويجلدونها  
إحرازاً لها ) (٨) .

ومن استعراضنا لمؤلفات الشيخ ابن حبان رحمه الله نجد أن الحاكم  
محق حين قال عنه : ( أبو حاتم البستي القاضي كان من أوعية العلم في اللغة

- 
- (١) روضة العقلاء : ص ٧٦ في باب المؤاخاة ، ص ١٦٣ في باب قبول الاعتذار  
(٢) المرجع السابق : ص ٩٦ في آخر باب ائتلاف الناس واختلافهم .  
(٣) المرجع السابق : ص ١١٢ في باب الحث على مجانية الحرص .  
(٤) المرجع السابق : ص ١٣٥ في باب الحث على لزوم التوكل .  
(٥) المرجع السابق : ص ١٥٩ في باب الزجر عن قبول قول الوشاقة .  
(٦) المرجع السابق : ص ١٩٩ في أول باب إباحة جمع المال للقاءم بحقوقه  
(٧) المرجع السابق : ص ٢٠٤ في آخر باب إباحة جمع المال .  
(٨) معجم البلدان : ٤١٧/١



والفقه والحديث والوعظ وكان من عقلاء الرجال ، صنف فخرج له من التصانيف في الحديث ما لم يسبق إليه ( ١ ) أي أنه كان بحرا في شتى العلوم ، وأصبحت داره بعد وفاته مدرسة لأصحابه ومسكنا للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والفقه ولهم جرايات يستنفقونها ، ويدار خزانه كتبه في يدي وصي ائمه عليها ليدلها لمن أراد أن ينسخ منها في بلدة ( الصفة ) ( ٢ ) .

#### ٦- ابن حبان في أخريات حياته - ووفاته :

لقد تولى ابن حبان القضاء على سمرقند وغيرها من المدن بخراسان قال الحاكم : ( ابن حبان ورد نيسابور سنة ٣٣٤ هـ وسار إلى قضاء نسابة ، قال : ثم انصرف إلينا سنة ٣٣٧ هـ فأقام بنيسابور وبني فيها الخانقاه وقصر عليه جملة من مصنفاته ، ثم خرج من نيسابور إلى وطنه سجستان سنة ٣٤٠ هـ وكانت الرحلة إليه فيها لسماع كتبه ( ٣ ) وفي هذه السنة ترك القضاء .

وتعرض في أخريات حياته ، لفتنة كانت سببا في إخراجة من سجستان وفي ذلك يقول يحيى بن عمار : ( نحن أخرجناه من سجستان كان له علم كثير ، ولم يكن له كبير دين قدم علينا فأنكر الحد لله فأخرجناه ) ( ٤ ) ولقد أجاب بعض العلماء على ذلك فقال السبكي : ( قلت : - انظروا أجهل هذا الجاح ، وليت شعري من المجرور مثبت للحد - أم نافية - وقد رأيت للحافظ صلاح الدين بن كليكيدي العلائي - رحمه الله - على هذا كلاما جيدا . . . قال : ياللعجب من

- 
- ( ١ ) السمعاني ، الأنساب : ٢٢٥ / ٢  
( ٢ ) ياقوت ، معجم البلدان : ٤١٧ / ١  
( ٣ ) الذهبي ، تذكرة الحفاظ : ٩٢٤ / ٣ ، وينظر في : الأنساب ٢٢٦ / ٢ .  
( ٤ ) الذهبي : سير أعلام النبلاء . ٣ / ١٠ ص ٣٣٤ ، وينظر : ميزان الاعتدال : ٥٠٢ / ٣ .

(١)

أحق بالإخراج والتبديع وقتل الدين ؟ (١) ولقد تحدث الإمام الذهبي في هذه القضية كلاماً واضحاً حيث قال : ( قلت : إنكاركم عليه بدعة أيضاً ، والخوض في ذلك مالم يأذن به الله ، ولا أتى نص بإثبات ذلك ، ولا بنفيه ، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، وتعالى الله أن يحد أو يوصف إلا بما وصف به نفسه أو علمه رسوله بالمعنى الذي أراد بلا مثل ، ولا كيف «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » الشورى ١١ / (٢)

وذكروا سبباً آخر لإخراج ابن حبان عن وطنه وهو إنكارهم عليه قوله : النبوة العلم والعمل - فحكموا عليه بالزندقة وهجرته ، ولقد دافع العلماء عنه في عصور مختلفة ، لأن هذه اللفظة تحتل أكثر من معنى ، وابن حبان لم يرد حصر المبتدأ في الخبر ، وقوله هذا مثله ( الحج عرفة ) ومعلوم أن المرء لا يصير حاجاً بمجرد وقوفه بعرفة ، إنما ذكر سهم الحج ، وسهم النبوة ، إن أكمل صفات النبي العلم والعمل ، ولا يكون أحد نبياً إلا بوجودهما ، وليس كل من برز فيهما صار نبياً ، لأن النبوة موهبة من الله - تعالى - ولا حيلة للعبد في اكتسابها أما مراد الفلاسفة بها - أن النبوة نتيجة العلم والعمل فهذا كفر لا يريد أبو حاتم أصلاً وحاشاء أن يقول ذلك وهو من كبار الأئمة (٢) وأن ما حدث لابن حبان من الفتنة كان بعد سنة ٣٤٠ هـ فعاد من سجستان إلى بست ، وفي نهاية حياته كتب فيه إلى الخليفة - المقتدر - فكتب بقتله ، فمات قبل وصول جواب الخليفة (٤) وكان موته ليلة الجمعة لثمان ليال بقين من شوال سنة ٣٥٤ هـ . ودفن في داره بمدينة بست بجوار مدرسته وخزانة كتبه (٥) رحمه الله وأحسن ثوابه .

- 
- (١) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى : ١٣٢ / ٣ - ١٣٣  
 (٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٣ / ١٠ ص ٣٣٤ وينظر في ذلك : ابن حجر لسان الميزان : ١٢٢ / ٥  
 (٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٣ / ١٠ ص ٣٣٤ ، وينظر في ذلك : ابن كثير ، البداية والنهاية : ١١ / ٢٥٩ ، والصفدي ، الوافي بالوفيات : ٣١٨ / ٢  
 (٤) ابن شاکر الکتبی ، عيون التواريخ - حوادث ٣٥٤ .  
 (٥) السمعاني ، الأنساب : ٢ / ٢٢٦ .

(هـ) التعريف بكتاب روضة العقلاء

١- الوصف الخارجي :

يقع كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء في ٢٢٦ صفحة من القطع المتوسط ٢٣ سم x ١٥ سم طبع عن نسخة مخطوطة في مكتبة ناجي الجمالي ، وأميين الخانجي بالقاهرة سنة ١٣٢٨ هـ ، بعد أن نبه عليه الشيخ طاهر الجزائري في تذكرته الطاهرية ، وطبع طبعة ثانية سنة ١٣٦٨ هـ في مطبعة السنة المحمدية ، والطبعة التي اعتمدنا عليها بتصحيح مصطفى السقا ، وطبعت بمطابع الحلبي بمصر سنة ١٣٧٤ هـ ، وهناك طبعة بتصحيح محمد محي الدين عبد الحميد ، ومحمد حامد الفقي ، وعبد الرزاق حمزة ، وهي المتوفرة في الأسواق الآن ، وعنايتهم بها كانت تقتصر على تفسير بعض الكلمات ، والتعليق على بعض الروايات والأفكار وتوثيق بعض الأشعار ومن هنا لزم التنويه إلى ضرورة تحقيق روضة العقلاء بالمقابلة على النسخ المخطوطة ، وتوثيق النصوص جميعها ، وتخراج الأحاديث ، مع تراجم لرجال الأسانيد .

٢- نسبة الكتاب إلى مؤلفه :

قال حاجي خليفة : روضة العقلاء لأبي الشيخ ابن أبي حبان (١) ، وعد ، في كتب الأحاديث وقد وهم حاجي خليفة في ذلك إذ أن أبا الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الأصهباني المتوفى سنة ٣٦٩ هـ هو مؤلف كتاب أخلاق النبي وآدابه ، وروضة العقلاء لابن حبان البستي وفي ذلك قول ياقوت :

(١) كشف الظنون : ٩٢٨/١

( قال تاج الإسلام : وحصل عندي من كتبه - ابن حبان - بالإسناد المتصل سماعا كتاب التقاسيم والأنواع . . . وكتاب روضة العقلاء قرأته على حنبل السجزي عن أبي محمد التونسي عن أبي عبد الله الشروطي عنه ) . ( ١ )

وفي دائرة المعارف الإسلامية ( ٢ ) ذكرت روضة العقلاء من مؤلفات ابن حبان . وذكر بروكلمان ( ٣ ) أنها موجودة في هامبورج ، وذكرها فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي ( ٤ ) - ويوجد ثلاث نسخ مخطوطة منها في جامعة الملك سعود بالرياض تحت رقم ف ٩ ، ف ١٢ ، ف ١٣ السعدية

وجاء في بداية روضة العقلاء المطبوعة مانصه :

( أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الرهاوي ( ٥ )

- المتوفى سنة ٦١٢ هـ - أدام الله تأييده وأجزل من كل خير مزيد ، في شهر سنة إثنين وست مائة قال : حدثنا الأ مير القاضي عمدة الدين معين الإسلام ناصر السنة - أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحسين بن محمد بن سعيد بن محمد البوسنجي من لفظه ببوسنج في شهر سنة اثنين وستين وخمس مائة قال : أخبرنا الشيخ الإمام العالم الزاهد - عفيف الدين أبو جعفر حنبل علي بن الحسين البخاري الصوفي السني رحمه الله ( ٦ ) قال : أخبرنا الشيخ أبو محمد أحمد

- 
- ( ١ ) ياقوت ، معجم البلدان : ٤١٨/١  
( ٢ ) دائرة المعارف الإسلامية : ٢٤٧/١  
( ٣ ) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي : ٢٠٥/٣ - ٢٠٧ رقم ( ٩٦ )  
( ٤ ) فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي : ٤٧٤/١  
( ٥ ) ولد سنة ٥٣٦ هـ وتوفي سنة ٦١٢ هـ ، ينظر ترجمته في : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٢/١٣ ص ٢٦٥  
( ٦ ) توفي سنة ٥٤١ هـ عن عمر يناهز ٧٧ سنة ينظر . . الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ٣/١٢ ، ٤١٧ وذكره ب ( حنبل السجزي ) .

ابن محمد بن أحمد التوني سنة تسع وسبعين وأرب مائة (١) قال : أخبرنا  
أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الشروطي . قال : أخبرنا أبو حاتم - محمد  
ابن حبان البستي - رضي الله عنه قال : . . . وذكر نص الكتاب ( ) ، وهذا الكلام  
من قول الناسخ أحمد بن محمد بن سالم ابن جناب السنجي بالرها المحروسة يوم  
الثلاثاء سنة ثمان وعشرين وستمائة (٢) وهو مثبت في نهاية نسخة روضة العقلاء  
المطبوعة .

ومما يدلنا على أن كتاب روضة العقلاء من مصنفات الإمام ابن حبان  
مانجده من تطابق أسانيد ومتون الكثير من الأحاديث في الكتاب مع ما رواه فسي  
الصحيح ونذكر أمثلة منها فيما يأتي :-

- في باب الحث على إقامة العروءات ، قال أبو حاتم : حدثنا إسحق بن  
إبراهيم بن إسماعيل القاضي ، وعبد الله بن محمود بن سليمان السعدي قالا :  
حدثنا عبد الوارث بن عبد الله العتكي ، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي عن العلاء ابن  
عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم :-  
(كرم الرجل دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه) ولقد ذكر هذا الحديث في صحيحه  
في كتاب الأدب - باب حسن الخلق ونفس السند المذكور. (٣)

- وفي باب ذكر الحث على لزوم الحلم عند الأذى - قال أبو حاتم : أنبأنا  
محمد بن الحسن بن قتيبة ، حدثنا يزيد بن خالد بن وهب الرملي ، حدثنا  
ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد - الخدري -

(١) وقد يتطرق الشك إلى ذهن القاري بالنسبة لرواية التوني سنة ٤٧٩ هـ  
عن الشروطي الذي روى عن ابن حبان وهذا الأمر يتطلب استقصاءً  
طويلاً علماً بأن الباحث قد بحث عن تراجم لرواة روضة العقلاء فلم يعثر  
على تراجم لـ : محمد بن نصر البوسنجي ، وأحمد بن محمد التوني ، وأحمد  
ابن محمد الشروطي . ولو تيسر هذا لأمكننا الإجابة على ما يمكن أن يدور  
في الأذهان من الشك ، ونطلب ممن يعثر على ترجمة لأحد هم إبلاغنا  
بها وجزاء الله خيراً .

(٢) ربما يتساءل المرء ما دام السنجي سمع من الرهاوي سنة ٦٠٢ هـ وأتم  
نسخ الكتاب سنة ٦٢٨ هـ فكيف حدث ذلك أنقول بأنه ربما كان يحفظها  
وكتبها في وقت متأخر .

(٣) روضة العقلاء ص ٢٠٤ - زوائد ابن حبان رقم (١٩٢٨) ص ٤٢٥

قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم : ( لا حلیم إلا ذو عشرة ، ولا حلیم إلا ذو تجربة ) والحديث ورد بنفس السند المذكور ولفظه في صحيحه كتاب الأرب - باب لا حلیم إلا ذو عشرة . ( ١ )

- وفي باب استحباب التحبب إلى الناس من غير مقارفة العثم - قال أبو حاتم : أنبأنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا عبد الله بن سليمان عن هشام بن عروة عن موسى بن عقبة عن عبد الله بن عمر الأزدی عن ابن مسعود ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( يحرم على النار كل هين لين قريب سهل ) وذكر نفس الحديث بسنده في الصحيح - كتاب البيوع - باب الهين اللين . ( ٢ )

### ٣- أبواب الكتاب :

قسم ابن حبان كتابه روضة العقلاء ونزهة الفضلاء إلى خمسين باباً ( ٣ )

وموضوعه يدور حول طائفة من الأخلاق والسنن والفضائل الإسلامية من الناحية العملية فهو يتناول ما ينبغي أن يكون عليه سلوك المسلم مع ربه ، ومع نفسه ومع الخاصة من أهله وأصدقائه ، ومع العامة من الناس إذ يرى ( أن محبة المكارم من الأخلاق وكرهه سفافها ، هو نفس العقل ) واستدل بها أخرجه من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ( إن الله يحب مكارم الأخلاق ويكره سفافها ) ( ٤ ) ومن هنا فقد غلبت على

- 
- ( ١ ) روضة العقلاء : ص ١٨٤ ، وزوائد ابن حبان رقم ( ٢٠٧٨ ) ص ٥٠٧
  - ( ٢ ) المرجع السابق ص ٤٩ ، وزوائد ابن حبان رقم ( ١٠٩٦ ) ص ٢٦٩
  - ( ٣ ) روضة العقلاء ص ١٤
  - ( ٤ ) المرجع السابق : ص ١٤ ، وابن أبي الدنيا ، مكارم الأخلاق ص ٢ ، ٣ ، الهيثمي ، مجمع الزوائد بر ١٨٨ / ٨ وقال رواه الطبراني في الكبير ، وطريق ابن حبان رجاله ثقات وصححه العجلوني ، كشف الخفاء ، ٢٨٤ / ٢ ، والألباني ، صحيح الجامع الصغير رقم ( ١٧٤٠ ) ١٠٥ / ٢ الخرائطي : مكارم الأخلاق ، ص ١ .

الكتاب الصبغة الأخلاقية ، فأفرد خمسة عشر باباً في أدب النفس وسلوك الإنسان مع ربه ، كالتعلم والتقوى وإصلاح السريرة ، والتوكل على الله والصبر وأدبه مع نفسه كالصدى وحفظ اللسان والتواضع والقناعة ، والحلم والرفق والحياء واعتزال الناس ، والترويح عن النفس .

أما باقي أبواب الكتاب فأداب اجتماعية تنظم سلوك الإنسان في المجتمع وتقيم علاقاته الخاصة والعامة . واجتناب الرذائل المفسدة للخلق ولنظام المجتمع وفي المسئولية وسياسة الرعية .

#### ٤ - أسباب تأليف ابن حبان لكتاب روضة العقلاء :

هناك أسباب لتأليف ابن حبان لكتاب روضة العقلاء حددها في مقدمة هذا الكتاب فمنها الفكرية والاجتماعية :

#### ١ - الأسباب الفكرية :

١ - يشير ابن حبان إلى الأسباب الفكرية التي دعت لتأليف هذا الكتاب ويذكر تغير الأحوال وانقلاب موازين الأمور عما كانت عليه في عصر الصحابة والتابعين إن لم يتغير الزمان وتبدل كل شيء فيه فهو يقول : ( فإن الزمان قد تبين للعاقل تغيره ، ولأح للبيب تبدله ، حيث يمس ضرعه بعد الغزاة ، ونبل فرعه بعد النضارة ، ونحل عودة بعد الرطوبة ، ويشع مذاقة بعد العذوبة ) (١) وابن حبان يقصد تغير الأوضاع الاجتماعية والسياسية نحو الأسوأ إذ ضعفت الدولة الإسلامية عن ذي قبل ، وانتشرت البدع وقلة الدين والمفاسد والفتن ، فهو لم يقصد الناحية الاقتصادية وإنتاج العلم لأن كان في ازدهار في ذلك القرن .

٢ - وجود الفلسفات والمذاهب المنقولة من ثقافات الأمم الأخرى كالمعتزلة وإخوان الصفا وغيرهم حيث جاءوا بمعايير ظنية مخالفة للشرع والعقل من أهوائهم فهو يقول في ذلك ( فنبغ فيه - العقل - أقوام يدعون التمكّن

من العقل ، باستعمال ضد ما يوجب العقل من شهوات صدورهم وترك ما يوجب نفس العقل بهجسات قلوبهم (١) ، ومن هنا فإننا نجد الأسباب الفكرية تنحصر في تغير الأوضاع وترتيبها من ناحية ، ومن ناحية أخرى اتباع الظن المخالف للشرع . . .

#### ب - الأسباب الاجتماعية :

وأبان لنا ابن حبان أسبابا اجتماعية دعت إلى تأليف كتابه روضة العقلاء وهي :

١ - اتخاذ أهل القرن الرابع الهجري النفاق والمداينة وحسن اللباس وفصاحة اللسان أساسا للعقل ، وأن من تعرّى عن هذه الأمور فهو الأحمق الذي ينبغي الابتعاد عنه .

٢ - اغتراله أراذل الناس بأفعالهم ، واقتداءهم بهم (٢) .

إذن فإن ابن حبان اضطر لتأليف هذا الكتاب ليجابه ما شاع في عصره من دعوات بطالة إلى الشعوبية والإباحية والمادية بما فيها من زندقة ، وظهور المدارس التي تنادي باستبدال شرع الله بالمنطق اليوناني والاغترار بتلك الأفعال والدفاع عنها ، وابن حبان من أكثر أبناء الأمة التصاقا بكتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - في تلك الفترة ، وكان قد تألم لما رأى من حال المسلمين خلال رحلته في البلاد التي زارها .

وهو في كتابه يبين أن العاقل من اتبع شرع الله وسار على هداية .

ولقد قام الباحث بتصنيف الكتاب بما يوافق الميدان التربوي واستشهد بأقوال ابن حبان ، وآيات من كتاب الله ، وبأحاديث من السنة المطهرة . كما قام الباحث بتخريج معظم الأحاديث التي رواها ابن حبان في روضة العقلاء من كتب السنة وحكم على الأحاديث غير الموجودة في الكتب التسعة من خلال

---

(١) روضة العقلاء ص ٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣ .



آراء علماء الحديث منها مثل حديث (إن الله يحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها) (١) وقد رجع الباحث في ذلك إلى كتب الزوائد والسانيد وكتب الحديث الضعيفة والموضوعة المختلفة .

أما بالنسبة للموضوعات التي لم يوفها ابن حبان بحثاً فقد رجع الباحث إلى مصادر أخرى قديمة وحديثة ليكمل ما يراه مناسباً لذلك .

#### هـ - أساليب تنمية العقل عند ابن حبان :

لقد استخدم ابن حبان أساليب مختلفة - في كتابه روضة العقلاء - لتنمية العقل منها استخدام الأحاديث ، والأمثال والحكم المأثورة ، والأشعار والقصص ، وسنحدث عنها بإيجاز فيما يأتي :

١ - تأثر ابن حبان ببيئته العقلية وتربيته العلمية ، واهتماماته الحديثية على وجه الخصوص ، فهو يذكر العنوان - عنوان الباب - ثم يتبعه بحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسنده ، ويتكلم على السند إن كان على غير شرطه في قاعدته ونذكر على سبيل المثال ما أورده في الاعتذار إن قال : أنبأنا علي بن الحسن بن عبد الجبار بن نصيب ، حدثنا علي بن حرب الطائي ، حدثنا وكيع عن الثوري عن ابن جريج ، عن العباس بن عبد الرحمن ابن مينا ، عن جودان قال :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( من اعتذر إلى أخيه فلم يقبل : كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس ) قال أبو حاتم - رضي الله عنه - أنما خائف أن يكون ابن جريج - رحمة الله ورضوانه عليه - دلس هذا الخبر ، بأن سمعه من العباس بن عبد الرحمن فهو حديث حسن (٢) - أي إن دلسه وكان له طرق أخرى أصبح حسناً وليس صحيحاً - ولم يخالف هذا المنهج إلا في موضعين - ففي باب ذكر ائتلاف الناس واختلافهم روى الحديث (الرواح جنود مجندة) ثم أتبعه بأثر عن علي - رضي الله عنه -

(١) الحديث تقدم تخريجه ص ٢٨ في هذا الفصل .

(٢) روضة العقلاء ، ص ١٥٩ .

بنفس اللفظ (١) وفي باب الزجر عن التجسس ذكر الحديث (إياكم والظن . . الحديث) وأتبعه بأثر عن الحسن البصري (لا تسأل عن عمل أخيك الحسن والسيء فإنه من التجسس) (٢) . وبعد ذكر نص الحديث يقوم ابن حبان بالتعقيب عليه . وهو في ذلك يسير وفق منهم مغاير لنهج الماوردي الفقيه الذي جاء بعده ، ففي كتابه أدب الدنيا والدين يتبع أسلوب الفقهاء إذ يذكر رأيه ثم يؤوله بالنصوص المختلفة ، ثم يعرض للآراء الأخرى ، مما جعل شخصيته شخصية المجتهد ، بينما نجد أن ابن حبان يبدو عليه الاتباع والاهتمام بالنص أكثر من رأيه وما ذلك إلا لكونه محدثا ، ومنهج المحدثين في كل الأمور يعتمد على الحفظ في نقل الروايات .

ب - استخدم ابن حبان الأمثال والحكم المأثورة لما لها من أثر في العامة إذ أنها تكثر في حديثهم ، ولقد شغلت حيزا لا بأس به من روضة العقلاء ، ومن أمثلتها ما رواه عن ابن المنكدر قال : ( قالت لي أمي وأنا غلام لا تمازح الفلمان فتهون عليهم أو يجترثوا عليك ) (٣) .

وفي باب الحث على مجانبة الغضب روى الحكمة التالية (إذا لم يغضب الرجل لم يحلم لأن الحليم لا يعرف إلا عند الغضب) (٤) ذكرها دون أن يعلق عليها .

وذكر الحكمة التالية ( ليكن وجهك بسطا ، ولتكن كلمتك طيبة تكن أحسب إلى الناس من أن تعطيهم العطاء ) (٥) .

ج - واستعمل ابن حبان الأسلوب القصصي في تنمية العقل ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في باب ذكر إصلاح السرائر حيث ذكر قصة قصيرة مطلعها

(١) روضة العقلاء ، ص ٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٦٠ .

( كان لقمان عبدا حبشيا نجارا . . الخ ) ( ١ ) .

وكذلك ماورد في باب ائتلاف الناس واختلافهم حيث سرد قصة قصيرة أولها : ( تكلم عصفور في بني إسرائيل مع فخ . . . الخ ) ( ٢ ) .

د - واستعمل ابن حبان الشعر لتنمية العقل إذ أن في الأشعار تنمية للذوق وترقيق للمشاعر ، وهو أقرب إلى الأسماع فضمن كتابة أشعارا لمرب وأعاجم بعد الاستدلال بالأحاديث دون التقيد بشروط في ذلك ، ومن الأمثلة على هذه الأشعار روايته عن أبي السنور الشاعر الأبيات التالية :

بعثنا بمرتافه دون قدركم      وما تبعك إلا لطاف للقل والكبر  
ولكن ظرفا أن تزيد مسودة      فهل تكرمنا بالقبول وبالعذر ؟  
فلو كان بري حسب ما أنت أهله      أتاك إذن روحي على طبق البر ( ٣ )

هذا ونجده ينقل أشعارا ضعيفه البنية كما في البيت التالي :

ومن هو ذو قلبين أوالقواءه      فحلوا وأما غيبه فطنين .  
إن حدث إقواء في البيت لمخالفة حركة النون ما قبلها ، وما بعدها ( ٤ ) .

وهذا جعله عرضة للنقد من بعض الكتاب \* . ونجده في الأشعار التي يرويها يكفي براواواثنين من سندها ، كما أنه نقل أشعارا كثيرة دون توثيقها ومن هذه الأشعار :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل      خلوت ولكن قل على رقيب  
ولا تحسبن الله يفل ساعه      ولا أن ماتخفي عليه يغيب ( ٥ )  
وهذه الأبيات ذكرها ابن كثير للإمام أحمد ( ٦ ) ومن الملاحظ أيضا  
أنه كان غير دقيق في نسب بعض الأشعار إلى قائلها ، ومن الأمثلة على ذلك

( ١ ) روضة العقلاء ، ص ١٦ .

( ٢ ) المرجع السابق ، ص ٩٢ .

( ٣ ) المرجع السابق ، ص ٢٢١ .

( ٤ ) المرجع السابق ، ص ٨٦ .

\* الذي انتقده مصطفى السقا في حاشية ص ٨٦ ، وفي مقدمة روضة العقلاء ص ١٢ .

( ٥ ) المرجع السابق ، ص ١٤ .

( ٦ ) محمد علي الصابوني / مختصر تفسير ابن كثير ٦٨٦ / ٢ .

الأبيات التي مطلعها :

إذا كان ود المرء ليس بزائد على مرحبا أو كيف أنت وحالكا

نسبها إلى صالح بن عبد القدوس (١) وفي موضع آخر نسبها إلى أعرابي كوفي غير الأول (٢) .

وإذا دققنا النظر في منهج ابن حبان في روضة العقلاء فإننا نجد راعي الفروق الفردية متشيا مع قوانين التعلم التي وصل إليها علماء المسلمين قبل أن يعرفها علماء التربية الحديثة في الغرب والشرق فاستخدم ابن حبان الأشعار البسيطة السهلة المودية للفرس وخصوصا الأشعار الرقيقة المركزة على الجوانب الروحانية فأغلب أشعار الكتاب استقاها من التصوفة أمثال : البسامي ، والكريزي ، والأبرش ، ليفوص إلى أعماق الناس بسرعة .

ونجده يروي قصصا تؤول إلى الأعاجم كالذي رواه عن وزير كسري قال :  
( ثلاثة لا تستشيروهم : صاحب الخف الضيق ، وحاqn البول ، وصاحب المرأة السوء السليطة ) (٣) .

وروى من قصص التوراة والإنجيل ، ومثال ذلك ( إن في التوراة أربعة أحرف مكتوبة : من لم يشاور يندم . . . وكما تدين تدان ) (٤) .  
بالإضافة إلى ذلك نجده يستأنس بعبارات غير عربية كقوله : ( شكر أزد سست شيرين ) (٥) .

ويعتمد ابن حبان الأسلوب السهل البسيط لأن هدفه من ذلك الوصول إلى النفوس بسرعة ، ولقد كان متينا في اللغة والأدب ، ولم يعتق بمن يأخذ بمن شعرهم مادام أصاب المعنى الذي أراد ، وتجده يستخرج من الروايات والأشعار مواضع العبر والعظات ويلفت نظر القاري إليها ، وينتقل بالقاري من نص لآخر

(١) روضة العقلاء ، ص ٧٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

ومن شعر آخر معقبا برأيه على كل منها حتى يصل إلى نهاية الباب. ومثال ذلك :  
في باب ذكر كراهية معاداة الناس ذكر الحديث بسنده ثم عقب عليه من فكره ،  
ثم أتبعه أشرا : ( لا شترين عداوة رجل بمودة ألف رجل ) . وجاء بأبيات  
لمهدي بن سابق مطلعها :

تكثر من الإخواف ما استطعت إنهم عماد إذا استنجدتهم وظهور

ثم عقب عليه بقوله : ( لا يجب على العاقل أن يكافئ الشر بمثله . . . حتى لا يجد  
العدو وإليه سبيلا . . . والمعادة للعاقل خير من المصافاة للجاهل ) وأتبع  
ابن حبان تعليقة بشعر للبكري مطلعها :

ولمن يعادي عاقلا خير له من أن يكون له صديق أحمق .

وأتبعه شعرا آخر لابن زنجي ثم عقب عليها جميعا برأية ( ١ ) وهذا هو أسلوبه  
في الرواية ، إذ أنه في البداية يذكر العنوان ثم نص الحديث ويعقب عليه بالشرح  
وبالحديث على الرجال معتنيا في ذلك بالمتخصصين ، ثم يأتي بأشعار يتدرج  
فيها من الصعب إلى الأسهل فيشرح ما صعب منها ثم يأتي بما هو أسهل مراعيًا  
في ذلك الفروق بين الناس ، والمستويات الثقافية ، ويسهل الأمر فيستخرج الشاهد  
بتعليقه على النص ، ثم يأتي بالقصة ، أو الحكمة والمثل .

ومن الأشعار والروايات ما هو قصير لا يتعدى بيت واحد ، ومنها ما يطول إلى  
أكثر من صفحة كوصية ابن المعلى المخزومي من ص ( ١٢٤ ) - ( ١٢٩ ) .

ونجد أن ابن حبان أحيانا يوجز في الحديث عن الموضوع فلا يغطيه تغطية  
كاملة ، ويحيل إلى كتاباته الأخرى كما في باب العلم فإنه يحيل القاري إلى كتابه  
العالم والتعلم ( ٢ ) خوفا من الإطالة .

واتبع ابن حبان في تقسيمه الكتاب إلى أبواب طريقة دقيقة ومنظمة بحيث  
لا يخلط بين باب وآخر ، ولم يكرر إلا نادرا ، ومن الحديث نجده كرر حديث  
( مثل الجليين الصالح . . ) بروايتين متشابهتين مع اختلاف بسيط في اللفظ

( ١ ) روضة العقلاء ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

( ٢ ) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

إحداهما عن أبي موسى الأشعري ذكرها في باب الحدث على صحة الخيار (١)،  
والثانية عن أنس بن مالك ذكرها في باب صفة الأحمق والجاهل ، وشكك فـي  
الرواية الثانية من حيث سماع أحد الرواة ، وحفظه للرواية (٢) . وحدث ذلك  
بالنسبة لحديث ( لا تباغضوا . . ) إذ أورده بثلاث روايات اشتتان منها عن  
أبي هريرة ، والثالثة عن أنس وألفاظها مختلفة ، وقد أورد الأولى عند الحديث  
عن التجسس (٣) والثانية عند الحديث عن الحسد (٤) والثالثة عند الحديث  
عن زجر التهاجر (٥) ولا حرج في ذلك إذ الحديث برواياته فيه دلالات مختلفة  
يمكن استعمالها للدلالة على أي من هذه الأمور .

هذه لمحة موجزة عن منهج ابن حبان في كتاب روضة العقلاء توضح لنا  
استخدامه لأساليب مختلفة في تنمية العقل ما جعله يراعى الفروق الفردية  
ومستويات ثقافة وعقول العام والخاص على السواء ، وهذا كله يمثل انعكاسا  
لعلم ابن حبان ، وانعكاسا لازدهار العلم في العصر الذي عاش فيه .

- 
- (١) روضة العقلاء ، ص ٨٣ .
  - (٢) المرجع السابق ، ص ٩٩ .
  - (٣) المرجع السابق ، ص ١٠٥ .
  - (٤) المرجع السابق ، ص ١١٣ .
  - (٥) المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

( د ) الواقع التربوي في عصر ابن حبان البستي رحمه الله

اتسم القرن الرابع الهجري بسمات متعددة في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، ففي هذا القرن كانت الانقسامات في الدولة العباسية وتعددت الحكومات والممالك ما أثر بدوره على كل من الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، أما الناحية العلمية والحضارية فأخذت تزدهر وتتسع برغم تعدد الولايات التي انبثقت عن الدولة الإسلامية في شتى الأنحاء ، فكانت الحياة العقلية في تلك الفترة مزدهرة ، حيث ارتقت العلوم والفنون وبرزت في هذا العصر مراكز فكرية كثيرة منها بغداد والقاهرة - ودمشق ، ومكة ، وبيت المقدس وقرطبة ، وخراسان وغيرها وهذه المراكز اجتذبت إليها رجال العلم والأدب على امتداد رقعة العالم الإسلامي ومساعد على ذلك مايلي :-

- ١- طبيعة الدين الإسلامي الذي يشجع العلم والبحث والعمل ، وتشجيع الأمراء وتقريبهم العلماء إليهم .
- ٢- احتكاك الثقافة الإسلامية بثقافات الأمم الأخرى ، ورغم ما لهذا العاصم من آثار سلبية على عقيدة العامة إلا أنه كان له أثر كبير في إثراء حركة التأليف والاطلاع على ما أنتجه الآخرون . ( ١ )

لقد كان القرن الرابع الهجري عصر ازدهار الثقافي للأمة الإسلامية حيث برزت فيه نتيجة التفاعل بين الفكر الإسلامي والفكر اليوناني والفارسي والهندي وكانت قد برزت مدارس فكرية مختلفة واستمرت إلى هذا القرن ثم إن بعضها ظهر في القرن الرابع الهجري ومن هذه المدارس :

- ١- المعتزلة : مدرسة فكرية ظهرت في أوائل العصر الأموي واستمرت في القرن الرابع وجعلت الفكر الفلسفي اليوناني منهجاً ، حيث آمن أتباعها بالعقل

---

( ١ ) حسن عبد المال ، التربية الإسلامية في القرن الرابع هـ ، ص ٨٥

وجعلوه أصلاً من أصولهم (١) .

٢- جماعة إخوان الصفاء : جماعة سرية ظهرت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري خلطت بين الفكر الإسلامي والفلسفة اليونانية وكانت تزعمهم عقليهم لاعلمية ، ووضعوا دستوراً متكاملًا للبحث العلمي والفلسفي - كان وليدًا للمنطق اليوناني . (٢)

٣- المدرسة الصوفية : وكان طريقها هو طريق القلب بعد أن يصقّى من شوائبه وطريق النفس بعد أن تتجرد عن لذاتها وهو طريق وعري يصعب سلوكه على الرجال وهو مستحيل على الصبيان وترى هذه المدرسة أنه ( لا جدوى من علوم العقول والنقل إذا لم تستند إلى وجدان روعي يصل الإنسان بربه ويلزمه حدود السورع والزهد ) (٣) .

٤- مدرسة الفقهاء : وتطلق أحياناً على المفسرين والمحدثين ، ولم يتجسّس اتباع هذه المدرسة اتجاهها عقلياً كالفلاسفة ، ولا روحياً خالصاً كالصوفية ، إنما أخذوا يقدّمون الدين للناس في صورة بسيطة بعيدة كل البعد عن الجسد والنظريات الفلسفية والمنطقية الصعبة ، وكان كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - مصدر العلم عندها بالإضافة إلى الاهتمام بتنمية العقل ومراعاة الناحية الروحية في منهجهم . (٤)

---

(١) عبد الغني عبود ، في التربية الإسلامية : ص ١٢٥

(٢) قدرى حافظ طوقان ، العلوم عند العرب ، ص ١٨٩

(٣) المحاسبي ، الرعاية لحقوق الله : ص ١٨

(٤) حسن عبد العال ، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ص ١٠٠-١٠١



ولقد اتبع المربون المسلمون من الفقهاء وغيرهم في القرن الرابع الهجري وسائل متعددة في التربية منها :

١ - الوعظ والإرشاد : فقد دعا المربون إلى تربية الأمة على المنهج القرآني والابتعاد بها عن كل ما يشوه عقيدتها مستخدمين لذلك آيات القرآن والأحاديث الدالة على الترغيب والترهيب والقصص والأشعار الهادفة أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ، ولم يختص الوعظ والإرشاد بمكان معين ، وأهم مناسبة لذلك خطبة الجمعة والأعياد في الساجد ، وقد اهتم المربون بحماية الأطفال من الانحراف ودعوا إلى عدم تعليمهم الأشعار السخيفة والمأجنة ، وضرورة أن يختار لهم ما يهذب طبيعتهم ، ويصلح أمرهم ومن هنا نجد الإنتاج الأدبي الكبير من الحكم والمواعظ والأخلاق في كتابات علماء ذلك العصر ( ١ ) .

٢ - الاهتمام بميول الطفل واستعداداته الفطرية في تأديبه . وساعد المربين على ذلك أمور منها :

أ - ميل الطفل للمدح والإطراء - فعلى المعلم أن يثيبه على إحسانه ليعرف وجه الحسن من القبيح فيدرج على اختيار الحسن ( ٢ ) .  
ب - الاستعانة بميل الصبي الفطري للتقليد والمحاكاة ، فهي أسس

---

( ١ ) حسن عبدالعال ، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري : ص ٩٣ .

( ٢ ) الأهواني ، التربية في الإسلام ( من الرسالة المفصلة للقاسي ) ص ٣١٢ .

الطرق لتعليمه ، لذا فإن الأنظار التفتت إلى ضرورة اجتماع الصبي في مكتبه مع أقرانه من ذوي الأخلاق الحسنة والأفعال المرضية لأن ( الصبي عن الصبي ألقن وهو عنه أخذ وبه آتس ) (١) .

ج - الاستعانة بميل الطفل الفطري إلى الاجتماع بغيره من الأطفال ، وهذا الجانب لم يهتمه المربون في القرن الرابع لما له من قيمة تربوية في التطبيع الاجتماعي ، فكانوا يعمشون الأطفال إلى الكتاب للتعلم حيث يوجد بين صبية آخرين . وفيه ( يترافقون ، ويتعارضون الزيارة ، ويتكلمون ، ويتعاونون . وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة ، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم ، وتحريك لهمهم وتمارين لعاداتهم ) (٢) .

د - الاستعانة بتكوين عادات وميول حسنة منذ الصغر كيأن يعود الطفل طاعة والديه ومعلميه وموئديه ، وكذلك يعود المشي والركوب والرياضة حتى

---

(١) حسن عبدالعال ، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ص ٩٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٤ .

يتمتع الكمل ويتعلم الآداب الحسنة في المأكل والمشرب والملبس والنوم وغيرها (١) . وهذه في حد ذاتها قد تكون هدفاً، لكن مادام هناك هدف أكبر ومقصد نهائي هو مرضاة الله فإن هذه تعتبر وسيلة لتحقيق ذلك الهدف ، وهذه الوسائل ليست وقفاً على القرن الرابع الهجري ، إذ كانت سمة لكل عصور الازدهار العلمي عند المسلمين .

وقد نتج عن تعدد المدارس الفكرية في القرن الرابع الهجري - نتاج علمي كبير في التربية ، والأخلاق وغيرها . وقد وصلنا من هذه الثروة :

- أخلاق العلماء ، لأبي بكر الحسين بن عبد الله الأجرى المتوفى سنة ٣٦٠ هـ ونشرته دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤٠١ هـ تصويراً عن طبعة سنة ١٣٤٩ هـ .

- كتاب أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم وآدابه ، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ المتوفى سنة ٣٦٩ هـ ، والكتاب نشر بتحقيق أحمد محمد مرسي وزميلة - مؤسسة الأهرام . في القاهرة سنة ١٤٠١ هـ .

- أدب الدنيا والدين ، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ، وطبع عدة طبعات آخرها في مطبعة الحلبي بمصر - تحقيق مصطفى السقا سنة ١٩٥٥ م ، ويعتبر من مؤلفات القرن الرابع لأن الماوردي ولد في سنة ٣٦٥ هـ .

- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، لأبي علي أحمد بن محمد بن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، وقد طبع عدة طبعات أحداها بتحقيق قسطنطين زريق ، نشر في الجامعة الأمريكية في بيروت ، وترجم فيه فكر أفلاطون وأرسطو . والتزم بهذا الفكر وعمل على تطبيقه في البيئة الإسلامية . (٢)

(١) ابن مسكويه ، تهذيب الأخلاق : ص ٥٠ - ٥٤

(٢) الالهواني : التربية في الإسلام ، ص ٢٢٩

- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، وهي في العلوم المختلفة ، وتحمل أفكارا تربوياً من الفلسفة اليونانية مع قليل من الفكر الإسلامي ، وقد نشرت في كل من القاهرة ، وبيروت ، وهناك رسالة جامعية بعنوان فلسفة التربية عند إخوان الصفا - قامت بها ، نادية جمال الدين في جامعة عين شمس وهي منشورة الآن .
- الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين ، لأبي الحسن علي بن محمد بن خلف القاسبي المتوفى سنة ٤٠٣ هـ وقد قام بدراسته وتحقيقه أحمد فؤاد الأهواني ، ونشره في كتابه : التربية في الإسلام .
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي وهو الذي بين أيدينا .
- السياسة ، لأبي علي بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ ، ونادى فيه بمسايرة ميول الصبي ثم توجيهه إلى المهنة التي تتفق وميوله ، ونادى بالتعليم الجمعي المنظم في الفصول ، والابتعاد عن التعليم الخصوصي (١)
- سياسة الصبيان وتربيتهم ، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد (ابن الجزار) المتوفى سنة ٣٦٩ هـ ، ونشر في تونس بعناية ، فرحات الدشراوي - مجلة البحث العلمي - الجامعة التونسية - العدد الثالث سنة ١٩٦٦ م .

---

(١) الأهواني : التربية في الإسلام ص ٢٣١ - ٢٣٢

## معاهد التعليم الإسلامي في القرن الرابع الهجري :

- تعددت مؤسسات التعليم ومعاهده في هذا القرن - وكانت هذه تشمل :
- ١- الكتاب : كان نظاما حرا حيث يفتح المعلمون مكاتب للتعليم دون تدخل أحد وكانت الحياة فيه بسيطة ، وأوقات الدراسة من شروق الشمس إلى أذان العصر ، طيلة الأسبوع ماعدا الجمعة إذ كان للراحة ، وكان يتخلل الدراسة فسحة حيث يخرج التلاميذ بعد صلاة الظهر إلى منازلهم لتناول الغداء ثم يعودون وكانوا يعطلون في المواسم والأعياد ، وحينئذ ختم القرآن الكريم ، وكان نظام الدراسة فيه كالتالي :
  - يدرس القرآن الكريم من الصباح حتى الضحى .
  - الكتابة من الضحى إلى الظهر .
  - تدرس بقية العلوم بعد عودة التلاميذ من الغداء إلى العصر .

وكانت الكاتيب تغرش بالعصر غالبا وأدوات التعليم المستعملة : المصاحف والألواح ، والدوى ، والأقلام ومكان الكتاب خارج المسجد ، واقتصر على تعليم الذكور دون الإناث ( ١ ) وعدم دراسة البنات في الكتاب لايعني حرمان المرأة من التعليم ، فقد كانت المرأة تحضر الخطب في المسجد وحلقات العلم حيث كانت تجلس محتجبة عن الرجال . ( ٢ )

- ٢- المسجد : هو أقدم مؤسسة تعليمية في الإسلام ، واشتهرت في القرن الرابع عدة مساجد ، في التعليم منها : المسجد الحرام بمكة ، والمسجد النبوي في المدينة المنورة ، والمسجد الأقصى ببيت المقدس ، وجامع المنصور ببغداد ، وجامع عمرو بن العاص بمصر ، والمسجد الأموي بدمشق

---

( ١ ) حسن عبدالعال ، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ص ٢١٤-٢١٥

( ٢ ) أحمد شلبي ، تاريخ التربية الإسلامية ، ص ٣٣٣

والمسجد الجامع بقرطبة وكانت هذه المساجد قبلة طلاب العلم يومئذ من جميع الأمصار فينهلون ما أفاض الله على أهلها من العلم . ( ١ )

٣- حوانيتالوراقين : وهي مكاتب تجارية لبيع الكتب ، ولها إسهامات في إنعاش الحركة العلمية والأدبية ، وكان أصحابها من الأدباء والعلماء الذين يستمتعون بالعلم ، ولقد ارتادها العلماء وكانوا يلون تلاميذهم فيها .

٤- منازل العلماء : كمنزل أبي حاتم الرازي وغيره حيث كان طلاب العلم يرتحلون إليهم وكانت بيوتهم بمثابة معاهد للعلم يقضون أغلب وقتهم في التعلم والتعليم ، وكانت تدار فيها حلقات كبيرة وكان التلاميذ يكتبون عن شيخهم ، وكان الأمراء والوزراء يساعدونهم على ذلك .

٥- الصالونات الأدبية : كانت من الأماكن التي تعرض فيها العلوم وتدار فيها المناقشات في المواضيع المختلفة ومنها صالون ابن العارض ، وابن الفرات ، وابن العميد ، والصاحب بن عباد ، والصالونات الأمراء وغيرهم ، وقد ساهمت الصالونات بإيجابية في دعم الحركة العلمية في ذلك الزمن .

٦- دور الكتب : انتشرت دور الكتب في القرن الرابع بشكل كبير ، وتنافس الأمراء في إنشائها فأصبحت تجد في كل مسجد كبير مكتبة ، وكان الفقهاء يوزعون كتبهم على المساجد ، ولقد أثرى انتشار المكتبات الحركة العلمية ، وساعد في ازدياد الإفادة من العلم ، ومن أبرز دور الكتب في ذلك القرن دار الحكمة ببغداد ، ومكتبة الزهراء بقرطبة . ( ٢ )

٧- المدارس : ظهرت المدارس في أواخر القرن الرابع الهجري وبذلك سر المقدسي ( ٣ ) أن الوزير نظام الملك هو أول من بنى المدارس في الإسلام .

---

( ١ ) حسن عبدالعال ، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ص ٢١٥ - ٢١٦

( ٢ ) المرجع السابق ، ص ٢١٦ - ٢١٩

( ٣ ) أحسن التقاسيم ، ص ٤٤

وقيل أن الأمير شجاع الدين صادر بن عبد الله الذي أنشأ المدرسة  
الصادرية في دمشق سنة ٣٩١ هـ (١) هو أول من شيد المدارس وهو  
أصح من رأي المقدسي لأن الوزير نظام الملك عاش في القرن الخامس بأصف  
والى ذلك أن الفاطميين سبقوا في إنشاء المدارس عندما أوجدوا الجامع  
الأزهر سنة ٣٥٩ هـ لتدريس العلوم التي تخدم نشر مذهب الشيعة  
الإسماعيلية ، واستمر الأزهر معهداً علمياً وجامعة من أكبر الجامعات  
الإسلامية في العالم إلى اليوم .

### مراحل التعليم في القرن الرابع الهجري :

لم تكن هناك مراحل للتعليم بالصورة المألوفة اليوم إذ لم يكن مقسماً إلى  
تعليم ابتدائي ومتوسط وثانوي ، إنما كانت مرحلة واحدة تبتديء بالكتاب أو بالمعلمين  
الخاصين وتنتهي بالحلقات في المساجد وأماكن التعليم الأخرى ، فمن المتعلمين  
من كان يواصل التعليم في الحلقات ، ومنهم من كان يقتصر على تعليم الكتاب  
من قراءة وحفظ ما تيسر من القرآن و فهم ما يحتاجه من أمور الدين . (٢)

كما أنه لم يكن هناك منهج معين تسيرون عليه الأمة كما هو جار في المدارس  
النظامية ، ولم تكن هناك درجات علمية تمنح بعد امتحان ، إنما كان يجلس من  
يأنس في نفسه الكفاة أمام العلماء ويتلقى مناقشتهم لإعداده للتدريس فيما بعد (٣)

ولم يكن التعليم إلزامياً كما أنه لم تكن هناك قواعد موضوعة للانتظام فسي

---

(١) أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها : ١٠١/٢

(٢) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ٦٦/٢

(٣) عبد الله حسين ، التعليم العربي والجامعي : ص ١٢١ - ١٢٥

الدراسة بل كان الأمر اختياريًا للطلاب ، ولم تتدخل الدولة في التعليم  
إلا حينما بدأت تفتح المدارس والمعاهد فمكنت من يد رس العلوم والمذاهب التي  
ترغبها . (١)

واتجه اهتمام المربين المسلمين إلى العناية بالإنسان وتربيته على قواعد  
تختلف باختلاف مراحل حياته ، ورغم عدم وجود مراحل تعليمية محددة كما بيننا  
إلا أن حسن عبدالعال ميز في كتابه : التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري  
بين المراحل التالية :-

١ - المرحلة الأولى - مرحلة سني المهد ( من الميلاد إلى نهاية الثانية ) :  
وجهت التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري عناية فائقة للطفل الرضيع  
في مرحلة المهد فافتت عناية أي نظام تربوي آخر حديث أو قديم فاهتمت  
بصحة الطفل الجسمية ونادت بإشباع حاجاته من الطعام والنوم واللباس  
والنظافة وعنت بحشيه بأن لا يحمل عليه قبل انبعائه إليه ، واهتمت بصحته  
النفسية فحرصت على اعتدال مزاج الأم قبل الرضاعة واشترطت صفات معينة  
في المرضعة من حيث السن والقوة وحسن الخلق والعقل بحيث لا يؤثر  
ذلك في الطفل تأثيرا سلبيا - وحرصت أيضا على التدرج في عملية الفطام ،  
وعلى إشاعة الجو الهادي الملائم لنوم الطفل لينمو نموا طبيعيا في حرص  
تام على صحته النفسية والجسمية . (٢)

ب - المرحلة الثانية : مرحلة الروضة ( من ٣ - ٥ سنوات ) .  
توجه الاهتمام في هذه السن إلى أخلاق الطفل لإدراك المربين  
أن نفسه لا تولد على صورة محددة إنما تكون قابلة للفضيلة والرياسة

---

(١) حسن عبدالعال ، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري : ص ١٠٤

(٢) ابن سينا ، القانون في الطب ، ١ : ١٥٣ - ١٥٤ .



واهتموا أيضا بالنمو البدني وتركوا للطفل فرصة كافية للعب ، واهتموا بتربية حواسه لأنها وسيلة إدراك الصبي الفعالة في هذا السن . ( ١ )

ج - المرحلة الثالثة : مرحلة التعليم الأولى ( من ٦ - ١٤ سنة ) :

وببدأ التعليم في هذه السن بإرسال الولد إلى المؤدب أو المعلم كما قال ابن العربي ( للقوم في التعليم سيرة بديعة وهي أن الصفيّر إذا عقل بعشوه إلى المكتب ) ( ٢ ) وهذه هي السن المقصودة بـسـن التمييز أو العقل فإذا بلغ الصبي الخامسة أو السادسة من العمر ساقده أبوه إلى الكتاب . ( ٣ ) وهذه أنسب سني العمر لتعلم القراءة والكتابة ، فيها تظهر الدقة العضلية للأنامل ، وفيها يتعلم التلميذ أساسيات العلوم والغنون من قرآن ، وقراءة وكتابة ، وخط وشعر من غير تعمق ، واهتموا بتلقيه المعارف الحسية ، وكان تركيز هذه المرحلة على الآداب الشرعية لأن الشريعة تقوم الصبيان وتعودهم الأفعال الحسنة ، وتعد نفوسهم لطلب الفضائل .

وفي هذه السن كانت تستعمل الوسائل التعليمية والتطبيق العملي للدراسة النظرية ، واستعمل العقاب في التأديب من غير شدة ، لأن العربي كان بمثابة الأب فهو يحرص على الرفق بتلاميذه والتدرج في تدريسهم ومعالجة أخطائهم ( ٤ ) . ولم يفت العرب المسلمون استخدام الشواب ومن بين تلك الوسائل المدح وتعيين المتفوق عريفا وتوليته بعض الأعمال

---

( ١ ) حسن عبد العال ، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري : ص ١١٢ - ١١٤

( ٢ ) ابن العربي : أحكام القرآن : ٢ / ٢٩١

( ٣ ) ابن سحنون : آداب المعلمين تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ص ٥

( ٤ ) الأهواني ، التربية في الإسلام ( التربية عند القاسمي ) ص ٣٠٩ - ٣١١

التي تشعره بالثقة في نفسه وغير ذلك من أنواع الثواب . ( ١ )

د - مرحلة التعليم العالي ( تعليم الكبار ) :

اهتمت التربية الإسلامية كذلك بتعليم الكبار . وكان المتعلم يواصل التعليم العالي في حلقات العلم في المساجد أو في المدارس . ومدة الدراسة في هذه المرحلة تطول وتقصر حسب درجة وعي الطالب ومقدرته على الاستيعاب .

المنهاج الدراسي في القرن الرابع الهجري :

اتجهت العناية في مرحلة ما قبل السادسة إلى تهذيب الأخلاق وتعديل السلوك والاهتمام بالنمو الحسي بتدريب الحواس وتنميتها ، وكذلك بالنمو الحركي بإطلاق العنان للأطفال في اللعب وممارسة الرياضات المختلفة ، أما في مرحلة التعليم الأولي فقد ركز العربون على تعليم القرآن الكريم ومبادئ العلوم الأخرى ، ويرى ابن مسكويه ، أن من تعلم علوم الشريعة في الصبا حتى يتعودها فلينظر بعدها في كتب الأخلاق حتى يروض نفسه على محاسنها ثم ينظر في المعارف الأخرى ( ٢ ) وكذلك تعليم العبادات والنحو وحروف الهجاء ، والخسطة ، ومبادئ الحساب ، والتاريخ ، والسير ، والشعر الحسن ( ٣ ) وكذلك لم تهمل الرياضة البدنية في هذه المرحلة . واستخدمت طرق تدريس مختلفة في هاتين المرحلتين من التعليم وغلبت طريقة التلقين والتكرار والاعتماد على الحفظ والاستظهار ، صعدج المتعلم من الحفظ عن طريق التلقين إلى الكتابة

( ١ ) ابن سحنون ، آداب المعلمين ، ت . حسن عبد الوهاب ص ٥١

( ٢ ) تهذيب الأخلاق ص ٤٢

( ٣ ) الاهواني : التربية في الإسلام ص ٢١٥

ثم بعد الحفظ يتدبر ما حفظه (١).

أما في مرحلة التعليم العالية فقد اشتمل محتوى المنهاج على المعارف التي سادت ذلك العصر مثل الفقه والنحو ، والكتابة ، والمروءة ، والتاريخ ، وعلوم القرآن والسنة ، والبلاغة ، والعلوم الطبيعية والرياضية والطب وغيرها حيث كان التخصص الضيق غير معروف فكنت تجد العالم موسوعة في العلوم المختلفة ولم يقتصر على فن معين (٢)

وكانوا يدرسون في هذه المرحلة بطريقة المحاضرة ، والطريقة الحوارية أحيانا ، واستخدمت طريقة الإملاء والقراءة على الشيخ ، والرحلة في طلب العلم والمناظرة في العلوم وغير ذلك من الأساليب المتعددة . (٣)

#### المعلم في القرن الرابع الهجري :

- معلموا الكتاتيب : اقتصر تعليمهم على الصبيان ، ولم يعدوا إعدادا مهنيا وثقافتهم بسيطة إذا ما قورنت بغيرهم ، فهم يقتصرون على ما يوهلهم لتعليم الصغار ، وكانوا يتصلون بالشيخ الكبار ، ومنهم من اتسعت ثقافته فشملت غير القرآن من النحو والشعر ، والحساب ، والبعض اقتصر على حفظ القرآن والكتابة ، وكانت حالتهم المادية ضعيفة . (٤)
- المؤدبون : هم المدرسون الخصوصيون وكانوا أحسن حالا من معلمي الكتاتيب ، وكانوا على درجة جيدة من الثقافة وفي سعة من العيش .

-----

- (١) الأهواني / التربية في الإسلام ص ١٨٢
- (٢) حسن عبد المال ، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ص ١٤٠ - ١٤٣
- (٣) الرجع السابق ، ص ١٥٢ - ١٥٦
- (٤) سعيد إسماعيل علي ، معاهد التعليم الإسلامي ، ص ٨٨

- العلماء : وهو لا اكتسبوا احترام الناس وتقديرهم ، ولم يكن هناك نظام لإعداد المعلم لمهنته حيث تقع المسؤولية في ذلك على المعلم نفسه والعلماء أقتصرت تعليمهم على التدريس في الحلقات سواء في بيوتهم أم في المساجد ، بينما المعلمون : اسم يطلق على معلمي المدارس ووجدت هذا النوع من المدرسين في نهاية القرن الرابع الهجري بعد افتتاح المدارس .

وللمعلم ألقاب كانوا يطلقونها عليه وهي :

معلم - مؤدب - شيخ - مدرس - فقيه - أستاذ - رحلة - إمام -  
حبر - محقق - مفيد - مقرر - معيد - مستلي (١)

وكان هؤلاء المعلمون يؤدون عملهم ابتغاء مرضاة الله سبحانه ، وهذا لا يمنع أخذ الأجرة والراتب على العمل ، لكن كان الكثيرون منهم لا يأخذون أجرا من الناس .

#### إدارة التعليم وتمويله :

كانت نفقات التعليم في القرن الرابع قليلة لعدم تخصيص أماكن معينة للتعليم ولعدم أخذ المعلمين أجورا على عملهم من الدولة ، وكانت هناك دور للمعلم ، ومساكن للمتعلمين الذين يحضرون من الأسفار للتعليم ، وهذه كانت من الوقف ، ونفقاتها من تبرعات المحسنين من الوزراء وأفراد الشعب ، وبالتالي أنشأت العديد من دور الكتب من الصدقات ، وأجرى الحكام نفقات للطلاب والمعلمين ، وأوقفوا لهذا الغرض ، ولم تكن هناك إدارة منظمة للتعليم لوجود الحرية للمعلم والمتعلم .

(١) حسن عبد العال ، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ،

ولعدم وجود مؤسسات تعليمية تشرف عليها الدولة ، وكان هناك تعاون بين الدولة وأفراد الأمة في تكوين مؤسساتهم التعليمية ، وتمويل التعليم ، والإشراف عليه ، وتغيير الأمر في نهاية القرن عندما افتتحت الحكومات المدارس لتخريج كفايتها من العمال . ( ١ )

---

( ١ ) حسن عبد العال ، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١٢٧٦-١٢٧٩

### ( هـ ) خاتمة الفصل

لقد قام الباحث بالتمريف بابن حبان فترجم له مبينا اسمه ونسبه ومولده .  
وتفاعله مع رجال الفكر والعلم في عصره ، ما دعاه إلى الترجمة لبعض شيوخ  
ابن حبان المشاهير وتلاميذه ، وآثاره ، ثم تحدث الباحث عن أخريات حياة  
ابن حبان وملاقاته في محنته ، ووفاته .

ثم انتقل الباحث إلى التعريف بكتاب روضة العقلاء من حيث وصفه ،  
وتحقيق نسبته إلى المؤلف ، وأبواب الكتاب ، وسبب تأليفه ، وأساليبه  
تنمية العقل عند ابن حبان .

ثم تحدث الباحث عن الواقع التربوي في القرن الرابع الهجري الذي عاش  
فيه ابن حبان ليتمكن القارئ من إدراك المؤثرات التي وجهت فكر هذا العالم  
الفيلسوف .

# الفصل الثاني

العقل ومكانته في الشريعة الإسلامية  
والترقية حتى عصر ابن حبان

## ( ١ ) مقدمة الفصل

لقد خلق الله الخلائق لمهام تقوم بها في حياتها ، وكانت مهمة الإنسان من أنبل المهام وهي استخلافه في الأرض بأن يعمرها ويقيم شريعة الله سبحانه فيها ، فمهد السبيل أمامه وأعطاه مفاتيح يستطيع استخدامها لترقية حياته. زوده بالعقل ليكشف من قوانين الكون وأسراره ، ويتحضر ، ويبدع ، وفرصته في ذلك إعمال عقله ، والله عز وجل لم يجعل العالم صعبا معجزا للإنسان عن الإبداع ، أي أن الله سخر لنا هذا الكون الفسيح وأعطانا القواعد العامة وأمرنا بالعمل والاجتهاد ، ومنحنا التصور الإيجابي لدور الإنسان بنأى عن التصورات السلبية ، لئلا يدمر المذاهب الوضعية التي جردت هذا الإنسان من قدراته وحرية في استغلال الكون ، فالإنسان في الإسلام هو السيد الفاعل المريد الذي سخرت له الطبيعة لتلبية متطلبات خلافة في الأرض ، وإعـمـاره للعالم في حفظ من الله ورعاية ، ودور الإنسان في الأرض أنه قوة فاعلة ، مفكرة ، مريدة ، منفذة ، مستقلة ، مفضلة . ( ١ )

واحتل العقل حيزا كبيرا في كتاب الله ، وفي كتابات العلماء المسلمين ، وسنتحدث في هذا الفصل عن العقل ومفهومه في اللغة العربية ، والقرآن ، والسنة ، وعند علماء المسلمين ، ثم نتحدث عن أهمية العقل في الشريعة الإسلامية ومجالاته وحدوده ، ثم نتعرض لأفراض العقل التي ذكرها القرآن الكريم ، وكذلك نتحدث عن طرق تربية العقل ، وعن العقل كوسيلة للمعرفة .

( ١ ) عماد الدين خليل ، العقل المسلم والرواية الحضارية ، ص ٧ - ١٢



## (ب) مفهوم العقل

### (١) مفهوم العقل في اللغة العربية :

العين ، والقاف ، واللام ، أصل واحد ، يدل عظمه على حبسه في الشيء ، أو ما يقارب الحبسة ، ومن ذلك العقل هو الحابس عن ذم القول والفعل (١) الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها ، والعقل : الحجز والنهي : ضد الحق . والجمع عقول من عقل يعقل عقلاً ومعقولاً وهو مصدر ، وعقل فهو عاقل ، وعقول : من قوم عقلاء ، قال ابن الأنباري : رجل عاقل : وهو الجامع لأمره ورأيه مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه . والمعقول ما تمقلته بقلبك ، والمعقول : العقل ، ومعقله : أي أعقل منه . والعقل الثابت في الأمور ، وقيل هو القلب : وسي عقلاً لحبسه صاحبه عن التورط في المهالك وقيل : هو التمييز الذي يميز الإنسان عن الحيوان . وأعقلت فلانا أي ألفيته عاقلاً ، وعقلته : أي صيرته عاقلاً ، وعقل الدابة البطن ، أي مسكه بعد استطلاقه ، ويقال عقل فلان فلانا إذا أقام على إحدى رجليه (٢) والعقل في العروض : إسقاط اليا من مفاعيل بعد إسكانها فتصير مفاعيلن (٣) والعقل نقيض الجهل ، ويقال : عقل إذا عرف ما كان يجهله ، وانزجر عما كان يفعل ، والعقول حسن الفهم (٤) ويقال للقوة التهيئة لقبول العلم ، ويقال للمعلم الذي يكتسبه الإنسان بالعقل (٥) ، وقيل : هو العلم بصفات

- (١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة : ٦٩/٤  
 (٢) ابن منظور ، لسان العرب : ٤٨٥/١٣ - ٤٩٠  
 (٣) الجرجاني ، التعريفات ، ص ١٥١ - ١٥٢  
 (٤) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة : ٦٩/٤ - ٧٠  
 (٥) الراغب الأصفهاني : مفردات القرآن ص ٤٤٦

الأشياء حسنها وقبيحها وكمالها ونقصانها ، والعلم بخير الخير بر وشـر والشرين (١) وجاء العقل بمعنى الدية ، وعاقلة الرجل قرابته ، وداء عقل : أي لا ير منه ، وعقيلة القوم سيدهم ، وعقيلة كل شيء أكرمه ، وعقيلة البحر : الدرة وعواقل الأمور ما التبس منها (٢) واعتقل رحمه أي جعله بين ركابه وساقه ، وبغير عقل : أي ملتوي الساق ، وعقلت المرأة شعرها : مشطته ، ومنه الماقله : بمعنى الماشطة ، وقولهم : ( ما أ عقله عنك شيئاً ) : أي دعه عنك الشك ، والمرأة تماقل الرجل : أي توازيه (٣)

## (٢) العقل في القرآن الكريم :

لم ترد لفظة ( العقل ) في القرآن الكريم مجردة ، إنما وردت الإشارة إليه في مواضع متعددة من آيات القرآن في صيغ مختلفة بذكر مشتقاتها في تسع وأربعين موضعاً فذكرت لفظة ( تعقلون ) في أربعة وعشرين موضعاً منها ما وردت مقرونة بالاستفهام التقريري التوبيخي بصيغة ( أفلا تعقلون ؟ ) في ثلاثة عشر مرة في المواضع الآتية : في سورة البقرة / ٤٤ ، ٧٦ ، وفي آل عمران / ٦٥ ، وفي الأنعام / ٣٢ ، والأعراف / ١٦٩ ، ويونس / ١٦ ، وهود / ٥١ ، ويوسف / ١٠٩ ، والانبيا / ١٠ ، ٦٧ ، والمؤمنون / ٨٠ ، والقصص / ٦٠ ، والصفات / ١٣٨ ، ومثال ذلك قوله تعالى : " أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ " البقرة / ٤٤ .

وجاءت الإشارة إليها بصيغة ( لعلمكم تعقلون ) في ثماني مرات ، في سورة البقرة / ٧٣ ، ٢٤٢ ، والأنعام / ١٥١ ، ويوسف / ٢ ، والنور / ٦١ ، وغافر / ٦٧ ، والزخرف / ٣ ، والحديد / ١٧ ، ومثال ذلك قوله تعالى : " كَذَلِكَ يَحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " البقرة / ٧٣ .

- 
- (١) الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط : ٢٧٨ / ٣ - ٢٧٩  
 (٢) الجوهري ، الصحاح : ١٧٧١ / ٥ - ١٧٧٢ ، وفي اللسان : ٤٩٠ / ١٣ - ٤٩١  
 (٣) الجوهري ، الصحاح : ١٧٧١ / ٥ - ١٧٧٢ .

وجاءت الإشارة إلى العقل بصيغة (أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) مرة واحدة في قوله تعالى : " وَلَقَدْ أَضَلَّ سَبِيلَكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ " يس/٦٢ .

وجاءت الإشارة إلى العقل بلفظ (إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) مرتين في قوله تعالى : " قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ " آل عمران/١١٨ ، ووردت بنفس الصيغة في سورة الشعراء/٢٨ . ووردت لفظة (يَعْقِلُونَ) في القرآن الكريم في اثنتين وعشرين موضعا ، حيث وردت بأسلوب النفي بصيغة (لَا يَعْقِلُونَ) إحدى عشر مرة في المواضع الآتية : البقرة/١٧٠ ، ١٧١ ، المائدة/٥٨ ، ١٠٣ ، والأنفال/٢٢ ، ويونس/٤٢ ، ١٠٠ ، والعنكبوت/٦٣ ، والزمر/٤٣ ، والحجرات/٤ ، والحشر/١٤ ، ومثال ذلك قوله تعالى : " أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ " البقرة/١٧٠ .

وجاءت الإشارة إلى العقل بصيغة (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) في عشر مرات فيما يأتي البقرة/١٦٤ ، والرعد/٤ ، والنحل/١٢ ، ٦٧ ، والفرقان/٤٤ ، والعنكبوت/٣٥ ، والروم/٢٤ ، ٢٨ ، والجاثية/٥ ، والحج/٤٦ ومثال ذلك قوله تعالى : " وَلَقَدْ تَرَكْنَا فِيهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " العنكبوت/٣٥ .

وجاءت الإشارة إلى العقل بلفظ (يَعْقِلُونَ) في مرتين ، في سورة الحجج ٤٦ ، وفي قوله تعالى : " أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ " الفرقان/٤٤/ .

وجاءت بصيغة (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) في قوله تعالى : " وَمِنْ نَعْمَةِ نُنَكِّسُهُ فِئْسِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ " يس/٦٨ .

وجاءت الإشارة إلى العقل بلفظ (يَعْقِلُهَا) في قوله تعالى : " وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ " العنكبوت/٤٣ .

وجاءت كذلك بلفظ (عَقْلُوهُ) في قوله تعالى : " وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " البقرة/٧٥ . وكذلك بلفظ (نَعِقلُ) في قوله تعالى : " لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي سَبِيلِ أَصْحَابِ السَّعِيرِ " الملك/١٠ .

هذه لمحة موجزة عن الآيات التي وردت فيها الإشارة إلى العقل في القرآن الكريم ، وهذا يدلنا على أهميته العظمى التي من أجلها جعل العقل مناطاً للتكليف ، ومن ثم أمرنا الله سبحانه بالمحافظة عليه ضمن الكليات الخمس \* التي بحفظها يجمع الخير لحياة الإنسان .

### ( ٣ ) العقل في السنة

لقد ذكر العقل في السنة المطهرة بكثرة إلا أنه لم يثبت صحة تلك الأحاديث قال ابن حبان : ( لست أحفظ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - خبراً صحيحاً في العقل ، لأن أبا بن أبي عياش وسلمة بن وردان ، وعمير بن عمران ، وعيسى بن زيد ، والحسن بن دينار ، وعبد بن كثير ، وميسرة بن عبد ربه ، وداعود بن المحبر ، ومنصور بن صقروذ ويهم - الذين رَووا أحاديث العقل جميعها - ليسوا من أحتج بأخبارهم ، فأخرج ما عندهم من الأحاديث في العقل ) ( ١ ) ، ولم ينفرد ابن حبان في هذا الرأي وإليك ما قاله ابن الجوزي : ( المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل العقل كثير إلا أنه بعيد الثبوت ) ( ٢ ) وقد خرج الحافظ العراقي ما أورده الإمام الفزالي في إحياء من أحاديث في العقل وحكم عليها بالضعف ، ( ٣ ) ورد ابن تيمية على بعض هذه الأحاديث بأنها مكذوبة ولم تصح وقال : بأنه استدل بها الفلاسفة ( ٤ ) وفي الأثر عن الصحابة - رضوان الله عليهم - والتابعين تكرر المقالات في فضائل العقل ، ومن ذلك ما ورد في رسالة الفاروق عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما : ( إن القضاء

\* الدين ، والنفس ، والعقل ، والمال ، والنسل .

( ١ ) روضة العقلاء : ص ٤

( ٢ ) ذم الهوى : ص ٧

( ٣ ) الفزالي ، إحياء علوم الدين ( بهلشه المغني عن حمل الأسفار في

الأسفار ) الحافظ العراقي ١ / ١٤١ - ١٥١ .

( ٤ ) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٨ / ٣٣٦ - ٣٣٨

فريضة محكمة وسنة متبعة . . ولا يمنعك من قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه لرأيك ، وهديت فيه لرشدك - لعقلك - أن تراجع الحق لأن الحق قد يم ولا يبطل الحق شيء ، ومراجعة الحق خير من التماذي في البطل ( وقال أيضا : ( ليس العاقل من يعرف الخير من الشر ، ولكن العقل الذي يعرف خير الشرين ) ( ١ ) .

وقيل لابن المبارك : ( ماخير ما أعطي الرجل ؟ قال : غريزة عقل ، قيل فإن لم يكن ، قال : أدب حسن ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال أخ صالح يستشير ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : صمت طويل ، قيل فإن لم يكن ؟ قال : موت عاجل ) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما خلق الله العقل قال له : أدبر ، ثم قال له : أقبل فقال : وعزتي ما خلقت خلقا قط خير منك ، فبك أعطي ، وبك آخذ ، وبك أعاقب ( ٢ ) وهذا الأثر ضعفه ابن تيمية ( ٣ ) .

ومن بحثنا في ورود لفظة ( العقل ) في القرآن الكريم والسنة نجد أن النصوص القرآنية ذكرت العقل بمشتقاته - بصيغة الفعل - الدالة على ثمرات العقل ، وأن الأحاديث التي وردت في العقل كإسم ضعيفة كما بينا ، وإنما ورد العقل بصيغة الفعل ليدلنا على عدم جواز البحث في ماهية العقل كإسم لعدم الاستفادة من ذلك ، ولأن المهم هو معرفة ثمرات العقل ووظائفه من اتباع منهج الله ، وهذا يطلعنا على ضلال الأم الأخرى رغم تقدمها المادي حين ركزت بحثها في السنين الطويلة التي مضت في البحث عن ماهية العقل فلم تصل الى تحديد لماهيته . ومن هنا فرغم اهتمامهم بالعقل إلا أنهم لم يبرزوا عاقلا كاملا كما فعل الإسلام .

( ٢ ) تطور مفهوم العقل عند علماء المسلمين حتى عصر ابن حبان :

لقد ذكر العقل الكبير من علماء المسلمين فأفرد له البعض مؤلفات ورسائل مستقلة والبعض الآخر تحدث عنه في باب أو فصل مستقل من كتاباته كما فعل القاضـي

---

( ١ ) السيوطي / جامع الأحاديث للمسانيد والمراسيل ٨٣ / ٢ وقال : رواه الدارقطني والبيهقي ، وابن عساكر .

( ٢ ) روضة العقلاء ص ٥ ، وكذلك ابن الجوزي / ذم الهوى ، ص ١١ .

( ٣ ) ابن تيمية / مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٣٦ / ١٨ .

عبد الجبار في كتاب المغني في أصول الاعتقاد إذ يمثل العقل أحد الأصول الخمسة التي بني عليها مذهب المعتزلة .

ومن الذين أفردوا للعقل مؤلفات مستقلة :

الحارث المحاسبي المتوفى سنة ٢٤٣ هـ ، في مائة العقل الذي نشر في بيروت بتحقيق حسين القوتلي .

والكندي المتوفى سنة ٢٥٢ هـ ، في ( رسالة في العقل ) وقد نهج منهجاً مستمداً من الفلسفة اليونانية ، ونشر في القاهرة ضمن ( رسائل فلسفية ) بتحقيق عبد الرحمن بدوي .

وَأَلَّفَ ابن أبي الدنيا المتوفى سنة ٢٨١ هـ كتاب ( العقل وفضله ) وسار فيسره على طريقة المحدثين ونشر في القاهرة بتحقيق عزت العطار .

وكذلك ابن حبان البستي في روضة العقلاء و نزهة الفضلاء ويعتبر أفضل ما كتب في العقل حتى عصر ابن حبان لتركيزه على الجوانب السلوكية للعقل <sup>تعدت</sup> ثميرات العقل ( ولا التزامه منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم ، هذا وقد أتعريفات العلماء للعقل وسنذكر بعضاً منها :

١ - يرى سري السقطي المتوفى سنة ٢٥١ هـ أن العقل ما قامت به الحجة على مأمور ومنهي (١).

٢ - ويرى يوسف بن الحسين الرازي - ت سنة ٣٠٤ هـ - أن أصل العقل الصمت ، وباطن العقل كتمان السر ، وظاهره الاقتداء بالسنة (٢) وفي هذا المفهوم تقسيم للعقل إلى ظاهر وباطن وهبي نظرية فلسفية خاطئة ، لأن العقل وحدة واحدة لا يمكن أن تقبل الازدواجية .

---

(١) الشترافي/ الطبقات الكبرى ، ص ١٣٥ .

(٢) السلمي / طبقات الصوفية ، ص ١٨٩ .

- ٣ - ويرى جعفر الخلدی - ت سنة ٣٤٨ هـ . وهو معاصر لابن حبان أن العقل ما يعد المرء عن الممالك (١) .
- ٤ - ويرى أبو الحسن التميمي أن العقل نور وظيفته كشف أسرار الكون (٢) .
- ٥ - ونذهب إلى ما أم أحمد وابن المبارك والمحاسبي إلى أن العقل غريزة لأنها نور يقذف في القلب ، به يستعد المرء لادراك الأشياء ، وضعها الله سبحانه في أكثر خلقة ، ولم يطلع عليها العباد بعضهم من بعض ، ولا اطلعوا عليها من أنفسهم بروية أو لمس أو ذوق ، أو طعم ، وإنما عرفهم الله إياها بالعقل منه ، فبذلك العقل عرفوه ، وشهدوا عليه بالعقل الذي عرفوه به من أنفسهم بمعرفة جواز الجائزات واستحالة المستحيلات - معرفة ما ينفعهم وما يضرهم - فبهذه المعرفة يعرفون أن الله تعالى قد من عليهم بالعقل الذي سلب أهل الجنون وأهل التيه ، وسلب أكثره الحمقى الذين قلت عقولهم (٣) وهذا ما عليه ابن تيمية وابن الجوزي ومن سار على منهج السلف .
- ٦ - مفهوم العقل عند ابن حبان : قال رحمه الله : ( إن محبة المرء المكارم من الأخلاق وكرهاته سفاسفها هو نفس العقل ، فالعقل يكون الخطي ، ويؤنس في الغريسة ، وينفي الفاقة ، ولا مال أفضل منه ، ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله - وعلى هذا فهو يعرفه بقوله - العقل : اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب والعلم باجتنب الخطأ (٤) )
- 
- (١) السبكي / طبقات الشافعية ٢/ ٢٣٨ :
- (٢) ذكره ابن الجوزي / ذم الهوى ص ٥ ، والأذكياء ص ١٠ ، وكذلك محمد أمان الجاسي / العقل والنقل عند ابن رشد ص ٧٧ . والمحاسبي / العقل وفهم القرآن ص ٢٠٤ .
- (٣) المحاسبي / العقل وفهم القرآن ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، وكذلك ذهب إلى هذا التعريف الجويني / البرهان ١/ ١١٢ ، وابن الجوزي / ذم الهوى ص ٥ ، والأذكياء ص ١٠ ، وابن تيمية / الإيمان ، ص ٢٠ .
- (٤) روضة العقلاء ، ص ٤ .

والتأمل في تعريف ابن حبان هذا للعقل يجد أنه يفهمه بنفس المفهوم الشامل الذي ذهب إليه الجمهور ، وما ذهب إليه معظم العلماء أن العقل غريزة هو الراجح لجمعه وظائف العقل من إدراك وعلم وتلمح للأمور المستقبلية فهو نفس المقصود بالمعرفة بسلوك الصواب واتباعه ، واجتناب الخطأ .

ومسابق يتضح لنا أن أغلب تعريفات العقل تدور حول وظائفه ولا تتمسك ببحث ماهيته وربما أدرك العلماء أن لا جدوى من البحث فيما يعجز العقل عن الإجابة عنه ، بل المهم أن نتلمس آثاره في حياتنا في العلم والمعرفة والسلوك والأخلاق ( ١ ) والبحث في الكون المبدع لنسجد في خشوع أمام مبدعه سبحانه الذي قال : ( صُنِّعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ) النمل / ٨٨ .

وماد منا يصدر الحديث عن مفهوم العقل فلا بد من الحديث عن أقسامه ودرجاته : ويذكر ابن حبان أن : العقل نوعان : مطبوع كالأرض ، وسموع كالبذر والماء ( ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له عمل محمول ، دون أن يرد عليه العقل السموع فينبهه من رقدته ، ويطلقه من مكانه ، كما يستخرج البذر والماء مافي قعر الأرض من كرة الريح ) . ( ٢ )

وهذا التقسيم للعقل إلى مطبوع وسموع قد ذهب إليه الماوردي تبعاً بذلك ابن حبان إذ أنه ميز فيه بين العقل الفريزي والعقل المكتسب فالعقل المطبوع هو ما يطلق عليه الفريزي والنظري ويكون باشتغال قلب الإنسان على العلوم الضرورية أما العقل السموع فهو العقل المكتسب ، وهو نتيجة العقل الفريزي ، ويطلق على العلوم المكتسبة بالخبرات والتجارب فتكون به كالمخزونة . ( ٣ )

وتوسع الإمام الغزالي في ذكر أقسام العقل فذكر منها : - أ - ما يريد الجمهور ، ب - ما يريد المتكلمون ج - ما يريد الفلاسفة ، والذي يعيننا منها ما يريد الجمهور

( ١ ) عبد المال سالم مكروم ، " مكانة العقل في الفكر الإسلامي " ص ٣٧ ، مجلة التضامن الإسلامي .

( ٢ ) روضة العقلاء ، ص ٥

( ٣ ) روضة العقلاء ص ٥ ، الماوردي ، أدب الدنيا والدين ص ٣ - ٥



فذكر فيه نفس الأقسام التي ذكرها ابن حبان والماوردي ، وزاد عليها قسما ألا وهو : ما يراد به معنى يرجع إلى وقار الإنسان وهيأته واختياره . ( ١ ) ويراد به التزام الأخلاق الحسنة ، والرزانة في السلوك .

أما ابن خلدون فقد ذكر للعقل أقساما ثلاثة هي العقل التمييزي والعقل التجريبي والعقل النظري فالعقل التمييزي وهو تعقل الأمور مرتبة في الخصال ليقتضئ إيقاعها بقدرته : أي إدراك مدلول الأشياء وسهاياها بحيث يستطيع الإنسان حينها التمييز بينها .

أما العقل التجريبي فهو الذي تقوم عليه معاملات الإنسان مع بني جنسه ، وأكثرها تصديقات تحصل بالتجربة . وأما العقل النظري : فهو الفكر الذي يفيد العلم بأمر وراء الحس - غيبي ( ٢ ) .

ولقد اختلف العلماء في تحديد مكان العقل من الجسم على فريقين :

الأول : أن محله القلب وهو مروي عن الشافعي وأحمد في أحد الروايات عنه ، وابن الجوزي والماوردي وكثير من العلماء لقوله تعالى : ( أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُنْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا . . ) الآية الحج / ٤٦ . وقوله تعالى : ( إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ . . ) الآية ق / ٣٧ قالوا : المراد بالقلب : العقل ، فعبر بالقلب عن العقل لأنه محله .  
والثاني : أن محله الدماغ - في الرأس : وهو قول لأصحاب أبي حنيفة رضي الله عنهم . ( ٣ )

هذا وقد أوضح علماء المسلمين أن للعقل درجات متباينة ، وذكر ابن حبان

---

( ١ ) الغزالي ، الإحياء ١٤٦/١ - ومعيار العلم ص ١٦٢

( ٢ ) ابن خلدون ، المقدمة ص ٣٩٠ - ٣٩١

( ٣ ) ابن الجوزي ، ذم الهوى ص ٥ - ٦ ، وينظر ، الأذكياء ص ١١ ، والجرجاني : التعريفات ص ١٥٢ ، الماوردي ، أدب الدنيا والدين ص ٤

أربع درجات للعقل وعليه فقد قسّم الناس إلى أربعة أصناف ، ولم يشرحها وقام الباحث بتوضيحها من بعض المصادر الأخرى ، والدرجات التي ذكرها ابن حبان هي :

- ١- الأذيب : وهو الذي يحسن أخلاقه وسلوكه ، ويتعلم ما يزيّنه ، وقبيل : هو الظريف . ( ١ )
- ٢- الأريب : إذا ازداد المرء في الطرف كان أريبا ، وهو الذي يقدر على الشيء المكلف به . ( ٢ )
- ٣- اللبيب : العاقل ، واللب من الشيء خالصه ( ٣ ) وهو هنا بمعنى خلاصة العقل أو منتهى العقل .
- ٤- العاقل : وهو المفرط في الذكاء ، والرزين في سلوكه - الذي يستعمل عقله في الخير ، ويرى ابن حبان أنّ هناك أربعة أقسام أخرى للعقل الذي يستعمل في الشرف يقول : أما إنّ دخل الرجل في أول حد الدهاء فيسمى :
- أ - شيطان : وهو الذي يستعمل مواهبه في الشر ، ويطلق على العاقي من الجن والإنس . ( ٤ )
- ب - مارد : العاقي في الطفيان والتجبر ( ٥ )
- ج - عبقرى : الأمر العجيب المذهل من دقة صنعة وحذقه ، أو الذي يزيّد فى الطفيان ( ٦ ) .
- ٦- عفريت : من جمع إلى خبثه شدة شر ( ٧ ) .

- 
- ( ١ ) بطرس البستاني ، دائرة المعارف ٦٥٥ / ٢
  - ( ٢ ) محمد فريد وجدي ، دائرة المعارف الإسلامية ، ١٤٣ / ١
  - ( ٣ ) المرجع السابق : ٢٧٩ / ٨
  - ( ٤ ) الجوهرى ، الصحاح ، ٢١٤٤ / ٥
  - ( ٥ ) محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ٧٢٦ / ٨
  - ( ٦ ) الرازي ، مختار الصحاح : ٤٠٩
  - ( ٧ ) روضة العقلاء : ص ٥

## (ح) أهمية العقل ومكانته في الإسلام

### ١- أهمية العقل في الشرع على أنه مناط التكليف :

العقل خاصية يمتاز بها الإنسان عن الحيوان ، وهو مناط التكليف ، وأداة الإدراك ، يميز بين الخير والشر ، ومن ثم منحه الإسلام منزلة عالية ، ودعا للمحافظة عليه ، ولهذا فقد أسقط الشرع التكليف عن فقده لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ( رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم ) (١) قال ابن تيمية : ( أما المجنون الذي رفع عنه القلم فلا يصح شيء من عبادته باتفاق العلماء ، ولا يصح منه إيمان ، ولا كفر ، ولا صلاة ، ولا غير ذلك من العبادات ، بل لا يصلح هو عند عامة العقلاء لامور الدنيا ، كالتجارة والصناعة ، ولا يصح بيعه ، ولا شراؤه ، ولا نكاحه ، ولا طلاقه ، ولا غير ذلك من أقواله ، بل أقواله كلها لغو لا يتعلق بها حكم شرعي ، ولا ثواب ، ولا عقاب .. وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان ولا التقوى ، ولا التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل ، امتنع أن يكون وليا لله ، فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي الله ) (٢) وهذا العقل الذي ندرك به ما ينفعنا ، ونصل إلى مرادنا ، به نال علماء المسلمين صناعة الطب والفلك والكيمياء وغيرها ، وبه ندرك الأمور البعيدة عنا فهو أسّ الفضائل وينبوع الآداب ، جعله الله - تعالى - أصلا للدين ، وعمادا للدنيا ، بحيث أوجب التكليف بكماله ، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه ، وألف به بين خلقه رغم تباين مآربهم ومقاصدهم ، وجعل عبادتهم قسمين : قسما وجب بالعقل وأكد الشرع ، وقسما جاز في العقل فأوجب به الشرع فكان العقل لها عاردا ، وبالعقل تعرف حقائق الأمور ، ويفصل بين الحسنات والسيئات . (٣)

وبناءً على ما سبق فلا يجوز تعطيل العقل في مجال العقيدة ولا في غيره إذ هو

- 
- (١) رواه البخاري ١٦٩/٦ ، والترمذي ، حدود (١٤٢٣) ٣٢/٤ .  
 والنسائي ، طلاق ١٢٧/٦ ، وابوداود ، حدود (٤٣٩٩ - ٤٤٠١) ١٩٧/٤ -  
 ١٤١ ، واللفظ لأبي داود ، وأحمد : ١١٨/١ ، الحاكم : ٣٨٩/٤ ،  
وابن ماجة ، طلاق (٢٠٤١) ٦٥٨/١ ، والدارمي ، حدود (٢٣٠١) ٩٣/٢ .  
 (٢) ابن تيمية ، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : ص ٤٣ .  
 (٣) العاوردي / أدب الدنيا والدين ص ٢ - ٣

أساس التكليف كما أنه لا يجوز تجاوز العقل لحدوده أو تجاهل وظيفته . والعقل الذي يقودنا إلى معرفة الله سبحانه وإلى التصديق برسالة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - لا يمكن أن يخالف أي نص من نصوص الكتاب . أو السنة لأن حدوث المخالفة يعني التناقض داخل العقل (١) ويرى أهل السنة أن الأدلة الشرعية بهذا تهمساً كافية للدفاع عن الإسلام لا تفاقمها مع أحكام العقل وقوانينه ، وأن القرآن جاء بالأدلة العقلية على أحسن بيان (٢) . والعقل شرط في كل علم عقلي أو سمعي كالحياسة ، وما كان شرطاً في شيء امتنع أن يكون منافياً له ، والعلم العقلي غاية التوقف على ما به يعلم صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم (٣) وأن ما يسميه الناس دليلاً من العقلية والسمعية ليس كثير منه دليلاً ، وإنما يظن الظان أنه دليل ، وأهل الحق لا يطعنون في جنس الأدلة العقلية ، ولا فيما علم العقل صحته ، وإنما يطعنون فيما يدعي صاحبه مخالفة الشرع وعلى هذا فإن كل ما عارض الشرع من العقلية ، فالعقل يعلم فساده ، وإن لم يعارض العقل ، وما علم فساده بالعقل لا يجوز أن يعارض به لا عقل ولا نقل ، ومعلوم بأن الأمور التي قيل بأن العقل خالف الشرع فيها معلومة من الدين بالضرورة ومعلوم أن النقل المتواتر الذي جاء عن طريقه يفيد العلم اليقيني ، والعقل ليس بشارع بل ينظر من وراء الشرع (٤) . واتفقت جميع المذاهب على أن الشريعة جاءت للمحافظة على الضرورات الخمس ومنها العقل (٥) ، ومن هنا حكم على الإنسان بالضعف في كل شيء قال تعالى : ( وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ) النساء / ٢٨ . ومن ثم اقتضت حكمة الله ألا يترك الإنسان لفطرته ولا لعقله ، بل أمده بالرسالات السماوية ليخلصه من هذا الضعف (٦) والعقل في كل لحظة يشهد لنا أن ما فوق قدرته موجود ، ويمكنه

(١) محمد أمان بن علي الجامي ، "العقل والنقل عند ابن رشد" ص ٧٧ - مجلسة الجامعة الإسلامية .

(٢) عبد الحميد بن باريس ، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير : ١ / ٤٢١

(٣) ابن تيمية ، در تعارض العقل والنقل ، ١ / ٨٩ - ٩٠

(٤) ابن تيمية ، المرجع السابق : ١ / ١٩١ - ١٩٥

(٥) الشاطبي ، الموافقات في أصول الأحكام : ١ / ١٥

(٦) عثمان ضميرية ، التصور الإسلامي ص ١٠٤ - ١٠٦ ، وكذلك ، محمد بيصار ،

المقيدة والأخلاق ص ١٢٩ .

بعد أن يتطور اكتشافه كما اكتشفت الأشياء الموجودة اليوم بعد أن كانت فوق قدرته .  
ولقد تحدث ابن حبان عن أهمية العقل وهو يعتبره دواء القلوب ، ووسيلة الاجتهاد  
الضرورية ، وبذر حرائه الآخرة ، إن هواتج للمؤمن وعدة للخطوب ، وأن العقول  
نور لصاحبه لو صور صورة لا ظلمت الشمس لنوره ( ١ )

ويرى الفزالي : أن الأنبياء أطباء القلوب ، وفائدة العقل أن دلنا على ذلك ،  
وشهد بالتصديق للأنبياء ولنفسه بالعجز وقادنا إلى طريقهم ، فسلمنا إليهم  
تسليم الأعشى إلى القائد ، وتوقف عما وراء ذلك إلا عن تدبير ما يليقه القائد إليه ( ٢ )  
فالعقل إذن هو الذي دلنا على الإله ، وأمرنا بطاعته ، وامتنال أمره ، وثبت معجزات  
الرسول ، وأمرنا بطاعتهم ، وراعى عواقب الأمور وعمل بمقتضاها ، وقاوم الهوى  
وأدرك الأمور الغامضة ، وسخر المخلوقات الأخرى في الكون لخدمة الإنسان ،  
وأمر بمكارم الأخلاق ونهى عن سيئها ، وغرس في الإنسان الحزم ، وقوى فيه الإقدام  
والعزم ، وزين الإنسان بحسن الصفات وحافظ عليه ما يشوه صورته أمام الخالق والخلق ( ٣ )  
لذا فإن العاقل ينهى نفسه عن لذة تعقب ألما ، وشهوة تورث ندما ، فهو الشيء الذي  
لولاه لكانت حالتنا حالة البهائم ، والأطفال والمجانين ( فإنما حمدت العلماء  
بحسن التثبت في أوائل الأمور ، واستشفا فهم بعقولهم ماتجي به المواقف  
فيعلمون عند استقبالها ماتوول به الحالات في استدبارها ، وبقدر تفارقهم  
في ذلك تستبين فضائلهم فأما معرفة الأمور عند تكشفها وما يظهر من خفياتها فذاك أمر  
يعتدل فيه الفاضل والفضل والمؤمن والجاهلون ( ٤ )

ومجالسة العقلاء خير كلها لما يستفيد المرء من علمهم وورعهم ويرى ابن حبان  
أنها لا تخلو من أحد معنيين : تذكر الحالة التي يحتاج العاقل الانتباه لها

- 
- ( ١ ) روضة العقلاء : ص ٦ - ٧  
( ٢ ) الفزالي ، المنقذ من الضلال ص ٨٧  
( ٣ ) ابن الجوزي ، ذم الهوى : ص ١٠  
( ٤ ) الجاحظ ، رسائل الجاحظ : ١ / ٩١

والإفادة بالأمور التي يحتاج الجاهل معرفتها . فقرب العقول كسب لأمثاله ، وعبرة لأضداده ، فلا ينبغي للعقل المتدلل إلا على من يتحمله ، والعقل في حاجسة دائمة للصبر والتثبت إذ هما أساسه . (١)

وكذلك تتجلى أهمية العقل في تحسينة لحياة الإنسان ، إذ به يمكنه استغلال الإمكانيات التي من الله بها عليه ليعيش سيذا للكون مسخرًا لطاقاته جميعا ، ومن هنا فان النشاط العقلي يسهم مع طاقات الإنسان الأخرى في صناعة الحضارات ورغم تأثر العملية العقلية بالصيغة الحضارية ، إلا أن العقل هو صاحب الكلمة الفاعلة ، والعقل الإسلامي لم يتفلق على نفسه ، بل تقبل ، ولا زال يتقبل كل ما هو نافع وخير من إنتاج العقول الأخرى في ضوء تعاليم الشرع (٢) ، فالإسلام يدعونا إلى حضارة على جميع المستويات موازنا بين المادة والروح ، منهجه البند بمطلبات الحياة اليومية ، ثم أعمال الفكر في الكشف عن نوااميس الكون ، وبذلك يرفع الإسلام الإنسان من الالتصاق بالأرض والته السليبي في سموات الروح (٣)

لذا فإن الدين يعطي للعقل حرية الحركة العقلية في الوجود لتقوية الإيمان بالله بالإضافة إلى إثراء وإنماء وتطوير المجتمع والإنتاج ، والابتداع والابتكار ، فهو لا ينكر حركة العلم والتقدم ، لكنه حريص في الوقت نفسه على سلامة البناء الفكري والخلقي لآبنائه . (٤)

## ٢- حدود العقل ومجالاته :

لقد حدد الإسلام مجالات للعقل ليهت فيها ورسم له صورة يهت على ضوءها وقيد في أمور فأعطاء الحق في النظر فيها بقدر معين ، وأعلمنا أن للعقل شعبا

-----

- (١) روضة العقلاء : ص ١٣
- (٢) عماد الدين خليل ، حول إعادة تشكيل العقل المسلم ص ٦٣ - ٦٥
- (٣) عماد الدين خليل ، العقل المسلم والروية الحضارية : ص ٢٦ - ٢٩
- (٤) محمد صلاح الدين مجاور ، تدريس التربية الإسلامية ص ١٨

من الأمور والمزجورات لا بد من معرفتها في أوقاتها لمباينة العام وأوباش الناس بها ، فأول شعب العقل لزوم تقوى الله ، وإصلاح السريره ، لأن من صلح جوانبه ، أصلح الله برانيه (١) . والعقل آلة الإدراك التي تسهل الوصول إلى الحقائق من غير الاندماج فيها .

فلاحق للعقل أن يجول في كل شيء ، بل يتوقف في أشياء ، وينفذ في أشياء ، لأن المسافة بين الوجود والعدم مسافة لا يكاد يعبرها العقل البشري بسدود الإحالة على الإرادة المبدعة التي تقول للشيء كن فيكون ، فالعقل مجاله الضروريات والعلوم الحاصلة على أثرها (٢) لكنه لا يستطيع أن يمرر القضايا الفيبية من باب عقله الضيق ، ولو استطاع ذلك لاستطاع الجعل أن يلج في سم الخياط ، لذلك عليه أن يسكت سكون المحايد (٣) ، والإنسان الذي يبحث بعقله في الأمور الفيبية التي رسم لها الدين تصورا محددًا لن يبلغ بنظره أكثر مما أبان له الشرع ، بل قد يحرفه عقله عن تلك الصورة المحددة الواضحة ، ومن هنا لزمنا أن نفرّق

بين موقف العقل ، وتبلده ، وقصوره لعائق ما وبين الجواز المدرك بالعقل والذي يعني التردد

فالعقل يدرك المعقولات من محسوسات ، وغيرها ويقضى على أغاليط الحس ويكمل المعرفة الحسية لقصورها ، فيصل إلى ما عجزت عنه الحواس (٤) ، كما أن من تخصصه أن يدرك ذاته كما يدرك غيره ، ويتغلغل إلى بواطن وأسرار الأشياء فيدرك حقائقها ويستنبط أسبابها وعلاها ، وحكمها (٥) .

ومن مجالات العقل البحث في النفس البشرية ، والكون ، والتاريخ وسنتناول

كل منها بالحديث فيما يلي :-

- 
- (١) روضة العقلاء : ص ١٤  
(٢) الجويني ، البرهان في أصول الفقه : ص ١٣٧/١ - ١٣٨ ، ١٤٠٠  
(٣) سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي : ص ١٢٣  
(٤) الغزالي ، معيار العلم (شبهات الفلاسفة) ص ١٣٥ ، وكذلك معارج القدس في معرفة النفس ص ٩٦ - ٩٨  
(٥) الغزالي : مشكاة الأنوار ص ٦ - ٧ ، ٢٥

## ١ - النفس البشرية:

يحترم الإسلام الطاقة العقلية ، ويشجعها ، ويربها لتتجه في طريق الخير ، وهو يصون الطاقة العقلية من بحث الغيبيات التي لا سبيل إلى إدراكها ، فإراح الإنسان في كثير من الأمور ، ورسم له تصورا واضحا ، وأعطاه إجابات عن كـل تساؤلات التي أضاعت جهودهم سبقتها بالقدر الذي يشبع نهمهم للمعرفة الغيبية فالإسلام وجه العقل للبحث في الأمور الظاهرة للحس ، والمدركة بالعقل ، حتى لا يتيه ويفرق في متاهات المباحث الفلسفية ، دون طائل سوى تشتت الفكر (١) . فوجه الطاقة العقلية إلى التأمل في حكمة الله وتدبيره ، والتأمل الذي نقصده لا يكون تأملا مجردا لذاته - كي يصبح فلسفة لا تنتهي إلى شيء . بل تأملا يصلح القلب ، ويقم الحياة على الأرض بالحق والعدل الأزميين (٢)

ومن هنا جاء أمر الله للإنسان بالتفكر في نفسه ليدرك كنه ذاته والأسرار العجيبة التي أودعها الله فيه ليعمل على ترقية حياته ، ويصل إلى ما يصلح دنياه وآخرته قال تعالى : ( وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ) الذاريات/٢١ . قال البيضاوي ( وفي أنفسكم آيات إذ مافي العالم إلا وفي الإنسان نظير يسد دلالة مع ما انفرد به من الهيئات النافعة ، والمناظر البهية ، والتركيبات العجيبة ، والتمكن من الأفعال الفريية ، واستنباط الصنائع المختلفة ، واستجماع الكمالات المتنوعة ) (٣) هذا لينظر الإنسان نظرة المتمم المعتبر ، هــذه الآيات الموجودة في النفس ، ومافيها من علوم ومعارف ، وميول واتجاهات للخير تارة ، وللشر تارة أخرى ، ومافيها من حواس السمع والبصر والإحساس واللمس والذوق وأجهزة الجسم المختلفة ، وجهنا الإسلام إلى التفكير فيها لنستخلص العبرة منها . فهذه لا يدركها حقيقة إلا المؤمن التقي ، أما غير المؤمن فقد يدرك حقائقها

(١) عمر التومي الشيباني ، فلسفة التربية الإسلامية ص ١٩٥ - ١٩٩

(٢) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ١/٢٩٩ - ٨٠

(٣) البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/٩٦٠



المادية فقط ، ولنفهم أن هذا كله أودعه فينا القادر على البعث وإعادة الحياة - سبحانه وتعالى - (١) وجاء الأمر عامًّا للنظر في النفس في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال ، وفي أسرار وعجائب الخلق وما تتحير فيه الأذهان قال الزمخشري (وحسبك بالقلوب وماركز فيها من العقول ، وخصت به من أصناف المعاني ، وبالألسن والنطق ، ومخارج الحروف . . . . . دمع الأسطع والأبصار والأطراف ، وسائر الجوارح وتأثيرها لما خلقت له ، وما سوي في الأعضاء من المفاصل . . . ) (٢)

ويكفي أن ننظر في أنفسنا التي تحوي عالما عجيبا وسجلا حافلا بالآيات الدالة على قدرة الخالق ، ويديع صنعه ، هذا وقد بين الله سبحانه للإنسان كيف يبحث وينظر في نفسه فقال : ( فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ) الطارق / ٥ . فالآية فيها أمر بالنظر في أصل خلقه وتكوينه وهي مترتبة على ما قبلها ، فمادام هناك حافظ مع الإنسان وهو عقله ، فلينظر بهذا العقل الحافظ إلى قدرة الله - سبحانه وتعالى - في ذاته هو ، وإلى قدرة الله في إبداع هذه الذات ، فإن الله لو فعل ذلك لعرف طريق الهدى وسلكه (٣) لكن الله سبحانه وفر على الإنسان الجهد والوقت فدله على الإجابة بإعطائه مفاتيح للعلوم بحيث لا يجعله ينطلق من الصفر . فعلمه العلم اليقين فبين له كيفية خلقه فقال : ( خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ) الطارق ٦ - ٧ . ولم يتوقف عند هذا الحد إن تجاوز ذلك فأخبره عن أصل خلق الإنسان الأول - آدم عليه السلام - السذي لم يخلق من هذا الماء فأجاب الله تعالى بقوله : ( وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ) السجدة / ٧ ، كما أن الله سبحانه عرف الإنسان بمراحل تكوينه فقال : ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ، فَكَسْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) المؤمنون / ١٢ - ١٤ .

(١) محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح ٢٧ / ٢٨ .

(٢) الزمخشري ، الكشاف : ١٦ / ٤

(٣) عبد الكريم الخطيب ، التفسير القرآني للقرآن ١٥٢٣ / ٥

هذا فقد حدد الله سبحانه للإنسان حين البحث في . لقه ، وتكوينه أن ينظر في الأمور التي أباح له البحث فيها ، وبالفعل فإننا نجد أن العلم لم يصل بعد إلى كثير من أسرار الإنسان في تركيبه إذ لم تعرف وظائف الفرد الصماء إلا في عهد قريب (١) ومن خلال بحث الإنسان عن نفسه ونظامها التكويني يمكنه أن يحدد علاقته بالأرض والنبات ، والحيوان ، وأوجه الاتفاق والاختلاف بينه وبينها ، ويدفعه إلى التفكير في تدبير أمور حياته ، والدأب على ترقية تلك الحياة بالعلم والعمل ، ويدفعه الأمر إلى البحث في أسباب تكريمه وتفضيله على العالمين (٢) ، والإعداد لما بعد الموت ، إذ أن الإنسان مضطرب إلى التفكير في نهايته ، ونتائج أعماله ، وأن يوقن أنه لم يخلق عبثاً ، فالله سبحانه قد منحنا العقل لنفكر به ، ووفر لنا الأماكن المختلفة لنستغلها بعقولنا ، وبكل قوتنا ، وجعل لنا مجالاً فسيحاً في أجسادنا وأنفسنا وعقولنا وحاجاتنا ، وطلب منا أن ننتبه إلى سبب ذلك فنشكره ونتقرب إليه بالعبادة والطاعات .

## ب - الكون :

لقد خلق الله - عز وجل - الكون في نظام دقيق مبدع ، وأخضعه لسنن وقوانين أودعها فيه ، وجعله طائعا ، منقادا ومسبحا له - سبحانه وتعالى - قال تعالى : ” وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ ، وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ” - التحل / ٤٩ . ولقد أخبر الله تعالى - الإنسان بأنه خلق الكون لخدمته ، واستحسنة أعمال عقله في مشاهدته - وطلب منه أن يتفاهل معه ، ويتدبر حكمة خلقه ، فجعل المشاهد الكوني كلها مسرحا للنظر والتأمل والتفكير ، والإنسان (عندما يستخدم هبة الله له وهي العقل يستطيع أن يكتشف كثيرا من أسرار هذا الكون وعجائبه الدالة على قدرة الله) (٣)

- 
- (١) محمد شديد ، منهج القرآن في التربية ص ٨٠  
(٢) محمد المبارك ، نظام الإسلام العقيدة والعبادة ص ٥٤ - ٥٦ .  
(٣) عثمان ضميريه ، التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان ، ص ٢٨ ، وينظر كذلك سعد بن عبد الله بن جنيد ، أصول التربية الإسلامية ص ١٢١-١٢٣

ولقد دعانا القرآن الكريم للنظر والتأمل والبحث في آيات الله في الكون قال تعالى : ( سُرِّبَتْ لَهُمْ آيَاتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ) فصلت / ٥٣ ، ففي الآية وعد من الله للبشر بأن يبين لهم آياته في كل شيء .  
ويقول سبحانه وتعالى أيضاً : ( إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذَّبُ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَاختِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) الجاثية / ٥٣ .

نجد في الآيات الكريمة السابقة عرض عام لآيات الله في السموات والأرض ، حيث إنَّ كل نظرة للمؤمن فيما حوله تدله على وجود خالق ، قادر ، مبدع ، حكيم ، فالكون كتاب مفتوح أمامه ، يقرأ في صفحاته آيات تحدثه عن عظمة الله وجلالته ، أما غير المؤمن فقد تبهره الآيات ، ويفتته ما فيها من دقة وإبداع ، ولكنه يبقى على ما هو عليه في تعامله معها ، فلا يوصله نظره إلى الإيمان ، وفي الحديث عن آيات الله في كونه الذي خلقه نجد عوالم كثيرة مختلفة الأشكال والصور ، وفي كل عالم نجد أجناساً لا تتكاد تحصر من مخلوقات الله ، فأمرنا الله سبحانه بالنظر في حياة الكائنات المحيطة بنا ودعانا إلى النظر في حركة الليل والنهار وتعاقبهما في غير توقف ، وحركة الشمس والقمر ، وحدث الإضاءة في النهار ، والهدوء في الليل ، وحدث فصول متميزة خلال العام ، وفي ذلك دعوة للتأمل في الغيوم وتكوينها وحركة الرياح وفائدتها في تسيير الغيوم ، ونقل الأجسام وتحريكها للسفن وفي ذلك لفت للنظر لاستغلال الطاقة الدافعة فيها ، بنظرة عميقة ذات دلالات كثيرة على قدرة الله ، وهذه الدلالات لا تتجلى إلا للمقـلـاء الذين يتفكرون في مخلوقات الله ( ١ ) وهو لا على يقين أنَّ الله لم يخلق الكون عبثاً ، كما أنه لم يخلق الإنسان عبثاً ، وبالتالي فإن هذا الكون لا بد له من

( ١ ) عبد الكريم الخطيب ، التفسير القرآني للقرآن ٢٢١ / ٥ - ٢٢٣

مبدع ومتقن ، وهذا ليس بمقدور البشر الذين تحداهم الله بأن يأتوا بذياب من صنعهم فلم يقدروا ويبقى التحدي قائماً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

هكذا نرى أن العقل الإنساني مدعو للنظر والتفكير في آيات الله في الكون ، والاعتبار بها فما من دين وجه العقل الإنساني وأرشده وقوم منهجه في النظر كما فعل الإسلام الذي أخرجه من قيود الجمود والوهم والخرافة وصانه من المزالسق الفلسفية التي لا طائل منها . ( ١ )

#### ج - التاريخ :

ويجد العقل في التاريخ ميدانا رحبا لينظر في الأحداث الماضية ، ويطلع على سير الأمم والاجيال المتعاقبة ، ويفكر في عوامل النهوض ، والانهياء في كل عصر من العصور ليخلص بنتائج علمية دقيقة يحلل على ضوءها نتائج الأحداث الحاضرة ويرسم خططاً للمستقبل بناءً على ما توصل إليه ، والقرآن الكريم يطالب العقل برصد (ظواهر الكون والحياة في الطبيعة في انهيار الأمم ، في تأله الأفراد في طغيان الحكام ، ويدعوه إلى التأمل وعدم استعجال النتائج ، فهي لا بد آتية حسب السنن الماضية التي لا تتبدل ) ( ٢ )

قال تعالى : **قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ** ، **هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ** آل عمران / ١٣٧ - ١٣٨ .  
وقال تعالى : **أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مَّنْ قَرْنٌ مَّكَنَّا فِي الْأَرْضِ مَالِكُم** **نَمُكِّنْ لَهُمْ** ، **وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا ، وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ**

---

( ١ ) سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي ، ص ٤٩ - ٥٠ .

( ٢ ) عبد الرحمن عميرة ، منهج القرآن في تربية الرجال ، ص ٤٩ .

بِذُنُوبِهِمْ ، وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ۝ الانعام / ٦ .

وقال تعالى : **وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ الحج / ٤٠ - ٤١ .** إلى غير ذلك من الآيات العديدة التي تستحث الإنسان للنظر في تاريخ الأمم السابقة ، والحوادث المتعاقبة وسير الأولين ، وسنن الله في الغابرين لينير له الطريق بدراسة عوامل الفناء والبقاء في المجتمعات ، وقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه هذه السنة الباقية فجعل تزكية النفس والتسكع بمنهج الله وشريعته هو سبيل الرشد والرقى والتمكن في الأرض - واتباع طريق الفي والفساد والضلال هو سبب التفكك والانحلال ، ولا ينبغي للمسلم أن يخذله ويبهره التقدم المادي ، فالقوة المادية لم تغلح في إصلاح أهل القسرون الأولى لبعدهم عن الحق . وعليه فإن الإسلام يرى أنه كان أهل القسرون الأولى في تقدم بحيث أثاروا الأرض واستغلوا مواردها ، بينما يقرر الإسلام (وسائل الإنتاج المادي لم تكن قط هي المقرر لوقائع التاريخ ، إنما طريقة استخدام وسائل الإنتاج ، والروح التي تستخدم بها ، هي التي تقرر وقائع التاريخ) (١) فالإسلام يفتح أنظار الناس على عوامل التطور للمجتمعات مركز على الأمثلة التي يمكنهم استخلاص العبر منها بسهولة ، ويشير إلى أن الفلاح في الحياة للمؤمنين ، وأن الكفار مهما بلغوا من القوة والتقدم الحضاري المادي فعالمهم إلى السقوط ، والحياة بدولة بين الكفر والإيمان فحيثما قوي الإيمان وانتشر علا وارتفع فوق الكفر ، وأن مانجه من الغنى وترف العيش الذي منحه الله للأمم الضالة لهم يكن إلا نعمة عليهم إذ هو استدراج من الله لهم ، وإن طالت الفترة لهم فلا نستعجل زوالهم فإن لكل أجل هو بالغه ، فالله سبحانه وعده عباده

(١) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ٩٥/١

بأن يستخلف الكفار بمن هم أفضل منهم ، ولا يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وبناءً على هذا فإن أمة الحق - الإسلام - لا يمكنها السيطرة ، والسيادة إلا إذا رجعت إلى الله وشرعه ليزيل بها دول الشرك والفساد ، فحتى السقوط مرتبط به مبدأ التغير الذاتي ، وفي ذلك يطلق الله الحرية للإرادة البشرية في صياغة مصيرها ، فلا تتحمل أمة تبعة أمة أخرى ، فالله سبحانه ذكر العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية وغيرها في سقوط الأمم وارتقاءها ، لكنه ركّز على أمر العقيدة والعبودية له سبحانه ، بينما رسم منهاجاً متكاملًا للأمة التي تستحق السيادة والتمكين في الأرض ووجهها إلى تدارك هذه العوامل جميعها في الإعداد لعملية الاستخلاف ، وذكر العامل الرئيسي الذي كان ينقص الأمم الغائية ، وجعل الله - سبحانه - السقوط عقوبة للأمم المنحرفة عن منهجه واستخدم أساليب العقاب كلها ، فأحياناً يكون عذاباً بأيديهم بأن يسلط بعضهم على بعض فتحدث فتن وقلل وثورات وانقسامات ، وأحياناً من أم أخرى عدوة لهم كالغزو الخارجي ، وقد يكون العذاب من السماء بالمطر والفرق وغيرها ، أو من الأرض كالطوفان والزلازل والأمراض الفتاكة ، ومن هنا كانت دعوة الله للإنسان بالنظر في سنة الله في عباده لنعتبر ونستفيد من تجارب الأمم السابقة ونراعي كل عوامل البقاء والاستخلاف في الأرض بالتزام ما جاء به الشرع في النواحي الاقتصادية فلا نعيش حياة رأساليه تكدّس فيها الأموال في أيدي طبقة مترفة من الناس ونركز السلطة في أيديهم بينما باقي أفراد الأمة على النقيض تماماً ، أو سلب الملكية الفردية واستيلاء الدولة على حقوق الناس ظلماً وعدواً في الأرض .

وكذلك نراعي العامل السياسي في تولية الأكفأ ، وتنظيم العلاقات بين الحاكم والمحكوم طبق شريعة الله والناحية الاجتماعية بأن نراعي أحكام الله فيها ، وفي جميع أنظمة المجتمع فإن لم يحدث هذا تحدث الرزعة والقلقلة في نظام الدولة ، وبذلك نشarf الاتحاد والفناء ، لأن رفض منهج الله سواء في العقائد أم في المعاملات فإن هذا هو المحور الذي تركز عليه عملية البقاء والفناء . ( ١ )

والعقل الإنساني الذي يدرس النفس والكون والتاريخ لا بد وأن يلتزم بمنهج محدد . ولا يستطيع العقل بلوغ أهدافه إلا إذا بدأ الإنسان بإدراك العناصر المحيطة به . فالملاحظة أولى مراحل التفكير البناء .

ولقد دعانا الإسلام إلى التفكير المنطقي الهادي ، فهو يدعو كل فرد إلى التفكير العميق بموضوعية والتزام المنهج الصحيح في البحث فالعقل مطالب بالتزام الدقة العلمية في وصف ما يلاحظه وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة على استخدام الملاحظة العلمية الدقيقة منها ما ورد في قصة إيمان إبراهيم عليه السلام قال تعالى : \* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي سَبِيلِ ضَلَالٍ مُبِينٍ . وَكَذَلِكَ نَرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ . فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكِبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ : لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ : هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ : لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي ، هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ : يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* الأنعام / ٧٤ - ٧٩ .

ويرى ابن الأثير : أن الذي جرى لإبراهيم في التدرج من الكوكب إلى القمر والشمس قد يكون قبل البلوغ والتكليف ، ويحتمل أن يكون حدث بعد بلوغه وفعله على وجه الرد على قومه والتوبيخ لهم ، وتوجيههم إلى طريقة التفكير العلمي الدقيق والمنظم الذي يبدأ بالملاحظة وجمع البيانات والربط بينها ، وهذا لم يكن وهو معتكف في الغار لأن الظاهر من النص أنه كان في حاجة ومعاورة ، وردا على قومه ، وذلك لكونهم عبدة أصنام ، فأراد أن يبين لهم الخطأ في دينهم ، وأن يرشدهم إلى هذه الأشياء ، وإقراره لألوهيتهم في البداية يدل على المناقشة الإيجابية وإنصاف الخصم مع علمه ببطلان ما هم عليه ، لأن ذلك أدعى إلى الحق

ورجوع الخصم ، واستعر في هذا المنهج ، من تغريب المعلومات الفاسدة ثم استنتاج المعلومات الصائبة . ( ١ )

أما الخطوة الثانية من خطوات التفكير البناء فهي ترتيب المعارف وتنظيمها ولقد زود الله العقل بقدرة فائقة على التنظيم والتصنيف إذ أن الإنسان يولد ولا دراية له بما حوله ، فيستقبل العقل ما تنقله العين وباقي الحواس من الصور والتأثيرات ويحتفظ بها ، فيجمع العقل ويخزن ملاحظات الحواس حتى يكون رصيذا من الحوادث ، يتحمل العقل مسئولية تنسيق المدركات الحسية ، وفرزها وتحصيلها وموازنتها ليصل عن طريقها إلى الحق ، فينظمها ويرتبها ويصنفها داخل الدماغ ، ليخرجها على شكل خبرات منظمة منسقة فيما بعد ، وعلى ضوءها يستطيع تحديد العلاقة بين الأشياء . ( ٢ ) .

أما المرحلة الثالثة من مراحل التفكير البناء فهو الاستنتاج ، فالعقل قادر على استخلاص حقائق وقوانين بعد أن يقوم بتنظيم المعارف ، وهذه هي المرحلة التي يعتاز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات ، وهي تؤهل له لا راءك وجود ما لا تدركه الحواس . ولذا نجد أن القرآن الكريم يؤكّد فائدة القصص القرآني لأولي الألباب ، فهو لا وحدهم هم المؤمنون لاستقراء الحقائق الجديدة .

د - أمراض العقل التي حددها القرآن الكريم :

لقد حدد القرآن الكريم أمراضا وآفاتا للعقل وحثنا على الابتعاد عنها ويرى ابن حبان أن من حسن عقله وقبح وجهه ، فقد أفقد فضائل نفسه قبائح

---

( ١ ) ابن جرّي ، التسهيل لعلوم التنزيل ، ٢٤ / ٢ - ٢٥

( ٢ ) صابر طعيمة ، المعرفة في منهج القرآن الكريم ص ١٦٥ - ١٧٣



وجهه ، ومن حسن وجهه وقل عقله فقد أذهب محاسن وجهه نقائص نفسه فالعقل هو السبب الذي يجعلنا نحكم على المرء بأنه حسن أو قبيح وحسن العقل أحسن زينة للمرء إن لا يعتبر قبيحاً لعدم جمال مظهره مادام مخبره جميلاً ، فلا يجب للعاقل أن يغتم إذا كان معدماً ، لأن العاقل يرجى له الفنى ، ولا يوثق للجاهل المكر بقاء ماله ، ومال العاقل عقله ، وما قدم من عمل صالح . وآفة العقل الصلف والبلاء المردي ، والرخاء المفرط ، لأن البلى إذا تواترت عليه أهلكست عقله ، والرخاء إذا تواتر عليه أبطره ، والعدو والعاقل خير للمرء من الصديق الجاهل . والواجب على العاقل اجتناب أشياء ثلاثة فإنها أسرع في افساد العقل من النار في بيس العوسج وهي الاستفراق في الضحك ، وكثرة التمني ، وسوء التشبث (١) والمقل يعيش في مدركات متصلة بالبيئات المختلفة ، وهي بدورها قد تؤثر فيـه تأثيراً سيئاً فينحرف عن الصواب ، ويميل إلى الخطأ ويتجه إلى الباطل ، ومن ثم يتحول إلى مارد جبار كل فعله الهدم والتدمير ، ولما كان كذلك فقد ربط الله بالوحي الذي بدونه تبقى مسئولية العقل محدودة وانحرافه غير مؤاخذ به (٢) قال تعالى : ( وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ) الإسراء / ١٥ . والبهوى أكثر الأشياء صدا عن الخير لأنه مضاد للعقل فينتج قبائح الأخلاق وفضائح الأفعال (٣) ، وإن اعتدا الإنسان على عقله - هذه النعمة الإلهية - يعتبر جريمة يرتكبها الإنسان على بعض نفسه ، وإحدى كلياته ، فحين ننظر إلى السكرات والمخدرات التي يتعاطاها البعض نجد أنها اعتداء بشع على العقل لأنها تخالطه - فتذهب وعيه ، وتبدد إدراكه ، وتقتل خلايا المخ . ولهذا حرّمها الشرع . (٤) ومن الآفات الأخرى التي تصيب العقل .

١- الجهل :

الجهل في اللغة على ثلاثة أضرب :

١ - خلو النفس من العلم وهو الأصل .

- (١) روضة العقلاء ص ٨ ، ١٠ ، ١٢٤  
(٢) عبد العال سالم مكرم ، " مكانة العقل في الفكر الإسلامي " ص ٤١  
(٣) ابن الجوزي ، ذم الهوى ، ص ١٣ - ١٧  
(٤) سعد ندا ، السكر والمخدر جناية على العقل ، ص ١٢٣

- ب - اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه .
- ج - فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً ،  
 كن ترك الصلاة متعمداً (١) ، ومنه قوله تعالى : ( قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُوءاً  
 قَال : أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ) البقرة/٦٧ فجعل فعل الهـمـز  
 جهلاً ، وقال تعالى : ( فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ ) الحجرات/٦ .
- والجاهل تارة يذكر على سبيل الذم ، وتارة لا يذكر على سبيل الذم ومثاله ما قال  
 تعالى : ( يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْقُفِ ) البقرة/٢٧٣ قال الطبري فسي  
 تفسير الآية : الجاهل الذي لا يعلم بحالهم (٢) ، وكذا في تفسيره لكلمة يجهلون  
 وتجهلون وغيرها في أماكن مختلفة وقال الرازي : ( لم يرد به الجهل الذي هو  
 ضد العقل ، وإنما أراد الجهل الذي هو ضد الاختبار ) (٣)
- والمجهل : الأرض والأمر والخصلة التي تحمل الإنسان على اعتقاد شيء على غير  
 حقيقته ، واستجهلت الريح الفصن أي حرّكته ، (٤) والجهل في الشرع لا يخرج  
 عن المعاني المذكورة .
- قال أبو حنيفة رحمه الله : ( الجهالة اسم يقع على من لا يعرف الخطأ من الصواب ،  
 سواء في فعله أم في فعل غيره ) (٥) .

- 
- (١) الراغب الأصفهاني ، مفردات غريب القرآن ، ص ١٠٢  
 (٢) تفسير الطبري ، جامع البيان ، ٥٩٠/٥  
 (٣) الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، ٨٠/٧  
 (٤) الجرجاني ، التعريفات ، ص ٨٠  
 (٥) العالم والمتعلم ، ص ٣٧

وذكر ابن حبان درجات للجهل (١) بدون أن يعرفها ومن ثم قمنا بتعريفها من مصادر أخرى وهي :

- ١- يقال للجاهل في أول درجته : المائق : وهو الأحق الغي في نفس الوقت (٢)
- ٢- الرقيع : الحثير الذي موطئا للذم ، أو الأحق الذي في عقله مرة (٣)
- ٣- الأنول وهو الأهرج البذي عديم القيمة . (٤)
- ٤- الأحق : أي قليل العقل (٥) . ومن وصف عدلا ولم يعرف جور من يخالفه فإنه جاهل بالجور والعدل ، وهو أجهل الناس ، لأن مثله كمثل أربعة نفر يوتون بشوب أبيض فيسألون عن لونه فتختلف إجاباتهم ، فيقال للذي قال : أبيض ، ماذا تقول في الآخرين ، فيقول : أما أنا فأعلم أن الشوب أبيض ، وعسى أن يكون هؤلاء قد صدقوا ، فهو أجهل الناس (٦) . وحينما يتفشى الجهل تختل الحياة كلها وتهم شريعة الغاب ، وتبطل الحدود التي تحفظ على الناس ضرورتهم الخمس وينتشر الخراب والفساد (٧) . ولذلك يقول : الرسول - صلى الله عليه وسلم - (أن من أشراط الساعة أن يرفع الله العلم) (٨) إذ أن بسبب ارتفاع العلم يعم الجهل .

ونجد أن الجاهلية لفظ مشتق من نفس اشتقاق الجهل ، أي أن أصلها واحد بيد أن استعمال مصطلح الجاهلية اختص بحالة عدم الإيمان وهي حالة يتصف بها الأفراد والجماعات ، سواء في حال علمهم بالله أو عدمه ، سواء كانوا في تأخر مادي أو تقدم ، لأن العلم بالله يقاس بعبادته كما أن العلم يقاس بنفعه في الدارين ، والعلم الذي لا ينتفع به لا فرق بينه وبين الجهل ومن هنا استخدمت لفظة الجاهلية تجوزاً للدلالة على الانحراف عن منهج الله سبحانه .

- 
- (١) روضة العقلاء ، ص ٤
  - (٢) الجوهرى ، الصحاح ١٥٥٧/٤
  - (٣) المرجع السابق ، ١٢٢٢/٣
  - (٤) المرجع السابق ١٦١٢/٤
  - (٥) المرجع السابق ، ١٤٦٤/٤
  - (٦) أبو حنيفة ، العالم والمتعلم ص ٣٨ - ٣٩
  - (٧) أبو لبابة حسين / التربية في السنة النبوية ص ٤١
  - (٨) رواية البخاري / علم ٢٨/١ ، وسلم / علم (٢٦٧١) ٢٠٥٦/٤ - والترغبي / فتن (٢٢٠٥) ٤٩٠/٤ ، وابن ماجه / فتن (٤٠٤٥) ٢/٢٣٤٣ - وأحمد
- ٠١٧٦ ، ١٥١٠ ، ٩٨/٣

ففي قوله تعالى : " يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ " آل عمران / ٥٤ قال الطبري : ( ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله شكاً في أمر الله وتكذيباً لنبيه ) (١) ويرى الرازي أنّ المقصود بها أرك الأديان وأكرها بطلاناً ، وهذا خلاف الجهل إذ هي أمر مرتبط بالاعتقاد ، ويفهم من كلام أبي حيان أنّها تطلق على الصفات التي كانت تسود أهل الفترة . قبل الإسلام من عدم الإيمان بالله (٢) ومن هنا نجد أن لفظة الجاهلية تطلق على كل حالة نفسه ترفض الاهتداء بهدى الله ، ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزل الله ، ثم تصيبها نتائج هذا الانحراف من الاضطراب والشقاء في الحياة ، وعدم الراحة النفسية ، والشعور بالفراغ ، وهي غير محصورة في أمّة بعينها ، أو فترة بعينها ، إنما توجد في كل وقت ، وفي أي مكان ، وفي أي مستوى من التقدم الحضاري المادي أو التأخر ، فهي لا تقابل العلم أو الحضارة المادية أو القيم الفكرية ، أو الاجتماعية أو السياسية أو الإنسانية ووفرة الإنتاج .

إذن فالجاهلية ليست صورة معينة في فترة مضت ، إنما هي حالة معينة يمكن أن تتخذ صوراً شتى بحسب البيئة والظروف والزمان والمكان ، وكلها تتشابه في كونها جاهلية منحرفة عن منهج الله وشرعه . (٣)

## ٢- التقليد :

هو العمل بقول الغير من غير حجة من الحجج الشرعية ، فليس من التقليد الاقتداء بالرسول - صلى الله عليه وسلم - في قوله وفعله لأنّه حجة ، وكذلك العمل بالإجماع فهو حجة أيضاً .

والتقليد إمّا أن يكون في أحكام الفروع الفقهية ، وذلك على كل من لم يبلغ درجة الاجتهاد في مسألة من المسائل ، وهو واجب فيما لانعلمه لقوله تعالى :

(١) جامع البيان في تفسير القرآن : ٣٢٠ / ٧

(٢) تفسير البحر المحيط : ٨٧ / ٣٠

(٣) ينظر : محمد قطب ، جاهلية القرن العشرين ص ٦ - ٨

”فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ“ النحل ٤٣ .

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم - يرجعون إلى علمائهم فيأخذون عنهم أحكام الله دون طلب الدليل . وقد يكون التقليد في الأصول الاعتقادية كالعلم بحدوث العالم ، ووجود الصانع ، وما يجب وما يستحيل ، وما يجوز عليه من الصفات ، والتقليد في هذه الأمور مختلف فيه بين الجواز وعدمه والأولى عدم التقليد في الأصول إلا أن ينظر المرء في الأمر الذي يقلد فيه ويفهم مكنونه . (١) أما بالنسبة للعامة فيجوز له التقليد والله أعلم .

والتقليد صفة ملازمة للجاهل في كل أحواله ، قال تعالى عن حال الجبهة ”وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ“ البقرة ١٧٠ . وقال تعالى : ”بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ، وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّسْتَدُونَ“ . وكذلك مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا : إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ، وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ . قَالَ : أَوَلَوْ جِئْتَكُمْ بِأَهْدَىٰ سَبِيلٍ وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ، قَالُوا : إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ“ الزخرف ٢٢ - ٢٤ ، والتقليد الأعشى يستبد بالمقلدين حتى يملك عليهم عقولهم ، وجوارحهم ، فيقترون المآسي والآثام تحت تأثيره قال تعالى في وصف المقلدين : ”وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا : وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ، وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا“ ، قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ، اتَّقُوا اللَّهَ مَا تَعْلَمُونَ“ الأعراف ٢٨ ، وهكذا هدم الإسلام التقليد الأعشى المبني على الجهل ، والذي هو سمة من سمات الجاهل ورفض إيمان المقلدين عن جهل واستحشهم على استعمال عقولهم التي منحهم إياها المنعم سبحانه إذ يقول عنهم ”وَلَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا“ ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا“ ، أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ“ الأعراف ١٧٩ وقال الله تعالى للمقلدين : ”قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ“ الأنعام ٥٠ .

- (١) محمد عبد الله أبو النجا ، علم أصول الفقه ١٥٦ - ١٥٨  
وكذلك ينظر في / ابن اللحام الحنبلي ، المختصر في أصول الفقه ص ١٦٦  
(٢) محمود عبد الوهاب فايد ، التربية في كتاب الله ص ١٠ - ١٣

ويبين الله لعباده أن إهمال العقل وتعطيله خطر يجر إلى النار فقال تعالى :  
 وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ١٠ / وتعطيل العقل  
 العقل يؤدي إلى الندم في العواقب ومثال ذلك ما في قوله تعالى : وَقَالُوا : رَبَّنَا  
 إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ١٦٧ / الأحزاب . وهناك الكثير من  
 آيات القرآن الكريم تعرض على استعمال العقل وتنهي عن التقليد الأعمى الذي لا يورث  
 إلا الضرر وسوء العاقبة ، فالأجدد بالإنسان أن يستغل أنعم الله أحسن استفلال  
 ليقوم بأداء الأمانة والقيام بتبعات الخلافة في الأرض بتبليغ شرع الله وإعمار الكون .

### ٣- المكابرة :

وهي المنازعة في المسألة العلمية لا لإظهار الصواب ، بل لإلزام الخصم ،  
 وقيل : مدافعة الحق بعد العلم به ( ١ ) . والمكابرة من الأمراض الخطيرة التي  
 تفتك بالعقل إذ أنها تحجبه عن الروية السليمة ، وبلوغ الحقائق ، حيث يرفض  
 المكابر المعرفة الصحيحة ويكذبها ، رغم أنه متيقن بصدقها وصحتها ، وبالتالي يولد  
 التحدي والكفر ، ومثال ذلك قول الله تعالى في كفار قريش حينما تحدوا الرسول  
 صلى الله عليه وسلم - قَائِلِينَ لَا يَكْذِبُونَكَ ، وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْعُدُونَ " الأنعام  
 ٣٣ / وهذا دليل على المكابرة وفيها تكذيب للأمر الثابت صحتة معاندة لأمر في  
 النفس يمنع من إدراك السعادة باتباع الحق ، ومنه قول أبو جهل ، ما نكذبك يا محمد ،  
 وإنك عندنا لمصدق ، وإنما نكذب ما جئتنا به ( ٢ ) ونعود إلى كتب التفسير لنرى  
 كيف أثرت المكابرة على الوليد بن المغيرة فصدته عن اتباع الحق رغم علمه بأحقيته  
 وصوابه : ( مرّ الوليد بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يصلي ، ويقرأ القرآن ،  
 فاستمع لقراءته ، وتأثر بها ، فانطلق إلى مجلس قومه من بني مخزوم فقال : والله  
 لقد سمعت من محمد آثما كلاما ، ما هو من كلام الإنس ، ولا من كلام الجن ، والله  
 إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمشر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلمو

( ١ ) الجرجاني ، التعريفات ص ٢٢٧

( ٢ ) محمد علي الصابوني ، صفوة التفسير ، ٣٨٦ / ١ وكذلك ذكره : أبو حيان ،

البحر المحيط : ١١٢ / ٤

ولا يعلى عليه ، ثم انصرف إلى منزله فقالت قريش : لقد صبا الوليد ، ولتصبا قريش كلها ! فقال أبو جهل : أنا أكفيكموه ، فانطلق حتى جلس إلى جانب الوليد حزيناً ، فقال له الوليد : مالي أراك حزينا يا ابن أخي ؟ فقال : كيف لا أحزن ، وهذه قريش تجمع لك مالا ليعينوك به على كبر سنك ، ويزعمون أنك زينت كلام محمد وصبات لتصيب من فضل طعامه ، وتنا من ماله ! فغضب الوليد وقال : ألس تعلم قريش أنني أكرهم مالا وولدا ؟ وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ؟ ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم : تزعمون أن محمداً مجنون ، فهل رأيتموه يخفق ؟ قالوا : اللهم لا ، قال تزعمون أنه كاهن ، فهل رأيتموه تكهن قط ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : تزعمون أنه شاعر ، فهل رأيتموه ينطق الشعر ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : تزعمون أنه كذاب ، فهل جربتم عليه كذبا قط ؟ قالوا : اللهم لا فقالت قريش للوليد : فما هو ؟ ففكر في نفسه ثم قال : ما هو إلا ساحر ، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ، والذي يقوله هو السحر (١) هذا بعد تفكره من شدة عناده ومكابرته بعد علمه بالحق وانصياعه إلى الباطل وقد جاء فيه قول الله تعالى : **وَأَنَّهُ فُكِّرُ قَدَرٌ ، فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ ، ثُمَّ قَتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ ، ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَمَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَذْبَرُوا سَكْبَرًا . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يَوْثَرُ . إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ، سَأُصْلِيهِ سَقَرًا ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ** المدثر / ١٨-٢٨ . قال الألوسي : ويظهر من تتبع أحوال الوليد أنه إنما قال ذلك عنادا ومكابرة ، وحمية جاهلية لا جهلا بحقيقة الحال (٢)

وهكذا نجد أن المكابرة مرض عقلي يدفع المرء إلى محاربة الحق ، وإلى التقليد الأعمى ، مما يخرق المكابر في جهل لا يقدر على الخروج منه ، وتجعله يعيش في اضطراب نفسي ، وقلق وتوتر لرفض ما يصدق حقيقة من الأمور .

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : (١/٢٤٣ - ٢٤٥) عند تفسير آيات سورة

المدثر من ١١ - ٣٠

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢٩/١٥٤ - ١٥٦

#### ٤- الخلط بين الاقتران والسببية :

وهذا المرض العقلي ينم عن سطحية في التفكير ، حيث لا يفوص معه المرء إلى أعماق الأفكار ليحللها ويفهم معانيها ، وبالتالي يحكم على الظواهر أحكاماً عشوائية دون سابق نظر ، أو ربط أو إدراك وتمثل هذه الأمور في الطيرة والفأل . والطيرة أصلها من الفعل طَيرَ ، وطاقر الإنسان عمله الذي قلده ، وهو يوزن العنبه وهو ما يتشاهم به من الفأل الردي (١) والمقصود بها التشاؤم المقرون بأمر ما كمن يتضايق لسماع نعيق البوم أو لروية الغراب ، أو لروية مكان معين ، أو مخلصوق ما ، أو عند مرور زمن معين كشهر صفر ، ومن هنا يذكر الله قصة الكفار الذين تشاءموا بالأنبياء : **إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ ، لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ، قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ** يسين / ١٨ - ١٩ .

والخطاب من أهل القرية الظالمة لأبيائهم عليهم السلام - كي يعلموا أنهم تشاءموا من دعوتهم إليهم للإيمان ، فكان الجواب : **أَنْ شِئْتُمْ بِكُمْ بِسَبَبِ أَنْفُسِكُمْ لَكُرْكُمْ وَعَصْيَانَكُمْ ، إِنْ أَنْكُمْ مَعْتَادُونَ عَلَى الْعَصْيَانِ (٢) ،** والفأل عكس الطيرة إذ هو الاستبشار بأمر ما والارتياح له .

هذا ويمكن اعتبار الطيرة ضرباً من التعليم الشرطي الذي درسته بعض مدارس علم النفس الغربية . فالتداول والتشاؤم يحدث نتيجة تعلم شرطي بمعنى ارتباط شيء معين بخبرة سارة أو مؤلمة ، ولكن الذي يجب التأكيد عليه هو أن تعلم الإنسان العاقل لا يقع باكله ضمن هذا النوع من التعلم ، فلا إنسان العاقل يميز بين الأشياء التي يصادفها ولا يخلط بين الاقتران وظاهرة السببية ، فاقتران الجرس بالطعام لا يعني أن الجرس أصبح سبباً حقيقياً لإحداث الظاهرة موضع البحث . وقد أوضح الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - هذه الحقيقة

(١) الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٢ - ٤

(٢) البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٨٦/٤



بجلاء حينما أنكر أن تكون الشمس التي كسفت عند وفاة ولده نتيجة لتلك الوفاة ، وفي الحديث عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله : صلى الله عليه وسلم ( إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكن الله - عز وجل - يخوف بهما عباده ) (١) ولقد نهانا الإسلام عن الخلط بين الاقتران والسببية وحذرنا من التشاؤم .

وفي حديث أنس - رضي الله عنه - نفي للتشاؤم إذ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ( يعجبني الفأل قالوا : وما الفأل ؟ قال : كلمة طيبة ) (٢)

يتضح مما تقدم أن الإسلام يحذر من ربط الأمور بغير مسبباتها الحقيقية القائمة على الدليل المقنع فعلى الربيين أن ينموا في المتعلمين التفكير الناقد والتحري عن المسببات للظواهر التي يدرسونها .

#### ٥- الاكتفاء بقليل العلم دون كثيره

إن الاكتفاء بقليل العلم مرض عقلي ناتج عن الجهل ومنه : التكبر على العلم والعجب والفرور فمن ازداد علما ولم يزد به تواضعا لم يزد من الله إلا بعدا ومنه الخوض في فن من فنون العلم دفعة واحدة دون مراعاة الأوليات من تدرج ومدخلات ، وغير ذلك مما يؤدي إلى عسرفي الفهم وقلة التحصيل .

وكذلك الدخول في متاهات الخلاف العلمي للمبتدي لا ينتج عنه إلا قلة التحصيل ، كما أن كثرة الاختصارات في العلوم من الأمور المخلة بالتعليم ،

(١) البخاري ، كسوف ٢/٢٦ ، ومسلم ، كسوف (٩٠١) ٢/٦١٨ ، وأبو داود ، استسقا (١١٧٧) ١/٤١٧ والنسائي ، كسوف (١) ٣/١٠١ ، وابن ماجه ، إقامة (١٢٦١) ١/٤٠٠ ، ومالك ، كسوف (١-٣) ١/١٨٦ ، والدارمي ، صلاة (١٥٣٣) ١/٢٩٧ وأحمد ١/٢٩٨ ، ٢/١٠٩ ، ١١٨ ، ١٨٨ ومواطن عدة .

(٢) البخاري ، الطب ٧/٣٢ ، ومسلم ، السلام (٢٢٢٤) ٤/١٧٤٦ ، وأبو داود ، طب ٤/١٨ .

والمعقدة له بحيث تجعل فهم العلم صعبا يحتاج إلى شروح ليفهمه فيخرج التعلم منها ضعيفا .

وكذلك كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات تؤدي إلى سطحية في المادة العلمية دون العمق الفكري وبالتالي تقل حصيلتها .

ومن يدع فنا من فنون العلم المحمود دون النظر فيه ، والاطلاع على غايته كان إلى الجهل أقرب ، ولم ينفعه عقله ، والاكتفاء بقليل العلم مدعاة إلى التعصب المذهبي وترك العمل بالعلم ، لذا فإن على المرء أن يشبع رغبته في الاطلاع والمذاكرة وتحصيل العلوم والعمل بما تعلمه . ( ١ )

#### ٦- النظرة الجزئية إلى المعرفة :

من الأمراض العقلية التي ينبغي للمرء العاقل الابتعاد عنها : النظرة الجزئية إلى المعرفة حيث ينظر المرء من باب تخصصه الضيق إلى فنون العلم الأخرى فيستهين بها ، وهذا لا يصح من عاقل ، وكذلك لا يصح تقبيحها في نفوس الناس كاللفوي الذي يستهين بالتربية أو الفقه ، أو التفسير أو الحديث فيقول عن الحديث ( إنه نقل محض ، وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ) ( ٢ ) وكذلك الطبيب لا يتسهين بالأدب أو الجغرافيا ، أو الاقتصاد . . . الخ . إن أن العلوم متعاونة ، ومرتبطة ببعض ، والناس أعداء ما جهلوا وإهمال علم من العلوم لحساب الآخر من الأمراض العقلية ، فالعلوم إما أن تسلك بالعبد إلى الله ، أو تعينه على السلوك بنوع من الإعانة ، ولم ينظر عاقل إلى المعرفة نظرة جزئية ، ويبدو ذلك في فكر العربيين المسلمين كالفزالي ، وابن جماعة ( ٣ ) وغيرهما .

( ١ ) ابن خلدون ، المقدمة : ص ٥٠٠ - ٥٠١ ، وكذلك ينظر : نادية جمال الدين ،

فلسفة التربية عند اخوان الصفا ، ص ٤٠٣ - ٤٠٤ ، محمد الفزالي ،

مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص ١٢٥ - ١٤٦

( ٢ ) أبو حامد الفزالي ، إحياء علوم الدين : ١ / ٨٧ .

( ٣ ) المرجع السابق ١ / ٤٣ ، وكذلك ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم ص ٨٥

إن النظرة الجزئية تؤدي إلى العجز والانحسار ، وتضخيم دور بعض الجزئيات والفروع ، مما يعطل الإبداع والعطاء ، كما أن التعصب لتخصص معين من جانب المعلمين قد يولد في المتعلمين اتجاهات سلبية كأن يحسوا بتعارض المعارف التي يتعلمونها . فعلى المدرسة أن تؤكد على تكامل المقررات الدراسية وأن تهدف إلى نشر ثقافة عامة ، وتربية وعقل مرتب متوازن قادر على النظرة الشمولية العامة إلى جانب التخصص العلمي ، حيث أن الانشغال بهذه الجزئيات ، وعدم وضعها في مكانها المناسب دليل مرض وعجز العقل ، ودليل القابلية لاستمرار التخلف ، مما يهدد السبيل للفرز الفكري الذي يريد شغلنا بالجزئيات ليخلو له الميدان (١) .

#### (هـ) تربية العقل

لقد سبق لنا الحديث عن العقل وأهميته في الشريعة الإسلامية ، حيث يمثل اعظم هبة الهبة للبشرية ، والتربية العقلية تهدف إلى (مساعدة الفرد وإعداده للتفكير السليم ، والقدرة على النظر والتأمل حتى يستطيع أن يحكم على الأشياء حكما قوامه الصدق والعدل ، ويمكنه أن يفهم البيئة التي تحيط به ، كما يمكنه أن يفيد من تجاربه ، وتجارب الآخرين) (٢) . ويرى المودودي : أن آيات الله تعالى لم يتنزل بها الوحي لتعنى مجرد القدرة على الرؤية ، والسمع ، والتفكير . . ذلك بأن السمع معناه : إحراز معارف الغير ، والبصر : تنميتها ، والفؤاد : تنقيحها واستخلاص النتائج منها ، فإذا ما تضافرت هذه القوى حصلت المعرفة التي ترفع مستوى الإنسان الحضاري . فالعلم الحديث أداة حيادية يمكن توظيفها لخدمة الدين وتعزيز العقيدة ، لأنه نتاج جهود عقلية للأمم البشرية - ساهم المسلمون بنصيب وافر فيه ، ثم إن المرء يجد لهذا العلم أصلا في ديننا (٣) .

(١) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ٣٥/١

(٢) سيد سابق ، محمد عثمان عدلان ، التربية العقلية الإسلامية ص ١

(٣) أبو الأعلى المودودي ، المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم ص

ولقد تأرجحت المدارس الفكرية والتربوية في الحكم على العقل وتكريمه .  
ففي العالم الغربي عمدت بعض المدارس الفلسفية إلى إظهار العقل والمبالغة  
في الرفع من مكانته فجعلوا المعرفة كلها عقلانية ، ورفضوا كل أمر لا يتقبله  
العقل .

وهناك مدارس استهانت بهذه الجوهرية وحققت وظيفتها ، وبهذا قسموا  
العقل إلى تجريبي ونظري : وقد حصر قوم من الفلاسفة والمربين في الغرب  
المعرفة في المحسوسات التي تخضع للتجريب ، وهو "لا" يرفضون أي فكرة لا يمكن  
تجريبها واختبار صحتها معملياً ، ومن ثم لا يؤمنون بالدين لاشتماله على أمور  
غيبية لا يمكن دراستها في المعمل ، ومن هو "لا" أو كونر الذي يرى أن المعارف  
الصحيحة هي التي تنجم عن التجربة ، فلا غرابة إذا رأينا يدعوا إلى بناء نظرية  
تربوية على نط النظرية العلمية ، على الرغم من وجود فوارق جوهرية بين  
مجال التربية ومجال العلم .

وهناك فئة أخرى من الفلاسفة الغربيين تعطي العقل النظري دوراً أكبر ،  
إنهم لا ينكرون أهمية المعرفة التجريبية التي يتوصل إليها الإنسان ولكنهم  
يمتدنون أن هذه المعرفة عاجزة عن إمدادنا بكل ما نحتاج إليه في الميدان  
التربوي ، وعليه فإنهم يفسحون المجال أمام العقل ليزودهم بالأسس التي تتم  
بموجبها المفاضلة بين هذا الهدف أو ذاك . وإذا كان العقل التجريبي  
يكتفي بمجرد الوصف فإن العقل النظري قادر على إصدار أحكام على الأشياء  
الموصوفة . (١)

أما في العالم الإسلامي فوجدت النظرة إلى الإعلاء من قيمة العقل  
عندما بدأت الترجمة لعلوم اليونان فظهرت المعتزلة وظهرت مدرسة أهل

(١) O'Connor. " The Nature and Scope of Educational Theory "

in: New Essays in the Philosophy of Education P.50

الرأي في الفقة لكنها كانت أشد تحفظاً فلم تستعمل الرأي إلا عند عدم وجود نص . . . وكان إمامها أبو حنيفة رحمه الله يقول : إنَّ صح الحديث فاضربوا برأبي عرض الحائط . وكذلك ظهرت جماعة إخوان الصفاء الذين أرادوا إحلال الفلسفة محل النصوص الدينية ليخلصوا الناس من الزيف والضلal الذي تغشى في عصرهم (١) ، فلم يكن منهم إلا أن ضلوا وأضلوا . . . وظهرت الجهمية ، ومن الفلاسفة أيضاً الفارابي ، وابن سينا والرازي ، وابن مسكويه ، وابن رشد وغيرهم ، وامتدت النظرة إلى تفديس العقل إلى زماننا هذا حتى قيل بأنَّ الإسلام دين العقل - على أن الدين لا يعارض العقل - فلم يوفقوا في فهمهم له إذ أن نظرتهم هذه سبيل إلى فهم ضيق للإسلام ، لأنَّ العقل جزء من الدين ودوره أن ينسجم مع الدين ، وليس العكس ، لنخلص الدين من أخطاء اجتهداتنا . . . وهذه النظرة ذهب إليها رعاة الطهطاوي ، وعبد الرحمن الجبرتي وكثير من الكتاب المعاصرين لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده حيث قدّموا العقل على النص - وخصوصاً أخيراً الآحاد - والمذهب على المنهج ، والرؤية العصرية على الرؤية الموضوعية ما أوقعهم في كثير من الأحيان في التناقضات . وقد انبثقت عن هذه المدرسة اتجاهات جانحة على حد تعبير البعض ، ذلك لتقدّسهم العقل وتقديسهم حكمه على حكم الشرع . (٢) والعقل لا يتعدى كونه وسيلة للمعرفة كباقي الوسائل .

#### ١- طرق التربية العقلية :

التربية الإسلامية في كل أمورها منظمة تنظيمًا دقيقًا ، وكل أمر فيها له طرق وخطوات متتابعة ، ولتربية العقل طرق توصل الإنسان إلى تحقيق أهداف هذه التربية وسنتحدث عن بعض طرق التربية الإسلامية في تربيتها للعقل فيما يأتي :-

#### أ - تحديد مجال النظر العقلي :

لقد حدد الإسلام مجال النظر العقلي بالتأمل والتفكير ، والتدبر

(١) نادية جمال الدين ، فلسفة التربية عند إخوان الصفاء ص ٧

(٢) عبد الحليم عويس ، المسلمون في معركة البقاء ص ٩٧ - ١٠٤ وكذلك ينظر

محمد عبده ، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة ص ٥٤ - ٥٩ ، ٥٥

في مخلوقات الله سبحانه ، وفي الأمور الغيبية لم يسمح للعقل بالبحث إلا بقدر ما جاء به الشرع ، فمنع من التفكير في ذات الله ، وصفاته ومعاني أسمائه ، والإسلام يصون الطاقة العقلية من التبدد وراء الغيبيات التي لا سبيل للعقل من الحكم فيها . ويرى ابن تيمية أن الحديث الذي لا ينقضي بالأدلة الخفية - كالأجماع ونحوه - فلا يمكن أن يكون فيه ما ينقض بالعقل الصريح والظاهر ، ولكن التعارض يكون في الأمور الخفية المشتبهة التي يحار فيها كثير من العقلاء كذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله والروح والجنة والنار ، والجن وغيرها من الغيبيات التي تقصر أغلب العقول عن معرفتها ، لذا فإن أغلب الخائضين فيها إما مختلفين أو حيارى ولذلك تجدهم مقلدين لأئمتهم . (١) ومن هنا فقد منع العقل من البحث في بعض المجالات إلا بحدود ، ومن هذه المجالات :

- ١- البحث في كنه الذات الإلهية : لقد حدد الله سبحانه لنفسه أسماء وصفات ذكرها في كتابه أو علمها أحدا من أنبيائه عليهم السلام ، وأشياء نزه نفسه عنها ، أو نزهه عنها نبيه صلى الله عليه وسلم (٢) . والشيطان لا يتوقف عن الوسوسة للإنسان حتى يجعله يفكر ويتساءل فيما لا يدركه بعقله وكان منع الناس من التفكير في ذات الله ( رحمة بالعقل البشري أن يضل مهما تقيد أو انطلق . . إذ هو في القيد والانهياس يظلم مكسورا مهيبضا ، وهو في الانطلاق والتجاوز يظل تائها محسورا ) (٣)
- ٢- الروح : لقد نهانا الإسلام عن البحث في ماهية الروح قال تعالى : **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** الإسراء / ٨٥ ويرى ابن كثير أن مبحث الروح ما استأثر به الله سبحانه من العلم ولم يطلع عليه العباد ، ولم يطلعهم إلا على القليل من علمه الذي استأثر به (٤) بينما يرى ابن قيم الجوزية أن الروح المنهية

- 
- (١) ابن تيمية ، درء تعارض العقل والنقل - ١٥١/١
  - (٢) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ٤٧/١
  - (٣) عبد العزيز الأهدل ، أسرار العبادات ص ١٣
  - (٤) محمد علي الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير ٣٩٧/٢ - ٣٩٨

عن الخوض في أمرها ليست أرواح بني آدم إذ يقول: (وأرواح بني آدم فليست من الغيب ، وقد تكلم فيها طوائف من الناس من أهل الملل وغيرهم فلم يكن الجواب عنها من أعلام النبوة) (١) .

٣- البحث في أفعال الله الخارقة للعادة ، فمن الواضح أن قدرة الله ليس لها حدود تقف عندها قال تعالى : " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " يَسَّرَ / ٨٢ قال تعالى : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ " الشورى / ١١ .  
إنما البحث في كيفية أدائه لأفعاله فهو أمر يتعلق به سبحانه واستأثر بعلمه .

٤- أمور الآخرة : من جنة ونار وملائكة وشياطين وجان وأمر الساعة فكل هذه الأمور وما كان متصلاً بها جعلها الله غيباً وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار وذلك من كمال حكمته ، ولتمييز المؤمنين بالغيب من غيرهم) (٢) ، وقال تعالى بالنسبة لعلم الساعة : " يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ، إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ، إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا " النازعات / ٤٢ - ٤٥ . أي من أين لك معرفتها وهي ما احتفظ الله بعمله لنفسه ، وهذا العلم ينتهي إليه وحده ، وليس عليك - يا محمد - إلا أن تنذر بقربها وتفصل ما فيها من أهوال (٣) . وهذا بيان بأنه لا يجوز لنا البحث في أمر لم يطلع الله عليه أحد من العباد ، ولو أطلع عليه لكان نبيه محمد - صلوات الله وسلامه عليه وآله - أولى بذلك من غيره . ومن هنا فمهما بحثنا في هذا الموضوع فلن نصل إلى شيء صحيح إلا في حدود ما أخبرنا الله تعالى في كتابه ، أو على لسان نبيه - عليه الصلاة والسلام - وقس على ذلك الأمور الغيبية الأخرى . ولقد بحثت المدرسة العقلية الحديثة في تفسير القرآن في بعض هذه الجوانب الغيبية فاختلقت أقوالهم ولم يصلوا إلى جُلٍّ مقنع في هذه القضية لأنهم خاضوا في أمر غيبي لا نص فيه (٤) .

-----

- (١) الروح : ص ٢٠٤  
(٢) ابن قيم الجوزية المرجع السابق : ص ٩٠  
(٣) إسماعيل حقي البرسوي ، تفسير روح البيان ٣٢٩ / ١٠  
(٤) فهد الروبي ، منهج المدرسة العقلية الحديثة في تفسير القرآن الكريم ٦٤ / ١

ب - وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي :

وفي هذه الطريقة لتربية العقل تقوم التربية الإسلامية بالآتي :-

١- تضييق العقل من المفاهيم الفاسدة : حيث عمدت التربية الإسلامية إلى تخليص العقل من كل الأفكار والمعتقدات والتصورات التي تخالف الحق ، ولا تتفق مع منهج الله ، وذلك من حيث تصورات المرء عن الألوهية ، وتعدد لها ، وتصورات عن طبيعة الكون ، ومعتقداته عن الخلق والحياة ، ليستبدل هذه التصورات بالإيمان الخالص بما جاء به عقيدة التوحيد ( ١ ) فإن تخلص المرء من كل تأثير خارج عقله ما يعرقل فكره ، ويوقف سيره ضمن لنفسه بعد أحكامه عن الزيف ، فلا سلام يخاطب ويكلف عقلا تجرد عن الهوى ، وآثار التقليد لأن العقل هو الذي يستطيع التنقيب والبحث عن الحقيقة والوصول إليها . ( ٢ )

٢ - الأمر بالتثبيت من كل أمر قبل الاعتقاد به : ولقد نهى الإسلام عن الاقتناع بالدليل الظني الذي لم يرتق إلى درجة اليقين الجازم قال تعالى :  
 " وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ " الأنعام / ١١٦ وقال تعالى : " وَمَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَفْضُلُ سُنِّي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا " فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى " النجم / ٢٨ - ٣٠ هذا لأن الظن لا يفيد العلم اليقيني - الذي نأخذ منه المعرفة النافعة لنا في الدارين - ولقيامه على الشك واقتترانه بالهوى وרגاوب النفس .

ج - دعوة العقل إلى التأمل في سنن الكون :

وفي ذلك قامت التربية الإسلامية بطبع العقل بطابع من الدقة والتنظيم كما

يأتي :-

١- رسمت التربية الإسلامية للعقل تصورات واضحة في القضايا الغيبية بالقسدر

( ١ ) عبد الرحمن عسيرة ، منهج القرآن في تربية الرجال ، ص ٤٤

( ٢ ) محمد أمين المصري ، لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها ص ١٢٤



الذي يحتاجه ، فبعد تفريغ العقل من المفسد وتوجيه الدعوة للإنسان لينظُر في نفسه ، وحياته ، وأمور معاشه ، وعاقبة أمره ، أخذت التربية الإسلامية تصحح له تصوراتهِ عن الألوهية وعن الكون وعن نفسه والغاية من خلقه وخلق الكون ، وكيف يعيش ويتعامل مع من حوله حتى لا يتيه في بحثه وتفكيره ليهتدي إلى الحق دون عناء وتعَب ، قال تعالى : " إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ " النساء / ١٧٢ ، وقال سبحانه : " هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ " فاطر / ٣ وقال سبحانه " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ " الإخلاص / ١-٤ وقال تعالى : " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " الذاريات / ٥٦ .

٢- حث التربية الإسلامية الإنسان على النظر والتأمل في حكمة الله في خلقه باستعمال حواسه وعقله ، فطالبت بالتعرف على نفسه ليدرك بعجز أسرار عظمه الله في خلقه ثم دعت للتأمل والنظر والسياحة في هذا الكون الفسيح الذي سخره الله له حتى يتمكن من القيام بإعمارهِ (١) ، والحواس والعقل تساعد على الإدراك ومقدور الإنسان استخدام هذه الأشياء بحسب قدراته ، وهناك من لا يحسن استخدامها كما أن هناك من لا يريد استخدامها (٢) ويقول الله سبحانه عن هؤلاء الذين لا يستعملون مواهبهم في التعرف على أنفسهم وماحولهم " وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي مَكَانٍ مَّكَانَكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً ، فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ ، وَلَا أَبْصَارُهُمْ ، وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ ، إِنْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِسِيهِ يُسْتَهْزِئُونَ " الأحقاف / ٢٦ من هذه الدعوة ينطلق الإنسان للتعرف على أسرار ذاته ، فإذا ما عرف شيئاً عن حقيقة نفسه انطلق به الشرع إلى التعرف على الكون الذي خلقه الله وسخره له ليستفله ويستفيد منه ، فلا بد له من التعرف على السموات والأرض ، والشمس ، والقمر ، والبحار ، والجبال ، والسهول ، والدواب والنباتات ، ليدرك أنه لم يخلق عبثاً ، ودعانا الإسلام لتفكر في كل ما خلق الله واستعمال عقولنا في التدبر والتخطيط لأعمالنا لنضمن قسطاً من النجاح فيها ،

(١) عبد الرحمن عميرة ، منهج القرآن في تربية الرجال ص ٤٤

(٢) أحمد توفيق شاوولي ، الإنسان في القرآن الكريم ، ص ١٩

وفريضة التفكير في الإسلام تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من وظائف التفكير وخصائصها ، وأسباب الخلق والإبداع الإلهي للكون ، وضبط أفكار الفرد وربطها والوصول بها إلى الكليات التي تحكمها . ( ١ )

وبالتالي أمرنا الله بالتمييز بين الحسن والقبيح ، واختيار أنسب الأشياء عن اقتناع ، وأشار بالذين يتبعون أفضل الأمور - قال تعالى : " الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ، وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ " الزمر/ ١٨ . وطلب من المسلم الاختيار بعد أن رسم له كل معالم الطريق وجعل حرية الإرادة والفكر حتى في الاعتقاد احتراماً لعقل الإنسان ، فمنع الإكراه والإكراه على الإيمان فقال تعالى : " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ " البقرة/ ٢٥٦ ، وقال : " فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ " الكهف / ٢٩ فالإسلام : أطلق العنان للعقل ليفكر ويتدبر ويختار .

## ٢- العقل باعتباره وسيلة من وسائل المعرفة :

لقد تحدثنا فيما مضى عن أهمية العقل ، وطرق تربية الإسلام له . والآن سوف نتحدث عنه كوسيلة للمعرفة حيث أن وظيفة العقل الرئيسية التفكير . ويرتبط التفكير ارتباطاً وثيقاً بالإدراك الحسي ، إذ يدخل في كل إدراك حسي مكون عقلي ، فمن طريق العقل تتكون المفاهيم المجردة من إدراكات محسوسة ، وإن المفاهيم تؤثر في الإدراك ، فملاحظة الفرد بحواسه تتوقف على المفاهيم التي توصل إليها العقل ، والمعرفة العقلية ترتبط بعلاقة متشابكة مع المعرفة الحسية ، فالعقل مرشد للإدراك الحسي ، وهو يزيد من كفاية الحواس ويقلل من أخطائها ، وملاحظات غير المنظمة ، ويوجه الانتباه إلى الطريق التي أثبتت الخبرة السابقة فائدتها وهو أيضاً يكتشف المعرفة مستقلاً عن الحواس ( ٢ ) وكما بيننا

( ١ ) يوسف القاضي ، تساؤلات ومقالات تربوية ونفسية ص ٧

( ٢ ) فينكس ، فلسفة التربية ص ٤٨٠ - ٤٨١ وكذلك ينظر : محمد منير مرسي ،

أصول التربية الثقافية ص ١٩٠ - ١٩٢ -

فيما مضى أن العقول قاصرة معاجزة عن الوصول إلى الكثير من المعارف من الغيبيات ، وأنواع العبادات وكيفية أدائها ، فما علمناه بالعقل أكد ، الشرع ، وما عجز عنه بينه ، وكما أن العقول متفاوتة في الإدراك فقد يستحسن عقل فعلا ، ويستقبحه آخر ، بل إن الأمر يختلف لدى العقل الواحد من وقت لآخر ، فالتفويض إلى العقول يؤدي إلى النزاع لذا فإن العقل لا يمكن أن يكون المصدر الرئيسي للمعرفة (١) لأن الوحي هو المصدر الوحيد للمعرفة ، فكون الشريعة الإسلامية واحدة المصدر أمر لا خلاف فيه ، أما كون العقل مصدرا للمعرفة فهو أمر مختلف فيه كالحواس ، والإلهام ، والحدس ، فمصدر المعرفة هو الله سبحانه الذي يعلم ما في السموات والأرض ، وما دون ذلك ، وقد خط الله بعضا من علمه على صفحة الكون في مخلوقاته جميعا ، وأمدنا بالعقل والحواس كوسائل للمعرفة نستطيع عن طريقها استقبال المعرفة من مصدرها بقراءة تلك الصفحة وتدبر ما فيها من معلومات نستفيد منها في أمر ديننا ودنيانا ومعاشانا ، وغير تنجينا في ديننا وأمدنا بالرسالات السماوية ليلفنا ما تعجز عنه عقولنا ومداركنا ، إذ أن وسائل المعرفة جميعها قد يقع عليها الخطأ ، وبالتالي فلا يمكن أن يكون العقل المصدر الأوحد للمعرفة . إذ أنه في حاجة إلى موازنة الوسائل الأخرى للمعرفة ، وأن المعرفة التي وسيلتها العقل لا تكفي وحدها لتشكيل عقلية الإنسان .

وكما استخدمت التربية الإسلامية العقل فقد استخدمت الحواس على أوسع نطاق فوظفها المسلمون الأوائل توظيفا كاملا وبالتالي كان لهم السبق في استخدام المنهج التجريبي - الذي حثهم القرآن على استخدامه - في العلوم الطبيعية التي درسوها على أوسع نطاق (٢) واعترفوا بها كوسيلة من وسائل المعرفة .

وكذلك اهتمت التربية الإسلامية بالحدس والإلهام كوسائل للمعرفة ، وظهرت بعض الجماعات كالصوفية تعتمد على هذه الوسيلة ، وكانوا يربون الناشئة ويعدونهم لتلقي الإلهام بالتماهد والتربية الصالحة ، بربط الطفل الدائم والعميق

(١) طه عبد السلام أبو خضير ، أضواء على العقيدة الإسلامية والأخلاق ص ٨٨

(٢) محمود عبد الوهاب فايد ، التربية في كتاب الله ص ١٤ - ١٦

بالله في كل لحظات حياتي .

وفي نهاية الأمر تقوم التربية الإسلامية به رضى المعارف الحاصلة عن طريق هذه الوسائل على مصدر المعرفة الثابت والأوحد ، فما كان له أصل في الدين - إما أن يكون موافقا للشرع فيأخذ به ، وإما أن يكون مخالفا فنأخذ بما أرشدنا إليه الشرع . ومن ثم نستطيع الحكم على صحة معارفنا عن طريق مصدر الوحي الرباني مثلا في كتاب الله العزيز وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - الصحيحة . .

ومن الملاحظ أن الأمم التي ركزت في معارفها على العقل ، واعتبرته - الوسيلة الرئيسية للمعرفة ، ومنهم العالم الإسلامي المعاصر - معارفهم جافسة ويعانون تخلفا حضاريا ماديا وكذلك الذين ركزوا على أي وسيلة أخرى للمعرفة - غير العقل - ينقصهم الكثير من الأمور التي لا تدرك بالوسيلة التي اعتمدوا عليها . والأمة الإسلامية مطالبة من قبل دينها بالإعداد التام ، ومراعاة جميع طاقات الإنسان لتعميد تشكيل عقله بالصورة التي أرادها الإسلام ، لاحتياجنا إلى عقلية ناضجة ، مبرمجة ، مخططة ، وعلى العقل المسلم أن يأخذ بتلابيب الطاقة التي كشف عنها النقاب ، وأن يعمل على إحالة الطاقة إلى إبداع ليسبق الخصم ، فمادامت قيم الإسلام تؤكد على فكرة الزمن وعلى السبق العلى ، فسواء شئنا أم أبينا فنحن المسؤولون عن هزائنا العقائدية ، وتخلفنا الحضاري ، وإعادة مجدنا يتطلب عدم تعليق تأخرنا بما رسات الأمم الأخرى . فلا منقذ لنا إلا عودتنا إلى الله وتطبيق شروعه بأن نعمل ونتحمل المسؤولية ، إننا أن عبادتنا لا تنفع وحدها بدون عمل واجتهاد .

## ( و ) خاتمة الفصل

في هذا الفصل تحدث الباحث عن العقل ومكانته في الشريعة والتربية حتى عصرا بن حبان البستي ، وفيه ناقش الباحث مفهوم العقل ومكانته في اللغة العربية وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ثم تحدث عن مفهوم العقل عند العلماء المسلمين حتى عصرا بن حبان .

ولقد ناقش الباحث أهمية العقل ومكانته في الاسلام فيبين تعويل الشريعة عليه في أمر التبعة والتكاليف الشرعية وذلك ليسهل دراسة العقل عند ابن حبان ومظاهره في سلوك الأفراد والجماعات . ومن ثم وضع الباحث حدود العقل ومجالاته المتمثلة في التفكير في أسرار النفس الإنسانية ، والتأمل في الكون وتدبر الحوادث التاريخية لاستنباط العبر من نجاح الأمم وسقوطهم ، ولتحقيق الغاية الكبرى من وجودنا على الأرض بعبادة الله سبحانه .

ثم ناقش الباحث الأمراض التي تصيب العقل كما حددتها القرآن الكريم والتي منها الجهل ، والتقليد ، والمكابرة ، والخلط بين الاقتران والسببية ، والسطحية في التفكير من خلال الحديث عن الاكتفاء بقليل العلم والنظرة الجزئية إلى المعرفة .

ثم انتقل الباحث إلى الحديث عن تربية العقل فذكر بعضاً من طرق التربية العقلية ، وتحدث عن العقل كوسيلة من وسائل المعرفة الموثوقة عند علماء المسلمين . ومن هنا نستطيع القول بأن هذا الفصل يمثل مقدمة للحدوث عن ثمرات العقل في صورة التربية الفردية والاجتماعية التي سنتناولها بالبحث في الفصول التالية .

# الفصل الثالث

مظاهر العقل السليم في الفرد عند  
ابن حبان البستي

## مقدمة الفصل

لقد أعطت التربية الإسلامية للفرد كيانه ، واعتباره ، فمنيت بعقله ، وضعيره ، وجسمه ، ووجدانه وهيات له أسباب الحياة الحرة الكريمة ، وضمنت له كل أسباب العزة ، والقوة ، والحرية ، وقررت له كرامة مثلثة ( كرامة هي عصمة وحماية ، وكرامة هي عزة وسيادة ، وكرامة هي استحقاق وجدارة ) (١) ، كرامة يستغلها الإنسان من طبيعته « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ » الإسراء / ٧٠ ، وكرامة تتغذى من عقيدته - « وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ » المنافقون / ٨ ، وكرامة يستوجبها بعمله وسيرته « وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّا عَمِلُوا » الأحقاف / ١٩ .

والتربية الإسلامية تستهدف بناء الإنسان العاقل الذي يجعل الدين شريعته والحكمة طبيعته ، والرأي الحسن سجيته ، إن نطق أصاب ، وإن تكلم أجاب ، وإن سمع وعى وما ذكره ابن حبان (٢) من صفات العاقل : الحلم ، والصمت ، والوقار ، والسكينة ، والوخاء ، والبذل ، والحكمة والعلم ، والورع ، والعدل ، والقوة ، والحزم ، والكياسة ، والتميز ، والسمت ، والتواضع ، والعفو والإحسان .

والتربية الإسلامية تربية فردية في تناولها الفرد تناولا شاملا لكل مامن شأنه الإسهام في بناء شخصيته ، وتهذيب أخلاقه داخل إطار الجماعة المسلمة حيث أن هذا البناء ضروري له في حياته الخاصة - وفي بناء المجتمع والحضارة الإنسانية الراقية ، فإذا ما أردنا إعداد الإنسان الصالح ، فلا بد لنا من الاهتمام بإصلاح البيئة المحيطة به ، وهذا لا يتم إلا بالتزام منهج الله في تعامله مع

---

(١) محمد عبدالله دراز ، نظرات في الإسلام ، ص ٩٧

(٢) روضة العقلاء ، ص ١٠٥

الله ، ومع نفسه ، ومع الناس ، إيماننا منا بأن ( بناء خير فرد ، وسيلة لبناء خير مجتمع وبناء خير مجتمع وسيلة لبناء خير حضارة )<sup>(١)</sup> والغاية من ذلك : تحقيق السعادة الشاملة ، والأمن والرخاء للإنسانية .

ولما يغلّب على كتاب روضة العقلاء من الحديث عن ثمرات العقل ، فقد قسمها الباحث إلى فردية ، واجتماعية ، حسب ما ارتآه مناسباً لميدان البحث التربوي وهذا التقسيم قد لا يخلو من الانتقادات . فالمعلوم أنّ الفرد يعيش في جماعة . ولذا يصعب الحديث عن صفات فردية منعزلة عن الجماعة ، لأنّ هذه الصفات تؤثر في الجماعة من خلال الفرد ، وكذلك الصفات الجماعية في ذاتها تربية للفرد من خلال الجماعة ، ولا يمكن فصل الفرد أو الجماعة عن بعض ، والإسلام حين خاطب الفرد خاطبه على أنه لبنة في الجماعة ، والخطاب يلزم جميع أفراد الأمة ، ولأنّ لما صلح الشرع لكل زمان ، وخاطب الجماعة على أنها مجموعة من الأفراد ، وما ينطبق عليها ينطبق على كل فرد بعينه ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ، الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » الأنفال / ٦٥ ، ٦٦ وفي الآيات خطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى جماعة المسلمين كافة ، قال الزمخشري : هذه بشارة من الله بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا - غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار ، ثم خفف الله عنهم لما علم ما فيهم من الضعف في البدن والبصيرة والاستقامة في الدين وتفاوتهم في ذلك وكرّر سبحانه وتعالى المعنى الواحد أكثر من مرة قبل التخفيف ، ومعه ، للدلالة على أنّ الحال مع القلة والكثرة واحدة تتغياوت ، لأنّ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف وذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين . ( ٢ ) وعلى سبيل المثال

( ١ ) مقدار الجن ، دور التربية الأخلاقية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة

الإنسانية ، ص ٣٧

( ٢ ) الزمخشري ، الكشاف ، ١٦٧/٢



لو أخذنا صفة تقوى الله نجد لها صفة فردية تتعلق بالمرء من داخله في علاقته مع خالقه ، لكنها في الوقت نفسه صفة اجتماعية ، لما يترتب عليها من حسن معاملة ، وأشر في تماسك الجماعة ، بيد أنها تبقى - حسبما أرى - صفة فردية .

ولو تناولنا صفة الكرم لوجدنا أنها صفة اجتماعية ، لما يغلب عليها من ارتباط بالجماعة ، وتقويتها للعلاقات الاجتماعية ، وتقريبها بين أفراد الأمة ، ومع غلبة الجانب الاجتماعي للكرم ، إلا أنه لا يمكن إغفال الجانب الفردي ، إذ عندما يتسع المرء بصفة الكرم فإنه يظهر أمام الآخرين بشخصية متميزة .

ومن هنا نقول بأنّ هذا التصنيف غير قطعي ، ولكن هذا لا يمنعنا من الأخذ به ، لما ينجم عنه من سهولة عند معالجة البحث . فالتصنيف يبرز الأمور أو الأشياء التي تشترك في صفة أو أكثر - وهذا يسهل على أي باحث التوصل إلى تعميمات ، أو ملاحظات عامة - حول العناصر التي تندرج ضمن فئة معينة . ثم إنّ عدم وجود معيار دقيق لتصنيف السمات المميزة للشخصية الإنسانية - يعسّتي أنّ أي تصنيف آخر يمكن أن توجه إليه الانتقادات . وعليه فإنّ الباحث لم يتبع منهج ابن حبان - الذي أفرد لكل صفة باباً مستقلاً على طريقة المحدثين . بل أتر أن يعالج ما يطلق عليه " الصفات الفردية " في هذا الفصل على أن يعالج الصفات الاجتماعية في الفصل التالي .

(ب) المظاهر العلمية للعقل عند ابن حبان

العلم : نقيض الجهل ، وهو : معرفة المعلوم من الذات ، والصفات ، والمعاني ، على ماهي عليه وهو : مصدر علم يعلم علما . ( ١ )

وقيل : هو استيقان الشيء وتبينه ، فمن قال بالأمر مقلدا لم يعلمه ، والتقليد غير الاتباع ، حيث يعني الأخذ بالرأي دون تدبر معناه ، ولا دليله مع رفض سواه ، أما الاتباع : فهو عن علم ودراسة يرجحان هذا المذهب أو ذاك . ( ٢ )

ويرى أبو بكر الجزائري أن : العلم غير المعرفة حيث إنها : ضد النكرة ، وعرف الشيء يعرفه إذا أدركه على ماهو عليه وتطلق المعرفة على معان كثيرة بخلاف لفظ العلم الذي يطلق على المعلوم المتيقن فقط ، ومصادره أكثر والمتصفون به أقل من المعرفة - التي مصادرها أقل ، والمتصفون بها أكثر ، والمعرفة لا بد وأن تسبق بجهل ، بخلاف العلم - فلا يشترط له أن يسبق بجهل ، ومن هنا فلا يصح وصف الله - سبحانه - بالمعرفة ، لكنه يوصف بالعلم ، وعلمه سابق كل معلوم . ( ٣ )

والواقع - أنه لم ترد في آيات القرآن الكريم أية آية تصف الله عز وجل بالمعرفة ، أما فيما يتصل بالإنسان - فإنه يطلق عليه صفة العلم والمعرفة ، وقد ورد في كتاب الله ما يدل على أن الإنسان يعرف آيات الله ، ويعلمها ، قال تعالى : « وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا » النمل / ٩٣ وقال تعالى - عن موقف المؤمنين من الساعة : « وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ » الشورى / ١٨ .

( ١ ) أبو بكر الجزائري / العلم والعلماء ص ١١

( ٢ ) ابن عبد البر / جامع بيان العلم ٢ / ٤٥٠

( ٣ ) العلم والعلماء ص ١٢ - ١٣

ومن هنا كانت المعرفة غير العلم ، مع كونها مرتبطة به ، وفي تداخلها معه ، ويحتاجها الفرد والمجتمع لتحقيق حياة أفضل - في التعامل مع ماحوله ، لتحقيق السعادة والرفعة للإنسانية .

لقد أدرك ابن حبان أهمية العلم - حيث أولاه اهتماما بالغا ، منطلقا من اهتمام الشرع الإسلامي به ، ووضع في الرتبة بعد إصلاح السريرة ، وحث على مداومة عليه ( إن لا وصول للمرء إلى صفا شي من أسباب الدنيا ، إلا بصفاء العلم فيه ، وحكم العاقل - ألا يقصر في سلوك حالة توجب له بسط الملائكة أجنحتها رضا بصفه ذلك ) (١) . واستدل بحديث عسال المرادي رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ( ما من من خارج - يخرج من بيته يطلب العلم ، إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع ) (٢) .

ونرى أن ابن حبان محق في رأيه هذا إذ أن فضل العلم كبير ، وشرفه في رفع الأئم والأفرد جليل ، به يعظم الحقيير ، ويشرف الوضيع ، ويفوز أهله بالدرجات العلا . والعلم مرتبط بالعقل - ويدور معه وجودا وعدما ، لأنه غذاؤه ، والعقل هو : منبع العلم ، وأصله ، والعلم يجري من العقل مجرى النور من الشمس ، والروية من العين . وقد عبر المحاسبي - من قبل عن وجهه النظر هذه بوضوح - فقال : ( فمثل العقل - مثل البصر ، ومثل العلم مثل السراج فمن لا يبصر له لا ينتفع بالسراج ، ومن له بصر - بلا سراج ، لا يرى ما يحتاج إليه ) (٣) . ويلاحظ أن ابن حبان قد أكد على الصلة الوثيقة بين العقل والعلم ، بخلاف الطوسي (٤) الذي فضل العلم على العقل ، واستهان بالآخر ، فجعله - كصفة الإقدام ، والشفقة ، وغيرها من السمات - التي يشترك فيها الإنسان والحيوان ، وقد غاب عنه ارتباطها وتلازمها ، فالإسلام رفع مكانة العالم فوق

(١) روضة العقلاء ، ص ٢٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠ ، وزوائد ابن حبان ، العلم (٧٩) ص ٤٨ ، سنن

ابن ماجة ، مقدمة (٢٢٣) ١ / ٨١ والحديث حسنه الألباني ، صحيح

الترغيب والترهيب (٦٨) ١ / ٣٣ (٣) الرعاية لحقوق الله ص ٢١٧ - ٢١٨

(٤) نصير الدين الطوسي ، أدب المتعلمين ، جمع وتحقيق أحمد عبد الغفور عطار ص ١٤٤

مكانة العابد ، وفي حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل منكم ) ( ١ ) وهذا العلم - الذي يفضل صاحبه على العابد - هو الذي قصد ، ابن حبان حين قال : ( ولا يجب أن يكون - العالم - متأملاً في سعيد الدنيا - من السلاطين أو نوال الدنيا ، فما أتبع بالعالم التذلل لأهل الدنيا ) ( ٢ ) وقد أخرج - في صحيحه - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، أو لتماروا به السفهاء ، أو لتصرفوا به وجوه الناس إليكم ، فمن فعل ذلك فهو في النار ، ولكن تعلموه لوجه الله والدار الآخرة ) ( ٣ ) ، والعلم إن كان لوجه الله تعالى - كان فيه النفع ، والفائدة ، لصاحبه ، وللناس أجمعين . وهو الذي يرفع الوضيع ، ويقوي الضعيف ، ويجعل من البخيل كريماً ، ويزين القبيح ، والعالم من هذا النوع يهيم بعلمه على سلطان الحاكم ، ويوجهه ويقويه . ( ٤ ) هذا حين كان الحكماء يخضعون للحق ، ويستجيبيون للنصح ، ويخشون مهاوي الخطأ ، والزلل ويسعون إلى العالم تعظيماً له ، والعلم الذي يقصد به وجه الله لا ينقطع بموت صاحبه ، بل يبقى يخلد أثره ، ومنه ما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء : من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به بعده ، أو ولد صالح يدعو له ) ( ٥ ) وينفى - ابن حبان - أن يكون الهدف من العلم موصولاً بالعلم

( ١ ) رواه الترمذي ، علم ( ٢٦٨٥ ) ٥ / ٥ ، والدارمي ، مقدمة ( ٣٤٧ ) ١ / ٨٢ ، والخطيب البغدادي ، الفقيه والمتفقه بروايات مختلفة ١ / ١٨ ، وابن عبد البر جامع بيان العلم ١ / ٢٦٠ .

( ٢ ) روضة العقلاء ، ص ٢٠ .

( ٣ ) زوائد ابن حبان ، العلم ( ٨٩ ) ص ٥١ ، وابن ماجه ، مقدمة ( ٢٥٣ ) ١ / ٩٣ ، الدارمي ، مقدمة ( ٣٧٣ ) ١ / ٨٦ ، وأحمد ، ١٩٠ / ١ ، والخطيب ، الفقيه والمتفقه ٢ / ٨٧ - ٨٩ ، وابن عبد البر ، جامع بيان العلم ، ١ / ٢٢٩ .

( ٤ ) محمد فهمي عبد الوهاب ، رسالة العلماء ، ص ٢٣ .

( ٥ ) رواه مسلم ، وصية ( ١٦٣١ ) ٣ / ١٢٥٥ ، وأبو داود ، وصايا ( ٢٨٨٠ ) ٣ / ١١٧ ، والترمذي ، أحكام ( ١٣٧٦ ) ٣ / ٦٥١ ، والنسائي ، وصايا ( ٨ ) ٦ / ٢١٠ ، وأحمد ، ٢ / ٣٧٢ .

نفسه ، فهو يقول : ( العاقل لا يبيع حظ آخرته بما قصد في العلم لما ينال منه من حطام هذه الدنيا ، لأن العلم ليس القصد فيه نفسه ، دون غيره ، لأن المبتغى من الأشياء كلها ، نفعها لأنفسها ، والعلم ونفس العلم شيئان ، فمن أغضى عن نفعه ، لم ينتفع بنفسه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع والعلم له أول وآخر ) ( ١ ) . وفي هذه العبارة ، زيادة تنبيه ، على تعلم العلم لله وللآخرة ، فلا نقول كما قال فلاسفة اليونان القدماء - العلم لأجل العلم - بل العلم لأجل مرضاة الله - والتقرب إليه به ، قال تعالى : ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ) فاطر / ٢٨ فالمسلم يتعلم العلم الذي يعينه على أداء الأمانة ، وتعمير الأرض ، بما يرى أنه يرضي الله فيه . والمقصود بالعلم ونفسه أي العلم النظري - والتطبيقي ، فمن لم يطبق العلم ويعمل به لا ينتفع بجوهره ، ثم إنه يفسد من يقتدي به - علاوة على إفساد نفسه . ( ٢ )

وأن ما ذهب إليه - ابن حبان - من أن العلم له أول وآخر - فهو يعني درجات التعلم ، ويذكرها نقلا عن غيره ، وهي : الإنصات ، ثم الاستمساك ، ثم الحفظ ، ثم العمل به ، ثم نشره ، ومن هذا الحديث تظهر أهمية العلم جليلة كما تظهر فائدته التربوية حيث ينظر الناس إلى العالم كقدوة لقربه من الله ، وأحكام شريعته ، فيتأسون به ، ولهذا لا ينبغي له - أن يخالف قوله عمل - فيعمل بغير ما يعلم ، وبالتالي ينتقص قدره عند الناس ، ولا يصدق فيما يخبر به ، ولا يجني من علمه إلا تحقير الخلق له ، واستخفافهم بعلمه ، ومن هنا نجد عدم الاستفادة من العلم ، وعدم اللحاق بركب الحضارة والمدنية ، والتخلف عنها ، وضياح طاقات الأمة ، وعلى العكس من ذلك العالم الذي يعمل بعلمه - تعلسو

( ١ ) روضة العقلاء ، ص ٢١

( ٢ ) المرجع السابق ، ص ٢٢

منزلته ، ويعظم أجره ، وتزداد رغبته في البحث ، والتنقيب ، ويتوصل إلى  
الاختراعات - التي تيسر استغلاله للكون ، وتوفر له راحة البدن ، وراحة النفس ،  
والاطمئنان بقربه من الله كلما ارتفع درجة في العلم ، لا زياده بها معرفة ،  
وخشية من متقن الكون في صنعته . . ويرى - ابن حبان لمن أراد المحافظة  
على ما تعلم - مجانية قصد الدنيا بعلمه ، ولزوم العمل به - بقدر طاقتهم ،  
ولو عمل بخسة أحاديث من كل مائتي حديث - لأدى زكاة العلم ، فمن عجز  
عن ذلك - فلا يعجز عن حفظ ما تعلم ، ويستعين على ذلك بالهمة الصادقة  
 واجتناب المعاصي ، ولا يتعلم إلا ما ينفعه في الدارين معا ، وينبغي ألا ييخل  
بالإفادة به ، لأن أول بركة العلم - تعليمه للناس ، فإن الله لم ينفع عبدا بعلم  
ييخل به (١) .

ويضيف الزرنوجي إلى ذلك - ضرورة أن يستعمل المتعلم السواك ، ويأكل  
الزبيب ، ويشرب العسل ، ويمضغ اللبان ، ونحو ذلك مما يعين على الحفظ (٢) .

والباحث المحقق في أقوال المريين المسلمين هذه - يدرك عقله ثاقبة ،  
لأنهم يربطون بين الحفظ وبين العوامل الجسمية ، والنفسية - فالجمال المقطورة  
ربما تفزع من يدخل بينها ، وهذه الحالة النفسية تترك آثارها على الحفظ ،  
ويقينا أن نظريات التعلم الحديثة قد ربطت ربطا قويا بين حالة التعلم الانفعالية  
وبين قدرته على التعلم . وإذا كنا لا نستطيع الدفاع عن وجه صلة بعض المأكولات  
بالحفظ والنسيان - إلا أنه ينبغي التوكيد على الصلة الوثيقة بين الحالة الجسمية  
مثلة في الأكل والشرب بأشياء معينة ، وبين الحالة العقلية مثلة في الحفظ  
والفهم . وهكذا يمكن القول بأن معالجة المريين المسلمين . موضوع الحفظ  
والنسيان قد أكدت على أن عملية التعلم تنطوي على إشراك ذات المتعلم أي عقله  
وجسمه ، وانفعالاته ، وروحه ، وهذه حقيقة لم تهتد إليها إلا أحدث النظريات  
الفريية الحديثة وهي النظرية الانسانية .

(١) روضة العقلاء ، ص ٢٥ - ٢٧ .

(٢) سيد أحمد عثمان ، التعلم عند برهان الدين الزرنوجي ، ص ٨٧ .

ولا يقف ابن حبان عند حد اكتساب العلم بل إنه يحث على ضرورة تعلّمهم الآخرين العلم الذي يتعلّمه ، فكما أن طلب العلم فريضة على المسلمين فإن تعليمهم لهم فريضة وأمانة يسأل عنها العالمون أمام الله ، ومن كمّ علماً - تعلّمه - عن الخلق استحق عقاب الله تعالى - بأن يلجمه لجأماً من نار يوم القيامة ، ولم ينفعه بعلمه الذي بخل به ، وتعلّم الآخرين أمر هام ، فرب حامل علم غير عالم ، ورب حامل علم إلى من هو أعلم منه ، وأفقه ، وأقدر على الاستنباط ، فتحصل بذلك فائدة أكبر في استخدامه وتدبره .

وإذا كان ابن حبان يحث على ضرورة نشر العلم فإنه يحق لنا أن نتساءل عن حقيقة العلم الذي يدعو إلى نشره وهذه القضية لم تغب عن أذهان المربين المسلمين على مر العصور ، فمنهم من قسمها إلى ضرورية ومكتسبة ، ومنهم من قسمها إلى علوم محدودة ومذمومة ، ومنهم من قسمها إلى عقلية ونقلية ، أو شرعية وكونية . إلى غير ذلك من التصنيفات المختلفة سنتناول بالحدّث لتصنيفين منها هما :

تصنيف العلوم إلى شرعية وكونية ، أما العلوم الشرعية فهي :

١ - العلوم الشرعية المقصودة لذاتها : من اعتقاد وعبادات ومعاملات .

أ - وأول ما يجب على المرء تعلم كعَمَتِي الشهادة ، وفهم معناها ، وإن لم يحصل ذلك بالنظر والدليل لأن النبي - صلى الله عليه وسلم اكتفى بمن أجلاف العرب بالتصديق دون تعلم الدليل ، فذلك فرض الوقت ، ثم يجب عليه النظر والاستدلال فيما بعد ( ١ ) وعليه تعلم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والجنة والنار حق والبحث حق . . . إلخ قولاً وعملاً بمقتضى ذلك .

ب - ثم يجب على المسلم العلم بالأحكام الشرعية الفقهية والأصولية ، ومكارم الأخلاق وسيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والصالحين ، ومعرفة

---

( ١ ) ابن قدامة / مختصر منهاج القاصدين ، ص ٨ .

الحلال والحرام ، والسرائض من النواقل ، وأصول المعاملات مع الخلق  
في خصوصياتهم ومجازياتهم (١) .

٢ - العلوم الشرعية المقصودة لغيرها : ومنها الكتابة والخطوط والتجويد، والنحو  
والتاريخ ، وعلوم الحديث والبلاغة ، وغيرها مما يساعد على فهم العلوم  
الشرعية (٢) .

### أما العلوم الكونية فهـي :

١ - العلوم الكونية التي لا يستغنى عنها في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هـو  
ضروري في حاجة بقاء الأبدان على الصحة ، والحساب في قسمة الموارد  
والموايا ، وكتعلم أصول الصداقات ، والزراعة ، وسائر ضروب الأعمال الحاصلة  
بتدريب الجوارح فيها (٣) .

٢ - علوم كونية يمكن الاستغناء عنها في أمور الدنيا وربما يكون ضررها أكبر  
من نفعها كالشعر الفاحش ، والفلسفة ، والقصص الخليفة ، والموسيقى ،  
والرسم ، والنحت ، والسحر ، وضرب الحصى ، وتحضير الأرواح ونحوها .

ويجب تعلم العقائد بحسب الخواطر فإن خطر للمرء شك في المعاني التي  
تدل على كلمتي الشهادة وجب عليه تعلم مايزيل به شكه ، وإن كان في بلد تكثر  
فيه البدع وجب عليه تعلم السنة الصحيحة .

وبالنسبة لتعلم العبادات فمثلاً إذا جاء وقت الصلاة ، وجب على المسلم  
تعلم الطهارة ، وكيفية أداء الصلاة والركعات المطلوبة ، وإن جاء رمضان وجب  
على المسلم تعلم مايلزم الصائم ليصح صومه ، وكذا في سائر العبادات ، أما  
بالنسبة لما يجب تركه يتعلم المسلم منه بحسب مايتجدد من الأحوال إذ لا يجب

(١) المحاسبي / كتاب العلم ، ص ٨٥ .

(٢) أحمد عساف / بغية الطالبين ، ص ٢٢ .

(٣) ابن قدامة / مختصر منهاج القاصدين ، ص ٩ .



على الأعمى تعلم ما يحرم النظر إليه . . . الخ (١) وتعلم العقائد والعبادات كما بينا فرض عين<sup>علي</sup> كل مسلم تعلم ما يصح به عقيدته ، وما يلزمه لأداء الفرائض والابتعاد عن المحرمات (٢).

أما تعلم العلوم التي تؤدي إلى صلاح الدنيا كالطب والزراعة والصناعة والحياكة وغيرها فهي فروض كفاية كالجهاد وتعلم النوافل لأنها من وسائل الحياة ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وهذه العلوم لو لم يوجد في البلدة من يقوم بها أصابهم الضرر والإثم ، وإن قام بها البعض كفتهم (٣) .

ومعرفة بعض العلوم التي تعين على فهم الشريعة ، وتهذيب الطبع كالشعر الحسن ، ودراسة التاريخ فهي مباحة (٤) ومن العلوم المحمودة المقدمات كالنحو وعلوم اللغة ، والقصاص كعلم القراءات ومخارج الحروف ودراسة الأسانيد بالنسبة لدراسة الشريعة .

أما العلوم المنبوذة كالسحر والطلسمات ، والتلبيسات ، والتنجيم ، والفلسفة وما شابهها فكلها علوم محرمة لعدم الانتفاع بها (٥) .

أما التصنيف الآخر فهو الذي ذهب إليه خبراء التربية المجتمعون في المؤتمر العالمي الثاني للتعليم الإسلامي على تقسيم العلوم إلى إلهية ومكتسبة نينها فيما يأتي :

- 
- (١) ابن قدامة / مختصر منهاج القاصدين ، ص ٨ .
  - (٢) ابن عبد البر / جامع بيان العلم ١٢-١٣ .
  - (٣) ابن قدامة / مختصر منهاج القاصدين ، ص ٩ .
  - (٤) أحمد عساف / بغية الطالبين ، ص ٢٢ .
  - (٥) أبو بكر الجزائري / العلم والعلماء ، ص ١٠٨ .

١- العلوم الإلهية : وتشمل القرآن الكريم - تلاوة ، وحفظ ، وتفسيراً مع دراسة علومه ، ومحكمه ومتشابهه وما يتعلق به ، والسنة النبوية - من الحديث ، وعلومه ، وسيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابته ، وتاريخ صدر الإسلام ، ودراسة التوحيد ، والفقه وأصوله ، والدراسات العربية ، وعلم النحو والبلاغة ، والأديان المقارنة ، والثقافة الإسلامية ، وللأسف فقد ألحقوا ما يسمونه - الفلسفة الإسلامية بالإلهيات (١) وهذا لا ينبغي . إذ لا موضع للفلسفة بين العلوم المحمودة - فقد هاجم الفلاسفة علماء السلف ، وأغلب علماء المسلمين - في شتى العصور ، وأقرب مثال على ذلك ابن خلدون - الذي اعتد المؤرخون على رأيه في تصنيفهم للعلوم ، فقد هاجم الفلسفة ، وحذر من مضارها ، ومعاطبها وأفرد فصلاً في إبطال الفلسفة وبيان فساد المشتغل بها . (٢)

٢- العلوم المكتسبة : ويدخل فيها الآداب الإسلامية ، والعمارة ، واللغات والعقليات ، من دراسات نظرية في المبادئ الاجتماعية ، والاقتصادية والجغرافية ، والنفسية ، مستمدة من الكتاب والسنة ، وكذلك الجانب النظري في العلوم الطبيعية .

ومن المعارف المكتسبة : العلوم التطبيقية - من طب ، وهندسة ، وزراعة ، وعلوم عملية - كالتربية ، والتجارة ، ونحوها . (٣) وهذا التصنيف فيه إزاء واجبة متمثلة في العلوم الإلهية والمكتسبة حيث الانفصال بين الثقافة الإلهية المرتبطة بعلوم الشرع ، والثقافة التي يسمونها مكتسبة بحيث تكون بعيدة عن الشرع ؛ أقرب إلى العلمانية الجزئية وهذا بالإضافة إلى التنافر بين أجزاء هذا التقسيم .

(١) توصيات المؤتمر المنعقد في إسلام آباد ، ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) المقدمة ص ٤٨٢ ، ٤٨٦ .

(٣) توصيات المؤتمر الثاني ص ١١٢ .

وبعد أن عرضنا بإيجاز لطبيعة العلم وتصنيفه لدى بعض العلماء المسلمين نعود لنحدد موقف ابن حبان من هذه القضية - وابن حبان يوضح طبيعة العلم الذي يجب نشره عندما يذكر أن العاقل لا يتعلم إلا ما يفيد ، في الدارين . فأشرف العلوم - كما قال ابن حبان : هو العلم بأحوال الآخرة ، وما يصلحها ، والمعاملة مع الذي ينفع في الدارين لثانيه من الخير ، وما عداه - فلا قيمة لـه وهذا يؤكده ماورد في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : ( العلم ثلاثة ، فما سوى ذلك فهو فضل : آية محكمة ، وسنة قائمة ، وفريضة عادلة ) (١) . وابن حبان السدي يشير إلى هذا المبدأ الهام لا يعطينا تفاصيل أكثر مثلما فعل غيره . بيد أنه محال شك فيه أن أي علم نصوص محتواه بطريقة يكون بها مرتبطا بالشرع ، وتعمد إيماننا بالله يكون علما إلهيا ، لأن العلوم الإلهية لا تقتصر على العبادات المحضة والفقه ونحوه ، بل تشمل كل المعارف التي - يقصد بها وجه الله ، وتقرننا إليه .

أما صياغة محتويات أي فرع من العلوم المختلفة ، ومقرراتها في معزل عن الشريعة الربانية ، فإنها تمثل خطرا يفتك بناهجنا ، وفرسا لبذور العلمانية الهدامة - التي تناقض العلم ، وتعارض الدين أينما كان . وهذه العلمانية التي كثيرا ما يخلط الجاهل بينها وبين العلم بقصد أو بآخر لم يعهد لها المسلمون في أي عصر من العصور ، بل عرفوا العلم موصولا بالله وتشرفوا به .

والعلمانية بهذا اللفظ ليست إلا ترجمة خاطئة للكلمة الإنجليزية -

Secularism - وهي لفظة لا علاقة لها بالعلم الذي يسمونه -

Science ، أو العلمية التي تسمى Scientism والترجمة الصحيحة

لهذا اللفظ : اللادينية أو الدنيوية - بمعنى - كل ما أصلة له بالدين (٢)

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، فَرَاغَ (٢٨٨٥) ٣/١١٩ ، وَابْنُ مَاجَةَ ، مَقْدَمُهُ (٥٤) ٢١٨/٢١٨  
وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ ، جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ ٢/٢٩ ، وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ ، الْفَقِيهَ  
وَالْمُتَفَقِّهَ ، ٢/١٧٢ .

(٢) سفر عبد الرحمن الحوالي ، العلمانية ص ٢١ - ٢٢

وهي حركة اجتماعية ، تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة ، إلى الاهتمام بالدنيا وحدها . . وظلت هذه الحركة تتطور باستمرار خلال التاريخ - باعتبارها حركة مضادة للدين ، ومضادة للمسيحية (١) وهي ترفض أي شكل من أشكال الدين والعبادة . . وتؤمن بأن الدين لا دخل له في شئون الدولة ، ولا ينبغي له أن يكون أساساً للأخلاق والتربية (٢) ويرى آري في كتابه الدين في الشرق الأوسط أن المادية العلمية والإنسانية ، والمذهب الطبيعي ، والوضعية كلها أشكال للادينية وهي صفة مميزة لأوروبا وأمريكا على أن مظاهرها موجودة في الشرق - إلا أنها لم تتخذ أي صيغة سوى فصل الدين عن الدولة . (٣)

ومن هنا نجد البون الشاسع بين العلم والادينية (العلمانية) وبالتالي فلا مجال للمقارنة بينها ولا للاستفادة من العلمانية في أي مجال من مجالات الحياة .

ومن هنا كان لزاماً على العاقل طلب العلم الذي يصلح له دنياه وآخرته ويفيد ويستفيد به ولا يرجو به إلا الله سبحانه .

---

The New Encyclopedia Britanica 1975 Vol. IX P.19 (١)

Oxford Advanced Learners Dictionary of Current English 1974 P . 785 (٢)

Good: Dictionary of Education P.P. 522-523

سفر الحوالي / العلمانية ، ص ٢٣ (٣)

( ج ) - المظاهر الروحية للعقل عند ابن حبان

يقوم العقل بدور هام في تحديد آداب العالم الروحية - وربطه بالله - سبحانه - في كل حركة ، وكل لحظة من حياته ، فعمدت التربية الإسلامية إلى إحياء القلوب ، حتى لاتموت وإلى عمارتها ، حتى لاتتخرب وإلى ترقيتها حتى لاتفسد ، فإن قسوة القلب وجمود العين عقوبة يستهان بالله من شرها ، وطاقة الإنسان الروحية هي كيانه الذي لايعرف الحدود والقيود وهي وحدها التي تملك الاتصال باللا يدركه الحس والعقل ، وتملك الاتصال بالله ، وبالوجود كله .

والإسلام يعقد صلة دائمة بين الروح وبين الله - في كل لحظة ، وكل عمل ، وكل فكرة ، وكل شعور ، والعقل بدوره مرشد ومنظم يقود الإنسان إلى تقوية هذه العلاقة ، وإلى استخدام الحد المستطاع فيها ، والله سبحانه يطلب منا ربط أعمالنا بقدر الإمكان به - فيقول سبحانه وتعالى : « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ » التغابن / ١٦ . ويحمل على تزكية الروح ، لأنه الطريق لموازنة ما يهبط بالنفس من أثقال ، فينبه حساسية القلب بيد الله المبدعة في الكون ، وبراقته الدائمة عليه ، ويثير فيه وجدان التقوى والخشية الدائمة لله ويثير فيه الحب لله ، والتطلع إلى رضاه ، وكذلك الرضا بالقدر . ( ١ )

وقد تناول ابن حبان في روضة العقلاء مجموعة من الصفات التي تعمس على تربية روح العالم ، ومن هذه الصفات تقوى الله ، والتوكل عليه ، والصبر لله في كل ما نقوم به وسوف نتحدث عن هذه الآداب الروحية كي تستبين مكانتها في العملية التربوية .

## ١- تقوى الله :

عرف ابن حبان التقوى بأنها : ( العزم على إتيان المأمورات والانزجار عن جميع المزجورات ) (١) وفي كتاب الله العزيز أمر للمؤمنين بالتزام التقوى ، قال تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ» آل عمران / ١٠٢ وفي آخر خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - سار على عادته في خطبه فبدأ بالحث على تقوى الله ، وأخرج ابن حبان في صحيحه ، عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم - يخطب في حجة الوداع ، فقال : ( اتقوا الله وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وآدوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم ، تدخلوا جنة ربكم ) (٢) .

وتحدث ابن حبان عن المؤمن - فوصفه بأنه دائم الخشية لله ، يراقبه في نفسه ، وفي كل حركة أو سكون يهتدي بها ، فيحكم شره فيها ، ويرجى رحمته ويخشى عذابه ، فيتقي الله ويصلح سريرته ، ويحرس قلبه عند إقباله وإدباره ، لأن ذلك قطب الطاعات في الدنيا ، فلا يكدر أوقاته ، وينغص لذاته - بما يفسد عليه ضميره ويكفي العاقل لذلك اطلاع الله على ما في داخله ، فالواجب عليه أن يأخذ مساعده لمابعده من التقوى ، والعمل الصالح ، وفي الفساد عن خلل الطاعات عند إجابة القلب ، وإيائه ، فإذا وافق القلب الحق نفّذ العمل بالجوارح ، وإن لم يوافق نكبه ، لأنه بصفاء القلب تصفو الأعضاء . (٣)

والعاقل يلتزم الورع ، ويتقي الله في منطق لسانه ، ويكون قلبه ، فالقلب الذي يرهأ العقل لا مكان فيه إلا لما يرضي الله ، ولا يضره إغصاب الناس لذلك ولا تصلح القلوب إلا كما يرى ابن حبان بأن : ( تكون الهمم في الله

(١) روضة العقلاء ، ص ١٤٩

(٢) رواه الترمذي ، صلاة (٦١٦) ٢/ ٥١٦ - وقال حسن صحيح ، وأحمد /

٢٥١/٥ ، وإسناده صحيح ، وزوائد ابن حبان ، زكاة (٧٩٥) وصححه ص ٢٠٣ ، والحاكم ، ١/ ٩٠ ، ٣٨٩ ، وصححه ووافقه الذهبي

(٣) روضة العقلاء ، ص ١٣ - ١٤ ، ١٧٠

هنا واحدا ، فإذا كان كذلك كفي اللهم في الهموم ، إلا الهم الذي يشـول  
متعبه إلى رضا الله - جلّ وهـز - بلزوم تقوى الله في الخلوة والملا ، إذ هو أفضل  
زاد العقلاء في دارهم (١) وهذا يعني أنّ تذكر الله عند كل عمل نقوم به -  
في السر والسر ، وفي العلن والعلن ، ولا ننسى أنّه يعلم خائنه الأمين ومتخفي  
الصدور ، تذكره كأننا نراه - فإن لم تكن نراه فهو يرانا . وفي حديث أسامة  
ابن شريك رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ماكره الله  
منك شيئا - فلا تفعله إذا خلوت ) (٢) وهذا الحديث يفرس بذور التقوى  
في النفوس ، ويحث على مراقبة الله في السر والعلن .

والعاقل هو المتقي لله سبحانه - مهما نزل قدره في الدنيا ، وإذا عرف  
الرجل من نفسه علامة الخوف باجتناب ما نهى الله عنه ، وهرف علامة الرجاء -  
بالعمل بما أمر سبحانه كان ذلك مؤشرا على تقوى الله ، فمن خاف الله في الدنيا  
واقشعر قلبه وجلده ، من خشيته تحات عنه خطايا ، كما يتحات من الشجرة  
ورقها ، وإن المتقين هم أولياء الله ، ولا يفضل إنسان إنسانا آخر إلا بالتقوى  
وعلامة تقوى الله تتبين من فعل المرء حين يمتنع عن الكذب ، والغيبة ، وكلام الفضول ،  
ويشتغل بالذكر ، ولا يمد يده إلى حرام ، ويخرج من قلبه العداوات والأحقاد ،  
وليته ، ولا يحشي في معصية الله هتزيا بزي الخوف - والطاعة لله وحده .

فمن عمل الحسنة يحتاج معها إلى الخوف من دخول الرياء ، وبالتالسي  
زوالها في الدنيا ، وهم قبولها وخاف الخذلان في طاعته لعدم معرفتسه .  
هل يوفق لها أم تزل قدماه قبل نهايته (٣) لذا فاتّه ينبغي أن يلتزم السر  
التقوى ، ولا يخفل عن قدرة الله أبدا . قال تعالى : « إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ »  
المائدة / ٢٧ وهذا الله من اتقاء الفوز برضوانه وجنته ، فقال : « إِنِّ

(١) روضة العقلاء ، ص ١٩ - ٢٠

(٢) روضة العقلاء ، ص ١٣ ، وزوائد ابن حبان ( ٢٤٩٨ ) ص ٦١٨

ولم أقف على تخرج آخر للحديث .

(٣) أبو الليث السمرقندي ، تنبيه الخافلين ، ص ٣٠١ - ٣٠٦

لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا» النبأ / ٣١ وهدهم أيضا بالأمن من النار - يوم يرد هــ  
جميع الخلق قال تعالى : «لَوْ أَنَّ مِنْكُمْ آلَاءٌ وَارِدُهَا ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ، ثُمَّ  
نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا» مريم / ٧١ - ٧٣

إن تأكيد ابن حبان على التقوى يعطي عملية التعلم شحنات دافعة ، ذلك  
أن التعلم لا يتم إلا إذا توفرت شروط عديدة من أهمها : وجود الدافع الداخلي  
ومن تعريف ابن حبان للتقوى نخلص إلى أن وجود هذه الصفة لدى المرء توفر مناخاً  
نفسياً ملائماً لعملية التعلم . فالتعلم لا يحدث إلا إذا أدرك المرء أهمية  
الموقف الذي يواجهه وبذل جهداً ملائماً . وبقينا أن العزم الذي هو من  
دعائم التقوى يولد محركات التعلم الداخلية ويوجهها نحو العلم النافع .

## ٢- التوكل على الله :

من الآداب الخلقية الروحية - التي يتسم بها المسلم العاقل الإيمانيان  
بالله ، والتوكل عليه ، وقد عرفه ابن حبان بقوله : ( التوكل هو قطع القلب عن  
العلائق ، برفض الخلائق ، وإضافته بالافتقار إلى محول الأحوال ، وقد يكون  
المرء موسراً في ذات الدنيا - وهو متوكل صادق في توكله ، إذا كان العدم  
والوجود عنده سَحِينَيْنِ لا فرق عنده بينهما ، يشكر عند الوجود ويرضى عند  
العدم ، وقد يكون المرء لا يملك شيئاً من الدنيا بحيلة من الحيل ، وهو غير  
متوكل إذا كان الوجود أحب إليه من العدم ، فلا هو في العدم يرضى حالته ،  
ولا عند الوجود يشكر مرتبته ) (١) وقد أُخرج من حديث عبد الله بن عمرو - رضي  
الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( قد رآه الله المقادير  
قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسمائة سنة ) (٢) والتوكل يعني  
التوحيّد ، فهو عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل ، وحده ، ولا يتوكل الإنسان

(١) روضة العقلاء - ص ١٣٤

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣١ ، مسلم ، قدر ( ٢٦٥٣ ) ٤ / ٢٠٤٤ ، رواه

الترمذي ، قدر ( ٢١٥٦ ) ٤ / ٤٥٨ ، وأحمد ، ١٦٩ / ٢ ، والسخاوي ،

المقاصد ، ص ٣١٣ وابن الديبع ، تهذيب الطيب من الخبيث ص ١١٢



على غيره ، إلا إذا اعتقد فيه الشفقة ، والقوة ، والهداية فيفوض الأمر إليه ، ويعتمد فيه عليه .

فإذا علم المرء أنه لا فاعل سوى الله ، وأنه تام العلم ، والقدرة والرحمة ، وليس وراءه قدرة <sup>أو قوة</sup> ، ولا وراءه علم ، ولا وراءه رحمته رحمة ، كان الخوف منه وحده ، والرجاء له ، والثقة به وحده ، وتوكل القلب عليه وحده ، لأنه وحده الفاعل ، والكل له مسخرون ، فلا يعتمد على المظرفي خراج الزرع ، ولا على الغيم في نزول المطر ، ولا على الريح في سير السفينة ، فالحق أن وراء هذه المسببات خالقاً لها ، ومتحكماً فيها ، يوجهها كيف يشاء . ( ١ )

وينبغي للعاقل لزوم التوكل على الله لا ارتباطه بالإيمان ، ونفيه الفقر ، ولا رتياح النفس معه ، لأن من توكل على الله كفاء ، يرى ابن حبان أن التوكل متيقن بأن الأرزاق محدودة ، ومكتوبة لأصحابها قبل خروجهم إلى الحياة - وتضمنها الله على أن يوفرها لعبادة في وقت حاجتهم إليها ، وأن السعي وراء أمر تضمنه وتكفل به المولى عز وجل ليس من أخلاق أهل الحزم ، إلا أن يكون مصحوباً باقتناع الضمير ، بأنه وإن لم يسع في قصده أتااه رزقه من حيث لم يحتسب ، وعلى العاقل أن يدرك أن سبب رزق القاعد ونيله حاجته - هو السبب ذاته الذي لا يظفر معه المجد بحاجته ، فلا ينبغي له الحزن ، أو الفرح للرزق لأنه من لم يكن له رزق في شيء فلا يدركه بالجد ، كما أن غير المجتهد في طلب الرزق يأتيه ما كتب الله له وإن لم يسع في طلبه ( ٢ ) والذي ينبغي النظر في رأى ابن حبان لأول وهلة يفهم منه منع الناس من السعي وراء الرزق ، وهو المقصود بالتوكل ، بيد أننا نلاحظ أن ابن حبان يميز بين التوكل والتواكل

( ١ ) ابن قدامة ، مختصر منهاج القاصدين ، ص ٥٢٤ - ٣٥٥

( ٢ ) روضة العقلاء ، ص ١٣٢ ، ١٣٤

- الذي يعني - ترك الكسب بالبدن والتدبير بالقلب وهو فعل الباطلين الذين آثروا الراحة وتعللوا بالتوكل وهو نقيضه ولم يصرح ابن حبان بذلك بل يفهم من إيراده للأثر الذي رواه عن رباح القيسي قال : ( إن لله ملائكة موكلين بأرزاق بني آدم . . وأي عبد طلب رزقه ، أعطوه رزقه حيث أراد ، فإن تحرى مكاسبه بالعدل . . ) (١)

والواضح من كلام ابن حبان أن الرزق لا بد له من طلب ، وسعي ، وكسب ، وحينئذ بدأ أخذ الإنسان ما قسم الله له ، وغلاصة القول : أن التوكل مرتبط بالإيمان فإذا نقص الأخير انحرف التوكل عن مساره الصحيح ، فتحل العجالة في القلب ، والاضطراب عند النعم ، والشر والاعتصام عند فوت الرزق ، لهذا ينبغي للعاقل أن يثق في قدرة الله وعدله ، وعدم الفرج بالنعم ، وعدم الجزع عند الحرمان ، لأن الله يبلو الإنسان بالخير والشرفته والكين : من اجتاز هذا الامتحان بنجاح ، ولا ينبغي للمتعلم أن يلزم الحزن عندما يمسني بالفشل ، أو الرسوب ولا اغترار بالنجاح ، والخلود عنده إلى الكسل والراحسة ويعزو ذلك لله ، بل عليه العمل ، والاجتهاد ، وكثرة المذاكرة ، والابتعاد عن المعاصي ، و يتذكر أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

وقد يتبادر إلى الذهن سؤال ما عن مكانة التوكل في التربية الحديثة - أي أين مكانه منها ١٢ - والأمر واضح كل الوضوح إذ أن السمة البارزة لهذا العصر - عصر التقدم العلمي - انتشار ظاهرة القلق ، وتفشي الأمراض النفسية والعصبية بصورة أكبر ماضى . ولورجعنا إلى الحق لوجدنا أنه أحق أن يتبع والتوكل على الله حق لله أمرنا به ليزيل الشك

والريبة ، والعسد ، والحريص ، والقلق من نفوسنا ، فهو يمنح المرء اطمئنانا  
نفسيا قال تعالى : « وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ » الطلاق / ٣ أي أن الله  
يكفي المتوكل عليه الأمر الداعي لقلقه ، والتوكل : تعبير صريح عن ارتباط المرء  
بالله في كل أموره ، يذكره في كل شيء ويعتمد عليه في كل أمر ، ومن هنا كان  
التوكل علاجا نفسيا فعالا ، قال تعالى : « لَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ » الرعد ٢٨  
فالاطمئنان النفسي ثمرة من ثمرات التوكل على الله ، ويتوفر الاطمئنان النفسي تستطيع  
التربية توجيه المتعلمين نحو الأهداف المنشودة . ولقد أحسن - ابن حبان -  
صنعا عندما ربط بين التوكل والعقل ، فالتربية العقلية تبقى مهددة أو مشلولة  
مالم تتوفر لها الظروف النفسية الملائمة ، ومن هنا كان لزاما علينا أن نعلم أبناءنا  
كيفية التوكل على الله ، وجعله - صفة دائمة تميز سلوكهم .

### ٣- الصبر على الشدائد :

الصبر من النع والحسن بمعنى : حبس النفس عن الجزع ، واللسان  
عن التشكي ، والجوارح عن لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ونحوها . (١)

والإنسان مزود بقوة الإقدام ، والإحجام ، والصبر هو : صرف قوة  
الإقدام إلى ما ينفعه ، وقوة الإحجام إساكا عما يضره ، وهو خصيصة إنسانية  
تفتقر إليها الحيوانات لنقصها ، والملائكة لا صبر لهم لكمالهم ، وهو ضروري  
إذ لا نجاح ولا فلاح في الآخرة إلا به .

مرتبط الصبر بالتوكل على الله ، إذ المتوكل يصبر على كل ما يلاقي من مصائب

(١) ابن قيم الجوزية ، عدة الصابرين ، ص ١٤

في سبيل إرضاء وكيله ، هل يرضى بما حدث له ، محتسب الأجر على مولاه سبحانه وتعالى . وهو يعلم أنّ الله قدّر المقادير قبل خلق الإنسان ، وفي الحديث الذي أخرجه ابن حبان عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( أول ما خلق الله القلم ، ثم أمره فكتب ما يكون إلى يوم القيامة ) (١) ، ومن هنا وجب على العاقل التيقن بأن الأشياء كلها قد فُسرغ منها ، فلا يستطيع أحد أن يكون ما لا يكون ، وساهو كائن ومكتوب عند الله خلُق الإنسان من نطفة أشاج ، لهبته ، قال تعالى : « لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ » (البك / ٤) أي في شدة ومشقة ، فالإنسان منذ ولادته يعاني في صحويات الحياة والابتلاء بالسثولية والتكليف بحمل الأمانة وهو في صراع مستمر مع الهوى والشيطان (٢)

والصبر عند ابن حبان ثلاثة أضرب :

- أ - الصبر عن المعاصي ، كصبر سيدنا يوسف عليه السلام على كيد وتعذيب امرأة العزيز .
- ب - الصبر على الطاعات ، كصبر الإنسان على الجوع والعطش في نهـار رمضان .
- ج - الصبر عند الشدائد والمصيبات (٣) كصبر الرجل عن اللجاج عند موت إنسان عزيز عليه .

ويرى ابن حبان أن أفضلها الصبر عن المعاصي لأن العبد لا يبلغ منزلة الأخيار

- 
- (١) روضة العقلاء<sup>١٣٥</sup> ورواه أبو داود ، سنة (٤٧٠٠) ٢٢٦/٤ ، والترمذي ، تفسير سورة ٦٧ (٢٣١٩) ٤٢٤/٥ وأحمد ٢١٧/٥
  - (٢) يوسف القرضاوي ، الصبر في القرآن الكريم ، ص ١٠ - ١٤
  - (٣) روضة العقلاء ، ص ١٤٠

إلا بالصبر على الشدة والأذى (١). لأن الصبر عن المعاصي فيه شدة وأذى، وفي نفس الوقت فالصبر عن المعاصي طاعة وعبادة لله ومن هنا كان الصبر عن فعلها أفضل أنواع الصبر لما فيه من مجاهدة للنفس. وقد يكون من المفيد ذكر رأي ابن قيم الجوزية في أنواع الصبر. وهو يرى أن الصبر نوعان: بدني ونفسي. والصبر البدني - قد يكون اختياريا أو اضطراريا. ومن الأمثلة على الصبر البدني الاختياري ممارسة الأعمال البدنية الشاقة بدون إكراه. ومن الأمثلة على الصبر البدني الاضطراري: الصبر على ألم الضرب والمرض والحرق بالبرد وغيرها. كذلك فإن الصبر النفسي نوعان: فهناك صبر نفسي إختياري كصبر النفس على حسن فعل لا تحسن أدائه شرها، ولا عقلا، نحو: امتناع المرء من إنقاذ شخص عزيز عليه من البحر - في حالة الفرق، لعدم معرفته السباحة. والصبر النفسي الاضطراري: كصبر النفس عن أمر تشتهيه قهرا، كمن يرغب في إكمال دراسته ومنعه منها شخص آخر، أو نظام ما. (٢) وأكثر الناس تمرضا للأذى: أهل الإيمان - وخصوصا الأنبياء، وأصحابهم، وكذلك يتعرضون للامتحان في أموالهم، وأنفسهم، وما يحبون، لأنهم اشتروا الجنة بالصبر على المكابرة - التي حفت بها، وبالاتعاد عن الشهوات التي حفت بها النار، ولقد نال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحبه - رضوان الله عليهم - من أذى الكفار من التعذيب، والتجريح، والاستهزاء، فصبروا حتى فرج الله عنهم كربهم، وأظهر أمرهم، لأن الصبر أخوال الفرج. (٣)

وللصبر درجات ذكرها ابن حبان وهي:

- ١- الاهتمام بالأمر وإرادته، بمعرفة أسرارها - وهي أول درجة من درجات الصبر.

---

(١) روضة العقلاء، ص ١٤٠  
 (٢) ابن قيم الجوزية، هدة الصائرين، ص ٢٤  
 (٣) السمرقندي، تنبيه الغافلين، ص ٢٠٠ - ٢٠٢

- ٢- التيقظ : بمعنى زيادة الاهتمام ، والرغبة في الأمر ، مما يساعد على الصبر .
- ٣- الثبوت : فإذا اهتم المرء بالأمر وتيقظ له - دعاه ذلك إلى التأكد منه ومن نتائجه .
- ٤- التصبر : بعد الثبوت من الأمر يصبر المرء على ما حدث له ، فإن لم يستطع تكلف الصبر لأنه أول مراتب الرضا .
- ٥- الصبر : وهو احتمال المرء للأمر الذي لاقاه ، وكظمه في نفسه ، وهو قصة الأمر ولعل ذكر ابن حبان الصبر ضمن درجات الصبر يقصد به نهايتها على أن ما ذكر من درجات لتوصلنا إلى الصبر أو أن المرء ينتقل إن زاد عليها إلى سلوك آخر جديد ومستقل ، وربما زادها مصحح أحمد الطبقات \* لعدم وجود هذه الدرجة في النسخة التي اعتدت عليها من نسخ روضة العقلاء المطبوعة والله أعلم .
- ٦- الرضا : وهو النهاية في الحالات ، ورد عواقب الأمور إلى الله والاطمئنان إلى أن الخير فيما اختاره الله - سبحانه - وارتضاه لنا ( ١ )

والصبر يعيننا على قضا حوائجنا ، وتحمل المعن التي تواجهنا ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ البقرة / ١٥٣ وشربنا سبحانه إن صبرنا بالفوز بمرضاته - مؤكدا ذلك بقوله : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ ، وَالْجُوعِ ، وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَالْأَنْفُسِ ، وَالشَّرَاتِ ، وَشَرِّ الْمَاطِرِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴾ البقرة ١٥٥-١٥٦ فالبلاء عام يصيب الإنسان ، في كل شيء ، في قلبه بالخوف ويطنه بالجوع ، وماله بالنقص ، ونفسه بالموت ، والنفس بالشر

\* ينظر الطبعة التي صححها محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون ص ( ١٦ )  
( ١ ) روضة العقلاء ، ص ١٣٩

بالآفات ، وخص الامتحان بقليل . البلاء لأن الكثير منه لا يطاق ، وإنما كان هذا تخفيفاً عنهم ، وأمرنا سبحانه بأن نجعل صبرنا بالله ولله . قال تعالى : " وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ " النحل / ١٢٧ وفي إضافته إلى الله تعالى تشريف لمكانته ، وإن كان كل شيء في الوجود لا يكون إلا بالله ، وكل عمل صالح لا يكون إلا لله ، فالصبر من باب أولى أن يكون له .

ومن هنا نجد أن الله سبحانه سمي نفسه الصبور ، بيانا لأهمية الصبر بين المكارم الخلقية ، ومدى فائدته - حيث أنه خير ما أعطي الإنسان ، ويدل على ذلك ما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( . . . ) . وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر (١) فإذا كان خير ما أعطي المرء الصبر فيلزم العاقل سلوكه عند الشدة ، فمن صبر لا ينسدم ولا يد أن يجعل الله بعد عسر يسرا ، يوم يفرح الصابرون بصبرهم فيكفي الفلاح عند الله عن الدنيا وما حوت .

لقد سبق أن أوضحنا أن التوكل على الله : يهيئ للمتعلمين الأجواء التربوية المناسبة . أما الصبر فإنه يمكن المتعلمين من الاستمرار في عملية التعلم . فمن الملاحظ أن البعض يقف عند أول عقبة تواجهه وهذا ليس بالاتجاه السليم ومن هنا فإن التربية مطالبة بتربية المتعلمين على الصبر لأن نجاحها في هذا المضمار يمكن المتعلمين من مواصلة تعليمهم ، والاستمرار في التعلم بعد الانتقال من شيخ لآخر ، أو من موضوع لآخر - قبل إتقان هذا الموضوع أو الاستفادة التامة من الشيخ .

ومن هنا نجد أن الآداب الروحية . من تقوى لله ، وتوكل عليه ، وصبر على الشدائد ، كلها تجتمع في تكوين شخصية المتعلم ، وتربطه بربه ، فتجعله يحصل على العلم الغزير ، ويجهتد في طلب رضا الله . ومن ثم تحسده

(١) رواه البخاري / رفاق ١٨٣ / ٧ ، مسلم / زكاة (١٠٥٣) ٢ / ٧٢٩ - وأبو داود / زكاة (١٦٤٢) ٢ / ١٢١ والترمذي / بر (٢٠٢٤) ٤ / ٣٧٣ والنسائي / زكاة (٨٤) ٥ / ٧١ - مالك / صدقة (٧) ٢ / ٩٩٧ والداري / زكاة (١٦٥٣) ١ / ٣٢٦ - وأحمد ١٢ / ٣ ، ٤٧ ، ١٩٣٠

الهدف الذي يسعى إليه بوضوح ، وتقريبه من تحقيقه ، وتجعله في أمان ،  
وبعد من القلق النفسي ، والاضطراب ، وتحفظه من مزالق الشرور ، ونجدها  
تعطيه شحنات دافعة للعمل - دون كلل ، ويحمل المشاق في سبيل تحصيل  
العلم الذي ينفع في الدارين ، وخير شاهد على ذلك ما كنا نراه من نفس طموح  
لعلائنا الأجلاء في المذاكرة ، وتحمل المشاق ، والصعوبات في الترحال  
لتلقي العلوم ، ومن ثم فإن الله أعانهم ، وذلل لهم مطالبهم ، وبالتالي عاشوا  
رواداً للعلم والحضارة والرفي ، شهد لهم أهل الأرض بذلك .



( د ) المظاهر النفسية والأخلاقية للعقل عند ابن حبان

للعقل دور بارز في تحديد آداب العالم النفسية - التي يتعامل بها مع نفسه ، ومع الآخرين - كما هو الحال في تحديده لآدابه الروحية - في تعامله مع خالقه . ويرى ابن حبان أنه لا ينفع العقل بدون ورع ، ولا العلم بدون عمل ، والبروات كلها تبع العقل ، ويقول كل قوم على قدر زمانهم ، فالعاقل يختار من العمر أحسنه وإن قلّ ، فإنه خير من الحياة النكدية وإن طالت ، والعقل الواعي الذي لا يوجه صاحبه إلى التحلي بفضائل السلوك كالأرض الطيبة الخراب ، والعقل يوجه المرء إلى الخلق الرفيع ، ويصونه عن الساراة ، والكلام بسدود حاجة ، وعن الإجابة بدون تثبت ، فالعاقل لا يستحق الناس ، ولا تخفى عليه عيوب نفسه ، ويحاول إصلاحها ، ويكون رفيقا في معاملته ، حبيبا من الله ومن العباد مجتنباً أفعال الحمقى من كلام بلا مناسبة ولا فائدة ، وظلّة في معاملاته وقحة في سلوكه ، وكبر على الخلق ، وجشع ، ولهو بالحرام ، فالأحمق إذا أعرضت عنه لغتم وإن أقبلت عليه اغتر ، وإن حلفت عنه جهل عليك ، وإن أحسنت إليه أساء إليك ، ويتوهم أنه أعقل الناس ، ومن سواء حمقى ، وهو مبغض غير مرضي العمل ( ١ ) والعقل المسلم يصون صاحبه عن النقائص المزينة به ، ومعينه على التزام السلوك الحسن ، والاتصاف بالصفات النبيلة مع نفسه ومع غيره - وفيما يلي سيتناول الباحث الآداب النفسية التي يتصف بها العاقل .

( ١ - الصدق :

يحتمل الصدق مكانة مرموقة بين الفضائل الخلقية - التي دعت إليها

-----  
( ١ ) روضة العقلاء ص ٢٥٠ ، ١٠٨ ، ١١٢

الشرعة الإسلامية ، ولعب العقل دورا بالغيا في ضبط أقوال ، وأفعـال الإنسان المسلم بضابط يمنع من الزيف والكذب ، وهو إخبار المرء بما يعتقده أنه الحق ، وهو بمعنى توصيل المرء ما في نفسه من الحقائق إلى الآخرين ، وهو يقرب القول ، أو العمل من قلوب الناس ، ويقرب صاحبه من الله ، وقد أخرج ابن حبان من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :- ( عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدقاً ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ) (١)

وتحدث ابن حبان عن أهمية الصدق ، فيذكر أنه يرفع مكانة الملتزم به في الدارين ، كما أن الكذب يهوي بها ، والصادق يقبل منه كل قول ، وصدقه كل من سمعه ، والكاذب لو صدق في بعض الأحيان لم يصدق ، وهذا يكفي لملازمة العاقل للصدق ، وترك الكذب (٢) ، والصدق نعمة من الله على الإنسان ، وأمثلة ذلك كثيرة ، ففيما نقل عن تميم الرازي قال : سمعت أبا زرعة يقول : قلت لأحمد بن حنبل : كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الوثاق ؟ فقال : لو وضع الصدق على جرح لبرأ (٣) وقال إياس بن معاوية المزني : (إن أشرف خصال الرجل صدق اللسان ، ومن عدم فضيلة الصدق فقد فجع بأكرم أخلاقه ) (٤) فالصدق أحد أركان بقاء العالم حتى لو توهم

- 
- (١) روضة العقلاء ص ٣٨ ، وزوائد ابن حبان ، أدب (١٩٦٠) ص ٤٨٤ ،  
والبخاري ، أدب ٩٥/٧ ، مسلم ، بر (٢٦٠٧) ٤/٢٠١٢ - أبوداود ،  
أدب (٤٩٨٩) ٤/٢٩٧ - الترمذي ، بر (١٩٧١) ٤/٣٤٧ - مالك ،  
كلام (١٦) ٢/٩٨٩ - ابن ماجه ، مقدمة (٤٦) ١/١٨ - الدارمي ،  
رقاق (٢٧١٨) ٢/٢١٠ - أحمد ، ٣/١ ، ٨٠٧٦٥٠ ، ومواطن هدة .  
(٢) روضة العقلاء ص ٤١ .  
(٣) ابن الجوزي ، مناقب الإمام أحمد ص ٣٥٠ .  
(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ٩/٣٣٦ .

ارتفاعه لما صح نظامه ويقاوم . والصدق يحسن لعينه ، ولما يتعلق به من المنافع الخاصة ، والعامه ، وحديث المعارض يكون صدقا وليس كذبا ، لكن هذا لا يعني أن نجعله صفة الكلام الذي يخرج منا . وربما يضر الصدق في بعض الأحيان وعاب فاعله . كمن أسره الأعداء وسألوه عن أسرار المسلمين ، وفي حال السعاية بين المتخاصمين وفي حال إرضاء الرجل زوجته ، وللصدق من المحامد العظيمة في كل أمر يدخله ما يجعله فضيلة . يجدر بكل عاقل الاتصاف بها .

والصدق ضروري في التربية والتعليم في نواحي مختلفة : في المناهج ، حيث ينبغي أن تكون صادقة في تحقيقها للأهداف ، ومراعاتها لأسر بناء المناهج ، وتنظيمها بحيث تراعي تعاليم الدين ، وتاريخ الأمة ، ومستوى الفرد ، واحتياجات الأمة ، وضروري للمدرس كي يكون مخلصا في عمله لا يفتش ولا يخدع من يربيهم ، وفي إدارة المدرسة ، والتلاميذ ، بأن تكون لديهم النية الصادقة في التعلم ، فيدفعهم إلى ترجعها إلى جد ومثابرة . وكذلك الصدق في تقييم نتائج العلوم ، والأبحاث التي تقدم ، والموضوعية فيها . ضروري جدا إذ عليه تقوم الحياة العلمية ، وكذلك الصدق لا يجعلنا نذهب إلى الباطل ونجعله حقا ، فنأخذ بالأكاذيب ، كالتفسير الماركسي للتاريخ الذي ينكر الحقائق ويذيف المعلومات الصادقة . هذه بعض ملامح أثر الصدق في العملية التربوية ، إذ أنه يمثل عنصرا هاما فيها . والعقل الناضج السليم يحث عليه ، ويأمر بالتزامه في كل الأمور ، ومن هنا نجد أن ابن حبان لم يهمل هذه السمة ، وكان محقا عندما جعلها من صفات العاقل ، وهذا يعني أن هناك نقصا في العقل .

## ٢- الصمت وحفظ اللسان :

خلق الله الإنسان مزودا بأعضاء وقدرات معينة ، وكل عضوله وظائف محددة ، ومشارك الإنسان مع كثير من المخلوقات باللسان ، وتميز عنها بقدرته على النطق ، ليعبر عما يشعر ويحس ، والكلام فيه الحلو والمر وهو ميسر

وعواقبه وخيمة ، والصمت صعب لمعارضته الهوى ، وعواقبه أحيانا تكون عظيمة ، ولكل حالات ومواطن أفضلها بحسب المقام ، قال ابن حبان : ( الواجب على العاقل أن لا يغالِب الناس على كلامهم ، ولا يعترض عليهم فيه ، لأن الكلام وإن كان في وقته حظوة جليلة ، فإن الصمت في وقته مرتبة عالية ، ومن جهل بالصمت عي بالمنطق ، والإنسان إنما هو صورة مشلّة ، أو ضالة مهتلة ، ليس للسان واللّه جل وعز رفع جارحة اللسان على سائر الجوارح فليس منها شيء أعظم أجراً منه إذا أطاع ولا أعظم ذنباً منه إذا جنّ ) (١) واللسان إذا أسبى استعماله يصير ذا خطر وآثار اجتماعية ، حيث إن الكلمة الواحدة قد تشعل فتنة ، أو تضيع أمة ، وتفرق الأحبة ، وتوقع في الكيثر ، وأمرنا اللّه بحفظه وحذرنا من عشرات فقال : **وَلَا تُخْبِرُنِي كَثِيرًا مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ، أَوْ مَعْرُوفٍ ، أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ، النساء ١١٤ / ، والواجب على العاقل لزوم الصمت مالم يضطر إلى التكلم ، فكثيراً ما يذم المرء إن نطق ، وقليلاً ما يذم الساكت ، وكثرة الكلام تجلب الشقاء والبلاء ، وفي اللسان عشو خصال ذكرها ابن حبان وقال : بأنه يلزم العاقل معرفتها ، وأن يضع كلامها في موضعها فاللسان :

- ١- أداة يظهر بها البيان
- ٢- شاهد يخبر عن الضمير
- ٣- ناطق يرد به الجواب
- ٤- حاصّة ( سكن ) يذهب الضغينة
- ٥- حاكم يفصل في الخطاب
- ٦- شافع تدرك به الحاجات
- ٧- نازع يجذب المودة
- ٨- واصف تعرف به الأشياء

۹۔ مسلّم یزکی القلوب .

١. - معزترد به الأحران . ( ١ )

ويعلم على هذه الخصال بأن العاقل يقل من الكلام ، ويكون سكوتـــه  
لنطقه لاحتياج الكلام إلى الجواب ، والمتكلم لا يسلم من قدح الناس ، والصمت  
فيه الوقار ( ٢ ) ، واجتماع الهمة والفراغ للعبادة ، والصالحون آثروا الصمت على  
الكلام ، لماعلموا مافيه من الآفات ، ثم مافيه من حظ النفس وإظهار صفات المدح ،  
والميل إلى تميز المتكلم بين أشكاله بحسن النطق وغيره من آفات في الخلق ، ويرى  
ابن حبان أن على العاقل أن ينصف أذنه من فيه ، فيسمع أكثر مما يقول ، لأنه  
إذا قال ربما ندم ، وإن لم يقل لم يندم ، والكلمة إذا نطقها ملكته ، وإذا صحت  
عنها ملكها ، والعجب من يعلم ، بأن الكلمة ربما ينطق بها المرء دون انتباه  
فتسلب منه النعمة ويكثر من الكلام ( ٣ )

وفي معرض حديث ابن حبان عن فائدة الصمت ، وموقف العاقل ، والأحمق منه - فهو يرى أن الصمت يزين المرء ، ويسلمه من المآثم ، ولا يجترى على كثرة الكلام إلا فائق أو مائق - أرى قليل عقل أو مائع والعاقل يحكم عقله في لسانه والجاهل ما أتى على لسانه تكلم به ، وما عقل دينه من لم يحفظ لسانه ، واللسان يظهر صلاحه ، أو فساد ، في عمل الجوارح ، ومن صفة العاقل عدم البدء بالكلام وبالتالي يسكت عند القبيح منه ( ٤ ) ، والإنسان فرض عليه الصمت في الأمور التي يجهلها ، أولا يجيد الحديث عنها ، أو لا تتحملها عقول الآخرين ، وفرض عليه أن يقول الحق ، والصدق لدفع ظلم ، أو إزالة جهل ، أو شهادة لله ( فينبغي

(١) روضة العقلاء ، ص ٣٠

(٢) المرجع السابق، ص ٣١

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٢

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٣ ، ٣٤

أن نعلم أن الإسلام يحرم السكوت على المنكر ، ويعد كتمان الشهادة بالحق إثم القلب وهو أفدح الإثم (١) وعلى المسلم أن يحفظ لسانه لأنه لا يغلب الشيطان إلا بالسكوت .

وإذا كان ابن حبان يوثق الصمت ، فإن أحد العلماء يخالفه في هذا الاتجاه ، إذ يرى السفاريني أن الكلام أفضل من الصمت ، لأن الكلام من باب التحلية ، أما السكوت فمن باب التخلية ، ويقول بأن : ( التحلية أفضل - لأنه حصل للمتكلم ما حصل للساكت وزيادة ، وذلك أن غاية ما يحصل للساكت السلامة وهي حاصلة لمن يتكلم بالخير مع ثواب الخير ) (٢) ، وهذا الكلام يختص بالخير منه ، لكن ينبغي أن يتبعه نية خيرة ، وحيلة وحذر من العاراة ، وهو أمر شاق ، ومن هنا دعانا الشرع إلى حفظ اللسان ، وصيانتة عن المعائب ، وما يورث الذنوب .

وملاحظ أن ابن حبان يوثق الصمت ويدعو إليه . والواقع أن ليس كسل ما يقوله اللسان يعتبر أمراً ذمياً . ولقد ميز العلماء بين عدة أنواع من الكلام . فهناك ما هو ضرر محض ، كالشذوق في - الكلام والفحش والبذاءة ، وإفشاء السرور والكذب ، ومنها ما هو نفع محض كالصدق وكف الأذى ، وهناك ما هو ضرر ونفع كالبحث في كيفية صناعة الكحول ، إذ ضررها لمن يشربها بينما نفعها لمن يستفيد منها فيما هو مباح ، ومن الكلام ما لا ضرر فيه ولا نفع (٣) كاللحاح عن طول أفلاطون مثلاً ، أو كالبحث في أماكن قبور الأنبياء عليهم السلام - ويتضح لنا أن ما ذهب إليه ابن حبان أسلم وأوضح ، وقد أيد به حديث صحيح أخرجه عن أبي هريرة -

(١) عائشة عدا الرحمن ، الشخصية الإسلامية ، ص ١١١

(٢) محمد السفاريني ، غذاة الألباب بشرح منظومة الآداب ص ٧٢

(٣) أحمد عساف ، بغية الطالبين ، مختصر إحياء علوم الدين ، ص ١٥١

- رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من كان يومئذ بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت ) (١) ولقد سبق المحاسبي ابن حبان في ذلك حين فسر الحديث بقوله : لعظم المسئولية كان الأمر بالسكوت لأنفسه أسلم رغم أفضلية الكلام عند الله إذا أريد به وجهه الكريم وقصد مع الإصابة مخاطبة كل على قدر فهمه ولسانه ، ولا يفرض في الصمت فيسكت عن الحق ، وإن تكلم حتى مع الأمن من الآفات فلا يتكلم بشيء إلا في موضعه ، وأوانه ، ولئن ينتفع به - وإلا فالصمت أولى (٢) ولزوم الصمت يصعب في أحيان كثيرة ، ومن هنا بين لنا ابن حبان كيفية التحلي به في أوقات الضرورة ، فيرى أن سبيلنا لرعاية الصمت ترك المباح من الكلام ، وعلى العاقل ترويض نفسه على تركه ، لتلايق في المزجورات (٣)

وإذا ما نظرنا إلى أثر اللسان في العملية التربوية - القائمة على التوجيه والإرشاد - نجد أنها لا تتم بدون تفاعل لفظي بين المعلم والمتعلم . وعلى اللسان في هذا الميدان خير محض ، ولا يجوز للمعلم الإقلال من الشرح والتوجيه بدعوى أن الصمت أفضل من الكلام .

وعلى التربية أن تعود الطلاب آداب الحديث مع معلمهم ، ومع أقرانهم المجتمع الذي يعيشون فيه . ومن هنا نرى أن العربيين المسلمين يحذرون المعلمين من السماح بالتلفظ بما لا يليق ومكانة المعلم .

(١) روضة العقلاء ، ص ٢٨ ، البخاري ، رقائق ، ٦٨٤/٧ ، أدب ١٠٤/٧ - مسلم / إيمان (٤٧) ٦٨/١ - الترمذي ، بر (١٩٦٧) ٣٤٥/٤ - ابن ماجه ، فتن (٣٩٧١) ١٣١٣/٢ - الدارمي ، أطعمة (٢٠٤١) ٢٤/٢ - أحمد ، ٢٤/٥ ، ٤١٢ - ابن عبد البر ، جامع بيان العلم : ١٦٥/١ - ابن أبي الدنيا ، مكارم الأخلاق ، ص ٨١ .

(٢) المحاسبي ، المسائل في أعمال القلوب والجوارح ص ١٣٣

(٣) روضة العقلاء ، ص ٣٥ - ٤٢

ويذكر ابن حبان عدة وظائف للسان مرت قبل قليل منها : أنه واصف للأشياء ، وأداة للبيان وعلى المعلم أن يستفيد من ذلك ، فيزود المتعلمين بالمعلومات الكافية عن الأشياء التي تطرح عليهم لدراستها ، ويوظف لسانه توظيفاً خيراً محضاً ويحاول أن يفيد تلاميذه بأن يكون لهم قدوة حسنة ينقلون عنه السلوك المهدب .

### ٣- الرفق والحلم :

من الفضائل الخلقية العظيمة الرفق والتسامح والحلم عن جهل عيسى المرء ، فمن أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظ الدنيا والآخرة ، وإن الله يحب الرفق ، وهو أرفق ما يكون بخلقه ، ورسوله - صلى الله عليه وسلم - رفيق بهم . والله يعطي الإنسان على رفقته ، وإذا أراد بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق ، ويرى ابن حبان أن الرفق في الأمور وترك المجلة فيها أمر ضروري للعاقل ، فهو بذلك يحقق بغيته ، كما يلزمه الاعتدال في أموره كلها ، لأن الزيادة على المقدار في المبتغى عيب ، والنقصان فيما يجب من الطلب عجز ، ومن الرفق يكون الاحتراز به ترجى السلامة ، وعدمه يكون الخرق ، والرافق متفوق على أقرانه غالباً ، كما أن العجل متأخر عنهم ، وسمته التهور إذ أنه يتكلم بدون علم ، وجيب بدون فهم ، ويحكم على الناس قبل أن يجربهم ، وسرعان ما يغير حكمه فيذم من حمدهم وأثنى عليهم من قبل ، ويقدم على العمل دون تفكير في تبعاته ونتائجها وهو دائماً نادم ومعرض للخطر ، والتهلكة ، والعجلة من العدة ، فـصواب العجل غير محمود وخطؤه مذموم ، وهو منحرف عن الجادة ويحكم حكم الـورهاء ، ويناسب أخلاق النساء (١) لأن المرأة سريعة الغضب ، لأغنى الأسباب

(١) روضة العقلاء ، ص ١٩٠ - ١٩٢



تثور ، يحسن إليها الرء طوال العمر هزل زلة بسيطة فتكفر العشير وكأنه لسم يقدم لها شيئاً .

ويرى ابن حبان : أن العجلة تورث الندامة ، لأن الزلل مع العجل ، والإقدام على العمل بعد التأني أحزم من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه ، والعاقـسل يعلم أن العجز في الأمور يقوم في النقص مقام الإفراط في السعى فيجتنبهما ويتخذ مسلكاً بينهما ، وسبب النجاح ترك التأني ، ودواعي الحرمان الكسل ، لأنه عدو العروة ، والتواني مع العجز مهلكة ، والآنأة بعد الفرصة أعظم الخطأ كالمجلة قبل الإمكان ، والرشد من رشد عن العجلة ، والخائب من غـياب عن الآنأة والتمسيت مصيب وما (١) . ويستدل ابن حبان بما أخرجه من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :- ( من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير ومن منع حظه من الرفق فقد منع حظه من الخير ) وما دخل الرفق شيئاً إلا زانه ، وما نزع من شيء إلا شانه ، وهو صفة الأخيار من الناس والصالحين ، حيث أن أخلاقهم ومعاملاتهم تعكس سلوكاً مبشراً وليس منفراً ، جامعاً للألفة والمحبة وقدوة في النفوس تتبعه ، ونحن نعلم أن الإسلام انتشر في بلاد أفريقيا والصين وغيرها عن طريق معاملات تجار المسلمين لا عن طريق الفتوحات ، والرفق يقتضي اللين والعفو والإحسان إلى الناس ، ومقابلة السيئة بالحسنة واحتساب الأجر على الله سبحانه .

والحلم سمة الرفق الرفيعة وذروته ، وقد عرق ابن حبان بأنه : ( اسم

يقع على زم النفس عن الخروج عند الورد عليها ضد ماتحب إلى ما نهى عنه ) (٢)

-----

- (١) روضة العقلاء ص ١٩٣
- (٢) الرجع السابق ص ١٩٠ - الترمذي / بر (٢٠١٣) ٣٦٧/٤ وقال حديث حسن صحيح - أحمد ١٥٩/٦ ، ٤٥١ ، وصححه الألباني ، ينظر ، صحيح الجامع الصغير (٥٩٣١) ٢٤٩/٥
- (٣) روضة العقلاء ص ١٨٤

أي تلك النفس عند الغضب والرفق عند إساءة الآخرين ابتغاء مرضاة الله ، وهو فضيلة حيوية للمسلم يصون علاقاته مع أهله وجيرانه وزملائه وشركائه وكل من يتعامل معهم . والحلم يشتمل على المعرفة والصبر والأناسة والتثبت ، ولم يقرن شيء إلى شيء أحسن من غزو إلى مقدرة ، والحلم أجمل ما يكون من المقتدر على الانتقام ، وكلما علت مكانة المرء وزادت قوته كان حلمه أنفع له ولغيره ولكانة هذه الفضيلة الخلقية ، والسعة النفسية ، فإن الله سبحانه - تصنى به ، كما وصف بالحلم بعض الرسل رضوان الله عليهم - \* وعلى العاقل ملازمة الحلم ما استطاع ، لما فيه من بعد عن المعاصي ، والحلم جامع لكل فضل ، وسلطان قانع للهوى يقمع الغضب ويسكن قوة الشر ، وفراط الرضا وغلبة الشهوان وهو على حد تعبير الجاحظ : مانع (من سوء الفرو والبؤس من سوء الجزع والهلع وسرعة الحزن والدم ، وسوء الطبع والجشع ، وسوء مناهزة الفرصة ، وفراط الحرص على الطلبة ، وشدة الحنين والرق وكثرة الشكوى والأسف ، وقرب وقت الرضا من وقت السخط ، ووقت السخط من وقت الرضا ، ومن اتفاق حركات اللسان والبدن على غير وزن معلوم ولا تقدير موصوف في غير نفع ولا جدوى ) (١) ولا يقتصر العاقل في حلمه على أناس دون غيرهم ، ويرى ابن حبان أنه يلزمه الحلم عن كافة الخلق ، وإن لم يستطع لزوم الحلم فليتحالم بمعنى يتكلف الحلم حتى يتعوده فيما بعد ، وقد ذكر ابن حبان في هذا الموضع درجات للحلم هي :

- ١- وأول درجات المعرفة بأبعاد الأمر الذي يحلم فيه .
- ٢- التثبت بمن عرف ماسبق فليثبت من هذا الأمر ، ويتحقق منه ومن مقصده .
- ٣- العزم على الحلم والإحسان ، وفي هذه الدرجة يتم الترجيح بين المعاقبة والعفو .

\* هو ، ٧٥ ، ٨٢ . الصافات : ١٠١  
رسائل الجاحظ ١٤٢/١ - ١٤٣ (١)

- ٤- التصبر وهذه درجة تكلف الصبر والتحمل ليقوى على الحلم .
- ٥- الصبر : وهو كظم الغيظ في النفس وتحمل الألم الذي ينجم عن الأمر الذي يلقاه المرء .
- ٦- الرضا : بما قدر الله وشأ به - سبحانه - للعافي وتذكر أن الخيرة ما أختاره لنا .
- ٧- الصمت ، وعدم إظهار الغيظ .
- ٨- ثم أخيرا الإغضاء ، وعدم رد الفعل ، وتناسي الأمر كأنه لم يحدث ، وهو أعلى درجات الحلم . (١)

والفضل للمحسن إلى المسي\* ، ولا حلم على من لم يسي\* ، وعلى العاقل أن يكثر من ذكر كرامة حلم الله عليه مع تواتر إنتهاكه محارمه ثم يحلم ، ولا يخرج نفسه حاله من الغيظ إلى الدخول في أسباب المعاصي .

وقد قسم ابن حبان الناس بالنسبة لاستحقاقهم الحلم إلى ثلاثة أصناف :

- ١ - رجل أعز منك فالتجاهل عنه جور .
- ب - رجل أنت أعز منه ، والتجاهل عنه لو\* م .
- ج - رجل ساواك في العز ، والتجاهل عنه هراش كهراش الكلبين ، والتجاهل يوجد مع ترك التحالم من السفها\* . (٢)

وأخرج ابن حبان أيضا من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم : ( لا حلم إلا ذو عشرة ، ولا حلِيم إلا ذو تجربة ) (٣) - وهذا يعني أن الحلِيم بخطي\* ويتعشر ، ولو لا عشرته

- 
- (١) روضة العقلاء ، ص ١٨٦
  - (٢) المرجع السابق ، ص ١٨٧
  - (٣) المرجع السابق ، ص ١٨٤ - وزوائد ابن حبان ، بر (٢٠٧٨) ، ص ٥٠٧ ، والترمذي ، بر (٢٠٣٣) ٣٧٩/٤ وقال : حديث غريب - والحاكم ، أدب ٢٩٣/٤ وصححه ووافقه الذهبي - وأحمد ، ٨/٣ ، ٦٩ ، والحديث ضعيف قال الشوكاني بأنه موضوع ، الفوائد المجموعة ص ٢٦٠ وقال الفتني بوضعه أيضا ، تذكرة الموضوعات ص ٢٠٤ ، وضعفه المناوي ، فيض القدير ٦/٢٤٤ (١٨٧٦) ، وكذلك ضعفه الألباني ، ضعيف الجامع الصغير (٦٢٩٧) ٦/٧٩ والمجلوني ، كشف الخفاء ٥٠٤/٢

لما عرف حلمه ، ولولا علمه بفضيلة الحلم لما حلم ، وأن انعدام الحلم في العالم من أسوأ صفاته ، وفي بعض الأوقات يختلف العاقل مع من لا يرضيه عنه الحلم ، ولا يقنعه الصبح ، ويرى ابن حبان في ذلك أنه يحتاج حينئذ إلى سفيه لينتصر له ، لأن هناك من الحقى من لا يصد عنه سلوكه السكوت عنه ، فمن امتحن بعشرة هذا النوع فليتكلف بعض التجاهل لأن بعض الحلم إذعان . ( ١ )

وتستفيد التربية كثيرا من آراء ابن حبان ، ويتجلى ذلك في موضوع الرفق والحلم ، فالمعلمون مطالبون بأن يعاملوا الطلاب بالرفق ، قاله سبحانه وتعالى يحب الرفق في الأمور كلها ، ويعطي عليه أجرا عظيما ، ولا شك في أن التربية مجال رحب يجب أن يغلب فيه التعامل بالرفق واللين ، والحلم ، وقد أكد ابن حبان على الجانب التطبيقي للحلم ، وهذا يعني أن تتجاوز المدرسة إعطاء المتعلمين معلومات عن الحلم إلى توجيه سلوكهم ، وتعودهم على هذه الخصال الحميدة من خلال الممارسات الواقعية ، وتشكيل القدوة من ذلك لهم .

#### ٤- الحياء :

الحياء من آداب النفس المحمودة في كل لحظاتها ويمنع صاحبه من اقتراف المعاصي ، ويحجبه عن بذى الأعمال والأقوال ما يستحق في عرف الشرع وعرف الناس ، ويعرفه ابن حبان بأنه اسم يشتمل على سبابة المكروه من الخصال ( أى انقباض النفس عن القبائح ) ، وهو ضروري للعاقل لأنه عرف العقل وبذر الخير ، وهو أصل الجهل وبذر الشر ، ومن لم ينصف الناس منه حياؤه لم ينصفه منهم قحته ، ( ٢ ) بخلاف ما ذهب إليه الرافض الأصفهاني حين قال : ( الحياء منج

( ١ ) روضة العقلاء ، ص ١٠٢ ، ١٨٨ ، ١٨٩

( ٢ ) المرجع السابق ، ص ٤٢ - ٤٣

من الجبن والمفة. . . (١) ، وهو رأي - لا أراه لأنه ينفي اجتماع الشجاعة والحياء ولكننا نعلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحه رضوان الله عليهم - أشجع من الأسود ، وأكثر حياء من الأيكار فكلهم يستحي من الفرار والجبن ، وهم القلة الذين هزموا جيوش الكفر الجرارة ، وفتحوا مشارق الأرض ومغاربها والخوف في الحياء إنما يكون من الميب والمنقصة وليس خوفا على الدنيا الزائلة . . . خوف من إغضب الله لا من البشر . والحياء في نظر ابن حبان حيالان حياء العبد من الله جل وعلا عند ما بهم بباشرة ما حظر عليه ، ومن هنا كان الإحسان في الاستحياء من الله سبحانه في السر والعلن أحفظ للمرء من متابعة الهوى فيما يفضب المولى ، ويدل على ذلك ماورد في الحديث ( الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ) (٢) فإن تم ذلك فقد صان الإنسان نفسه من المعائب والنقائص وفاز برضوان الله .

أما النوع الثاني فهو استحياء من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون من القول والفعل معا .

( والحيالان جميعا محمودان إلا أن أحدهما فرض ، والآخر فضل ، فلزوم الحياء عند مجانبه مانهى الله عنه فرض ، ولزوم الحياء عند مقارفة ماكره الناس فضل ) (٣)

والحياء من الإيمان ، والمؤمن ثوابه الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجاني موهده النار إلا من رحم الله ، ومن لزم الحياء حصل له الخير ، ومن لزم البذاء انعدم عنه الخير ، لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها ، فالمعصية والطاعة يؤثر فيها الحياء ، وأخرج ابن حبان من حديث ابن مسعود - رضي

- 
- (١) الراغب الأصفهاني ، الذريعة ص ١٤٥  
 (٢) رواه البخاري ، إيمان ١٨/١ ، وسلم ، إيمان (١) ٣٦/١ - وأبو داود ، سنة (٤٦٩٥) ٢٢٣/٤ ، والترمذي ، إيمان (٢٦١٠) ٦/٥ ، وابن ماجه ، مقدمة (٦٣) ٢٤/١ - ٢٥ - أحمد ، ٤٢٦/٢ ، ١٢٩/٤ ، ١٦٤٠ .  
 (٣) روضة العقلاء ص ٤٣

الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إِنْ مَا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأَوَّلَى : إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ ) (١) عَلَى أَنَّ الْحَيَاءَ ضَابِطٌ لِلْسُّلُوكِ ، يَنْعَمُ مِنَ الانْجِرَافِ فِي تَيَّارِ الْآهْوَاءِ ، وَيُحَرِّرُهُ مِنَ الْعِبَادَةِ لِلشَّيْطَانِ ، وَيُوَلِّدُ لَدَيْهِ الْفِيْرَةَ عَلَى مَحَارِمِ اللَّهِ ، وَتَسْتَحْهُ عَلَى طَلَبِ رِضْوَانِ اللَّهِ - تَعَالَى - فِي كُلِّ أَمْرٍ يَقْصُدُهُ ، وَفِي مَعْرُضِ حَدِيثِ ابْنِ حَبَّانَ عَنْ أَهْمِيَةِ الْحَيَاءِ لِلْمُسْلِمِ قَالَ : ( الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَعُوِّدَ نَفْسَهُ لَزُومِ الْحَيَاءِ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنْ مِنْ أَعْظَمِ بَرَكَتِهِ تَعْوِيْدُ النَّفْسِ رُكُوبَ الْخِصَالِ الصَّعُودَةِ وَمُجَانِبَتَهَا الْخِلَالِ الْمَذْمُومَةِ كَمَا أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ بَرَكَاتِ الْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ الْفَوْزَ مِنَ النَّارِ بِلُزُومِ الْحَيَاءِ عِنْدَ مُجَانِبَةِ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ لِأَنَّ ابْنَ آدَمَ مَطْبُوعٌ عَلَى الْكِرَمِ وَاللُّؤْمِ مَعَافٍ فِي الْمَعَامَلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ ، وَالْعَشْرَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَخْلُوقِينَ ، وَإِذَا قَوِيَ حَيَاؤُهُ قَوِيَ كِرَمُهُ وَضَعُفُ لَوْءِهِ ، وَإِذَا ضَعُفَ حَيَاؤُهُ قَوِيَ لَوْءُهُ وَضَعُفَ كِرَمُهُ ) (٢) وَالْعَاقِلُ يَدَاوِمُ الرِّقَابَةَ لِلنَّاسِ فِي طَاعَتِهِ بِالْعَمَلِ ، وَفِي مَعْصِيَتِهِ بِالْتَرَكِ ، وَفِي الْهَمِّ وَالْخَوَاطِرِ ، وَمِرَاقِبَةِ الْقَلْبِ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَشَدَّ تَعَبًا عَلَى الْبَدَنِ مِنْ مَكَابِدَةِ قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ ، وَإِنْفَاقِ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، هَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ ، قَالَ سَفِيَّانُ الثَّوْرِيُّ : ( كَانُوا يَقُولُونَ : مَا رَفَعَ قِيمَتَ بَنٍ مُسْلِمٍ رَأْسُهُ إِلَى السَّمَاءِ مِثْلَ كَذَا وَكَذَا تَعْظِيمًا لِلَّهِ ) (٣) كَمَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَسْتَحِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْخَلَاءِ مُكْشُوفَ الرَّأْسِ ، وَكَانَ الْأَثَمَةُ الْعُلَمَاءُ يَكْتُمُونَ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنِ النِّكَاحِ وَنَحْوِهِ وَيَسْتَخْدُمُونَ الْمَعَارِيضَ .

والتربية في العصر الحديث بحاجة ماسة إلى غرس الحياء في نفوس الناشئة  
وعلينا أن نطرح جانباً تلك الأباطيل التي يروج لها والتي تعتبر الحياء ضرباً

(١) روضة العقلاء ، ص ٤٢ - البخاري ، أدب / ١٠٠ - أبو داود ، أدب (٤٧٩٧)

٢٥٣/٤ ، وابن ماجه ، زهد (٤١٨٣) ١٤٠٠/٢ - أحمد ، ٢٧٣/٥

(٢) روضة العقلاء ، ص ٤٤

(٣) الإمام أحمد ، العلل ٣٤٠/١

من الانحراف في الشخصية . وموقف التربية الغربية الحديثة من هذه القضية لا يختلف عن وقفة قوم لوط الذين اعتبروا التطهر انحرافا .

والحياة أمر ضروري للتلاميذ بحيث يحافظ على أخلاقهم وسلوكهم من البداية والمعلم مطالب بأن يعلم تلاميذه الحياة عاليا ، وألا يقتصر على الكلام فقط ، وذلك بأن يجعل من نفسه قدوة ليتأسى به تلاميذه ، ولتحقيق ذلك ينبغي اللجوء إلى تعاليم ديننا الحنيف وحده .

#### ٥- التواضع :

التواضع خلق وسط بين الكبر والمذلة ، والمحمود التواضع من غير مذلة فمن تقدم على أقرانه فهو متكبر ، ومن تأخر عنهم فهو متواضع لأنه قد وضع شيئا من قدره ، فأما إذا أدخل على العالم إسكافي أو نحوه فتحنى له عن مجلسه ، وأجلسه فيه ، ثم قدم له نعله ، وشى معه إلى الباب فقد تخاسس وتذلل ، وهذا غير محمود ، بل المحمود العدل ، وهو أن يعطي كل ذي حق حقه ، لكن تواضعه للسوقة بالرفق في السؤال ، واللين في الكلام وإجابة الدعوة والسعي في الحاجة وعدم استصغارهم وقد عرفه الراغب الأصفهاني تعريفا جيدا عندما ذكر أنه رضا الإنسان بمنزلة دون منزلته ، ويظهر التواضع إذا كان في أجلاس الناس ، وهو من باب التفضيل بترك المتواضع بعض حقه (١) وماعليه ابن حبان والأئمة من السلف الصالح أن التواضع فضيلة عظيمة ، وهو التوسط بين الكبر والخسة بعكس ماعليه الغزالي من أن : التواضع رذيلة والكبر رذيلة على أن الوقار فضيلة تتوسطها (٢) ، وذهب بعض الناس إلى إطلاق التواضع على لبس المرقع من الشيا

(١) الذريعة ، ص ١٥٣

(٢) ميزان العمل ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨

وما اتسخ منها (١) وهذا في الحقيقة ذلة ومهانة ، وليس تواضعا لما فيه من تحقير النفس بما لا يقبله الإسلام ولا العقل القويم ، قاله سبحانه أعز المسلمين وكرمه ونعمه قال تعالى : **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** « المنافقين ٨ / ونهاه عن تحريم ما أحل له ، وتحليل ما حرم عليه ، والذي يحرم نعمة الله وزينته المستتي وهيبها لعباده ولو على نفسه فقد افترى على الله الكذب ، ومن يمنع نفسه من التزين والتنظف والتطيب يكن جاحدا لأ نعم الله ، فمن الشكر لله التمتع بنعمه وحمده عليها مع الاقتصار في ذلك .

والواجب على العاقل لزوم التواضع وعدم التكبر ، لأن التواضع يزيد المرء رفعة . ويرى ابن حبان أنه قسمان :

- ١ - محمود : وهو ترك التناول على عباد الله والإزراء بهم .
- ب - مذموم : وهو تواضع المرء لذي الدنيا رغبة في دنياه وهو من التذلل الذي نهينا عنه (٢) والعاقل يفعل التواضع المحمود ، ويجتنب المذموم لما فيه من إهانة للنفس ، فالعزة لا تنافي التواضع ، وهي منزلة شريفة ، لأنها نتيجة معرفة الإنسان بقدره ، وإكرام نفسه عن الخضاعة للأعراض ، والتواضع يرفع قدر المرء ويذهبه شرفا ونبلا ، وتواضع الإنسان لله تعالى في رأي ابن حبان على ضربين :

(١) عدم إعجاب المرء بطاعته لله ، وعدم رؤيته أن له عنده حالة يوجب بها أسباب الولاية إلا أن يكون المولى جل وهز هو الذي يتفضل عليه بذلك وهذا التواضع ينفي الإعجاب عن طاعات المرء .

(ب) تحقير الإنسان لنفسه عندما يتذكر آثامه حتى يرى نفسه أقل الناس طاعة وأكثرهم معصية (٣) وقد بين الله صفة المتواضعين في كتابه حيث قال :

(١) الجاحظ ، البخلا ، ص ٣٨

(٢) روضة العقلاء ، ص ٤٥ ، ٤٦

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦



مَعْرَبَاتُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ  
قَالُوا سَلَامًا " الفرقان / ٦٣ وأمر الله النبي - صلى الله عليه وسلم  
بالتواضع فقال : " وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ " الحجر / ٨٨

أي : تواضع لهم ، وفي الحديث الذي أخرجه ابن حبان عن أبي هريرة -  
رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ما نقصت  
صدقة من مال ، ولا زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ولا تواضع لله أحد إلا رفعة ) ( ١ )  
ولا يمتنع من التواضع عاقل ، ويرى ابن حبان أن التواضع يكسب السلامة  
صورت الألفة ، ويرفع الحقد ، ويذهب الصد ، وتواضع المرء خير لـه  
من التكبر الذي لا يعود عليه بخير ولقد كان رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - كثير التواضع حتى مع أعدائه وكذا الصحابة والتابعون في كل عصره  
كان ابن عباس - رضي الله عنهما - قد أخذ بركاب زيد بن ثابت وقال : هكذا  
أمرنا أن نفعل بعلمائنا ، وقال الشافعي : كنت أتصفح الورق بيـمن  
يدي مالك برفق لئلا يسمع وقعها ، وقال الربيع تلحيز الشافعي : والله  
ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر ( ٢ ) ، وقال الإمام أحمد :  
ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له ، قال عبد الله  
ابن أحمد بن حنبل : قلت لأبي : أي رجل كان الشافعي ؟ فإنسي  
سمعتك تكثر من الدعاء له فقال : يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا ،  
وكالعافية للناس ، فانظر هل لهما من خلف ؟ ( ١ ) أو عنهما من عوض ؟ ( ٢ )

يرى ابن حبان أن التواضع يجلب المحبة والصفاء من الإخوان ، والعاقـل  
إذا رأى من هو أكبر منه سنا تواضع له وقال : سبقتي إلى الإسلام ، وإذا رأى الأصغر

( ١ ) روضة العقلاء ، ص ٤٥ ، وأخرجه سلم ، بر ( ٢٥٨٨ ) / ٤ / ٢٠٠١ -  
والترمذي ، بر ( ٢٠٢٩ ) / ٤ / ٣٧٦ - والدارمي ، زكاة ( ١٦٨٣ ) / ١ / ٣٣٣ -  
مالك ، صدقة ( ١٢ ) / ٢ / ١٠٠٠ - أحمد ٣٨٦ / ٢٥ - ابن عبد البر ،  
جامع بيان العلم ، ١ / ١٧١ .

( ٢ ) المناوي ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ٣ / ٢٥٣

( ٣ ) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ٢ / ٦٢ ، ٦٦

منه قال : سبقت بالذنوب ، وعد مثله أناله ، ومن غير المعقول أن يتكبر المرء على أخيه (١) ، والعاقل لا يستحق أحدا مهما كان وضعه ولا يتكبر على أحد ، لأن الله أكبر ، ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه .

وتستفيد التربية من آراء ابن حبان في التواضع إذ تمثل ضرورة للمعلم والمتعلم ، ووجود هذه السمة في المعلم تجعله لا يتخرج من مصاحبة التلميذ خارج المدرسة وزيارته في البيت ، والإجابة عن استفسارات الطلاب ، والتعرف على مشاكلهم ، ومساعدتهم في حلها ، وهذا الأمر - الذي يمثل ثمرة التواضع - تنبهت إليه التربية الحديثة فعينت أخصائيين اجتماعيين ، وإذا ما نظرنا في الفكر الإسلامي وجدنا أن المدرس يقوم بهذا الدور ، والتالي يكسب مودة التلاميذ ، ويستطيع المجتمع بذلك إيجاد تلاميذ محبين للعلم والتعلم ، ويتم بذلك التعاون بين المدرسة والبيت .

#### ٦- القناعة :

القناعة هي رضا النفس بما دون الكفاية ، وهي الغنى في الحقيقة ، والخلق جميعا فقراء إلى الله لكثرة حاجاتهم الدنيوية ، وأغناهم أقلهم حاجة ، والغنى لا يعد بكثرة المال إنما بغنى النفس والرضا بالمقسم .

والقناعة كنز لا يفنى ، وزاد لا ينفذ ، وتجارة لا تبور ولا تكسد ، وهي غنى لا فقر بعده ، وخلق لا يذم ، إن لزمه المرء رفع به ، وترفع عما في أيدي الناس ، وفاز بالحسنين ، وهي رضا بما قسم الله ، لأنه كما أخبرنا قد قسم المقادير وحدد الأرزاق ، فما أصاب المرء لم يكن ليخطئه ، وما أخطأ لم يكن ليصيبه ، والعاقل يحمد الله على ما أعطاه ولا يخط على هطائه ، ولا يشكو أمره إلا لله ، ولا يطلب أكثر مما رزق ، يرى ابن حبان أنها من أكثر وأعظم مواهب

الله لعباده ، وليس بشيء أروح للبدن من الرضا بالقضاء ، والثقة بالقسم ، ولو لم يكن في القناعة غصلة تحمد إلا الراحة وهدم الدخول في مواضع السوء لطلب الفضل لكان على العاقل أن يجتهد في ملازمتها في جميع الأوقات . (١)

ويرى ابن حبان أن العاقل يعلم أن الإنسان لم يوضع على قدر الأخطاء وأن من عدم القناعة لم يزد له المال غنى ، فتمكن المرء بالمال القليل مع قلّة الهم أهناً من الكثير ذي التبعة ، والعاقل يقتنع من الحرص بالقنوع ، كما ينتصر من العدو بالقصاص ، لأن السبب المانع رزق العاقل هو السبب الجالب رزق الجاهل والقناعة تكون بالقلب فمن غنى قلبه غنيت يده ، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه ، ومن قنع لم يتسخط وعاش آسناً مطمئناً ، ومن لم يقنع لم يكن له في الفوائد نهاية لرغبة ، والجد والحرمان كأنهما يطرعان بين العباد (٢) واستدل بما أخرجه من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : ( أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم - بمنكبي فقال : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ) (٣) وهذا يعني أن يزهد في الدنيا ويرضى بأقل ما رزق ، والغريب وعابر السبيل كلاهما يكفيه قليل الزاد ما يسد حاجته لعدم قدرتهما على حمل المتاع الثقيل ، والإسلام أمرنا أن نتزود من الدنيا بقليل المتاع على قدر حاجتنا ، ومن التقوى - زاد الآخرة - بقدر ما تستطيع قوتنا لأن الخير في عيش الآخرة . وهكذا فإن التربية الإسلامية تحرر الإنسان من الجري وراء عرض الحياة الدنيا وتحتة على الاستزادة من العلم النافع ، إذ عندما يقنع المرء بما رزقه الله في حياته فإنه يبذل جهداً أكبر للأهداف العليا . وواجب التربية في أيامنا هذه أن تباعد

(١) روضة العقلاء ، ص ١٢٨

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٩ - ١٣٠

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٧ ، وأخرجه البخاري ، رفاق ١٧٠/٧ ، والترمذي ،

زهد (٢٣٣٣) ٥٦٧/٤ وابن ماجه ، زهد (٤١١٤) ١٣٧٨/٢ ،

وأحمد ٢٤/٢ ، ٤١ ، ٢٣٢٠

بين المتعلمين وبين المشيراة الصاخبة التي تزخر بها الحياة المعاصرة .

## ٧- اعتزال الناس :

تعتبر العزلة فرارا من الذنوب محمداً ، وتم بالابتعاد عن الاختلاط بالناس خوفاً من الفتنة في الدين ، أو الخلق ، ولما يحدث في الاختلاط من الغيبة والنميمة ، واللهو ، وإضاعة الوقت بما لا يجدي والرياء والافتخار . قال ابن حبان : ( والواجب على العاقل لزوم الاعتزال من الناس عاماً مع توقي مخالطتهم إن الاعتزال من الناس لو لم يكن فيه خصلة تحمد إلا السلامة من مقارفة الناس — لكان حقيقاً بالمرء ألا يكدر وجود السلامة بلزوم السبب المؤدي إلى المناقشة (١) واستدل بالحديث الذي أخرجه عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قيل ( يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . قال : ثم ماذا ؟ قال رجل في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره ) (٢) وينبغي لمن يعتزل الناس أن يكون فقيهاً في دينه ، عارفاً بأمر صلاته ، وصيامه ، وزكاته ، وحجه ويشهد الجنائز ويعود المرضى ، ولا يخوض في حديثهم ، ولا يسأل عما يفسد قلبه من أخبارهم ، ولا تطمع نفسه في نائلتهم حتى لا يكون له حاجة في جيرانه وتكون أوقاته إما في الصلاة والدراسة فيغنى ، أو في النظر في الكتب فيتعلم أو يقضيها في النوم فيسلم ، وعليه أن يد من الذكر ، ويكر الشكر حتى يتم له الأمر ، فإن كان له أهل يتحدث معهم ، ويجتهد في خلوته ، حتى يرى ميزان عزلته (٣) وهذه العزلة فيها نوع من الاختلاط المحدود لأن العزلة

-----

- (١) روضة العقلاء ، ص ٦٦
- (٢) المرجع السابق ، ص ٦٥ - وأخرجه البخاري وقاق ١٨٨/٧ - وسلم وأما
- (١٨٨٨) ١٥٠٣/٣ ، ١٥٠٤ - أبواب ، جهاد (٢٤٨٥) ٥/٣
- والترمذي ، فضائل الجهاد (١٦٦٠) ١٨٦/٤ - النسائي ، جهاد
- (٧) ١١/٦ - وابن ماجه ، فتن (٣٩٧٨) ١٣١٦/٢ - الدارمي ،
- جهاد (٢٤٠٠) ١٢١/٢ - أحمد ٣٢٢/١ ، ٣١٩ ، ٢٢ وفيهما
- (٣) الفزالي ، الأدب في الدين ، ص ٢٣ - ٢٤ وكذلك النووي ، رياض الصالحين ، ص ٢٨١ .

الغفيدة لا تكون عزلة تامة مغلقة إلى حد القطيعة ، فالمعتزل يخرج عــــلى الناس حين الضرورة ، ويهدف طاعة الله وعمل ما يرضيه في خلقه ، وهو مذهب السلف-رضوان الله عليهم اجمعين-، قال ابن حبان : ( العاقل لا يستعبد نفسه لأمثاله بالقيام في رعاية حقوقهم والتصبر على ورود الأذى منهم ما وجد إلى ترك الدخول فيه سبيلا ) (١) لأن في ترك المخالطة فرصة لصفاة القلب وعدم تكدر الأوقات ، وتبع ابن حبان راود الطائي الذي ذهب إلى الاعتزال التام من العام والخاص ، لأن الإنسان إن لم يحفظ نفسه بترك ما يبيح له يكن عرضة للوقوع فيما حظر عليه والذي يدعو للاعتزال من الناس ما وجد في الكثير منهم من دفن الخير ونشر الشر ، والاعتزال بهذه الصفة من العام والخاص يدخل ضمنه قطيعة الرحم ، وهي تستوجب قطيعة الله للعبد ولا يستطيع مخلوق احتمالها ولا يليق بالموءمن أن يضع نفسه في هذا الموضع وهذا إثم أعظم ما يفر منه ، وذهب الراغب الأصفهاني إلى أن الاعتزال مذموم بأي شكل من الأشكال ، وأن الأولــــى الاجتماع ( مع العامة في ظواهر أحكام الشرع وإقامة وظائف العبادات ، وإنالتهن من الفضيلة بقدر الوسع وترفع عن منزلتهن في المعارف والأخلاق ) (٢)

#### وللعزلة فوائد جمة نذكر منها :

- ١- التفرغ للعبادة والتعلم
- ٢- التخلص من المعاصي التي يتعرض لها الإنسان بالمخالطة .
- ٣- الابتعاد عن الفتن والخصومات وصيانة الدين .
- ٤- النجاة من أذى الناس .
- ٥- انقطاع طمع الناس وحسد هم للمرء وطمعه عنهم .

(١) روضة العقلاء ، ص ٦٦  
 (٢) الذريعة ص ٩٤ ، وذهب إلى هذا الإمام النووي -رياض الصالحين- ٢: ٢٨١

ولا خير في عزلة بدون علم لأن العلم أصل الدين . ( ١ )

ومن الآراء التي عرضناها فيما مضى نجد أن الأصلح والأصوب هو البعد عن المواضع التي تكون موطنًا للشر والفتنة . فالعزلة المعمودة هي تلك التي تبعد المرء عن كل ما يشينه ، أما العزلة المذمومة فتلك التي تؤدي إلى إغلاق الباب ومنع الزائر من الدخول وقطيعة الرحم وحجب الخير عن العباد والمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم ، وعلينا أن نؤكد أن الانسحاب بعيدا عن حياة المجتمع ليس هدفا في حد ذاته بل هو وسيلة يضطر إليها الإنسان في بعض الظروف القاهرة ، ويعتقد الباحث أن التربية الحقة هي التي تجري تغييرا في الأوضاع المحيطة بالإنسان وتجعله يقبل على الحياة بروح إيجابية . فالتفاعل مع الحياة - لا الانسحاب منها - هو الذي يحقق الخلافة على الأرض .

#### ٨- الترويح عن النفس بالمزاح :

لقد خلق الله الإنسان ليعبده ، ويعمر أرضه ، ويشغل حياته بما يجلب له النفع ، ويعيش الإنسان هذه الحياة في صراع مع الشيطان ، والشر ، فيسرد عليه ما يؤلمه ويحزنه ويقسي قلبه ، والترويح عن النفس ضروري لإزالة الكلال عن القلوب ومن أنواع الترويح المزاح والرحلات والمسابقات بأنواعها .

أما بالنسبة للمزاح في غير معصية فهو مباح وأبوجهبان لا يرفضه لأنه يقول

( الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس إليه بالمزاح وترك التعبس ) ( ٢ )

ولا يخفى على أحد أن ( رسول الله صلى الله عليه وسلم ) كان يعزج وكان لا يقول إلا حقا ، كما ثبت أن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يتمازحون ، ولا يسمرون في المزاح بأسا ، وكان مزاحهم أحيانا قوليا وأحيانا فعليا ( ٣ ) ، ومن مزاحه

( ١ ) ابن قدامة ، مختصر منهاج القاصدين ، ص ١٠٧ - ١١١

( ٢ ) روضة العقلاء ، ص ٦٢

( ٣ ) حسن أيوب ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ، ص ٤٥٧

صلى الله عليه وسلم ما أخرجه ابن حبان من حديث أنس رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم - كان له خادم يقال له أنجشة ، وكان حسن الصوت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ( يا أنجشة لا تكسر القوارير ) (١) قال قتادة : يعني ضعفة النساء .

والواجب على العاقل أن يستميل الناس إليه بالمزاح والطلاقة ، ويرى ابن حبان أن المزاح ضربان : محمود ومذموم . أما محمود : ( فهو الذي لا يشوبه ماكره الله - عز وجل - باثم ولا قطيعة رحم ) (٢) لأن كل شيء ليس في ذكر الله فهو لهو ومضيعة للوقت إلا ما كان في تأديب الفرس وملاعبة الأهل والولد ، وتعلم الرياضة من سباحة ورمية وسبق ، لما فيه من إعداد للجسم والعقل ، وخير دليل على ذلك ما جاء في حديث عقبة بن عامر - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال : ( كل شيء يلهو به ابن آدم فهو باطل إلا ثلاثاً : رميه عن قوسه - وتأديبه فرسه وملاعبته أهله ، فإنهم من الحق ) (٣) . وعلينا أن نشير إلى أن المدرسة يمكن أن توجه المتعلمين إلى نشاطات تروحية عديدة مثل : الرحلات العلمية والباريات الرياضية .

أما المزاح المذموم عند ابن حبان هو ( الذي يشير العداوة ، ويذهب البهاء ، ويقطع الصداقة ، ويجري الدنيء على مآزره ويحقد به الشريف ) (٤) والمزاح في غير طاعة الله يولد الأحقاد ، وهو الذي يوقع في المعصية ، ويؤدي

- 
- (١) روضة العقلاء ، ص ٦١ - وأخرجه البخاري ، أدب ١٠٨/٧ - مسلم ، فضائل (٢٣٢٣) ١٨١١/٤ ، ١٨١٢ ، والدائري ، استئذان (٢٧٠٤) ٢٠٧٢ وأحمد ١٠٧/٣ ، ١٨٧ ، ٢٢٧ ، ٢٥٤ ، روضة العقلاء ، ص ٦٢
- (٢) رواء الترمذي ، فضائل الجهاد (١٦٣٢) ١٧٤/٤ وقال بحسن صحيح - وابن ماجه / جهاد (٣٨١١) ٩٤٠/٢ ، والدائري ، جهاد (٢٤١٠) ١٢٤/٢ ، وأحمد ١٤٤/٤ ، ١٤٨ ، روضة العقلاء ، ص ٦٢
- (٣) روضة العقلاء ، ص ٦٢
- (٤) روضة العقلاء ، ص ٦٢

إلى الفرقة بين المتحابين ، ومنه ما يهيج المرء ، وعلى العاقل اجتنابـــــــــــــــــه  
لخدمة المرء في جميع الأحوال . (١)

فالترويح عن القلب لا بأس به ، على أن لا يكون صفة دائمة تلازم المرء ، وأن  
لا يطلق العنان في المزاح ، والعاقل ينتقى وسائل وأساليب الترفيه الجديدة  
التي لا ضرر منها ، ولا يمازح إلا من هو أهل لذلك ، فلا يمازح إلا أشكاله وأقرانه  
بما فيه الخير ، ويحتاج المدرس في الفصل إلى بعض المزاح لجذب انتباه التلاميذ ،  
فهو عامل على التركيز ، وحافز يحبب مادة الدرس إلى نفوس المتعلمين ، ويزيد  
في همتهم واجتهادهم ، فالترويح عن النفس ميدان يقع ضمن إطار العملية التربوية ،  
إنه ليس عطفة من الحياة ، بل هو طريق موصل إلى الأهداف التربوية التي تنشدها  
التربية . ولقد أدركت التربية الحديثة القيمة التربوية للترويح عن النفس الذي  
أكد على أهميته المربون المسلمون . فالترويح عن النفس يساعد المرء على  
أداء عمله ، ولذا فإننا لا نعتبر الترويح أمراً خارجاً عن العملية التربوية ، بل  
هو جزء لا يتجزأ منها .

---

(١) روضة العقلاء ، ص ٦٣



(هـ) خاتمة الفصل

-----

يعمل العقل السليم على تزيين حامله بجملة من الآداب الحميدة ،  
والمرؤات فيقوم بمهمة الإرشاد إلى التربية الفردية بدفعه العاقل للتعليم  
واختيار أفضل العلوم ، والتعمق في الدراسة والبحث لتسخير الكون لخدمة  
الإنسان ، ويحدد لنا مجموعة الآداب الإسلامية التي ينبغي أن يتصف بها  
العالم من الناحية الروحية فيما يمثل علاقته بالله - سبحانه - من تقوى الله  
والتوكل عليه والصبر له وه ، والصدق معه فيقر به من بارئه في كل لحظة من  
حياته فيجعله لا ينطق إلا بما يرضيه ، ولا يفعل إلا ما يرضيه ، ولا يحجم إلا عما  
يفضيه .

وكذلك من الناحية النفسية يحدد علاقات العالم بنفسه وتعامله معها  
بما يجلب له الحب والاحترام والتقدير من الآخرين ، وحسن المعاقبة في الأمور  
فيدفعه إلى حفظ اللسان عما يشينه والنطق بما يزينه ، ولا يستعمله إلا في  
الحق وما يؤدى إليه ، وكذلك يحليه بالرفق في أموره كلها والأناة وعدم العجلة  
وكذلك يزينه بالحلم عن الخلق ابتغاء وجه الله ، فينبذ إليه الغلظة وشينها  
في نظره ، وكذلك يشين له قسوة القلب ، يحثه على الحياة من الله ثم من الناس  
فيجعل منه قوة تمنع من ارتكاب قبائح الأعمال والأقوال ، والبذاءة والقحة منها ،  
ويزين له التواضع وتقدير النفس قدرها ، والقناعة بما رزق ، وحافظ عليه من  
المآثم والمعاصي والهروب والفرار إلى الله - سبحانه ، ويدفعه إلى المرح  
والتخفيف من النفس وعن الغير بأدب ولطف . فهو بهذا يسير بالمرء في  
درب الشريعة واتباع الأخلاق الفاضلة التي يحبها الله لعباده ، وهذه  
الآراء التي نادى بها ابن حبان ذات دلالات ترحمة هامة فهي تحمل الفكرة  
الإسلامية الصادقة والنظرة الصائبة ، في تكوين الفضائل الخلقية الفردية  
لنخرج بنظام فريد في تركيزه على مكارم الأخلاق التي تسمى بالمرء وتسير به

في طريق الكمال الإنساني والعقل هو المراقب على التزام التربية منهج الله  
والتمسك به ، وتحكيمه في عواطفنا وسلوكنا ، فإذا ما هدتنا عقولنا إلى العمل  
بما أنزل الله في مناهجنا وتربيتنا وتعليمنا وجب علينا شكر الخالق - سبحانه -  
على هذه النعمة التي وهبنا إياها .

ومن هنا تبدولنا بجلالة أهمية العقل في تحديد آداب العالم العاقل  
الخلقية في تربيته التربية الفردية بما يحبي نفسه ويوقظ روحه ويقوي رابطته  
بالمولى عز وجل ومنهجه سبحانه .

.. ..

# الفصل الرابع

مظاهر هيمنة العقل السليم في  
الجماعة عند ابن حبان

## ( أ ) مقدمة الفصل

إذا ما أردنا دراسة مظاهر هيمنة العقل السليم في الجماعة عند ابن خبّان البستي فلا بد لنا من دراسة دور العقل في تهذيب أخلاق الجماعة ، وفي ذلك ندرس بعض العادات السلوكية التي يقرها الإسلام ويوجه إليها العقل السليم مما يزيد في رباط المودة والإلفة بين أفراد المجتمع كتعلم الأدب ولزوم الفصاحة والتجيب إلى الناس ، والبشر والتبسم لهم ، والتناصح ، وكتم السر ، والكسـم . وكذلك فلا بد لنا من دراسة دور العقل السليم في تكوين العلاقات الخاصة من صداقة وأخوة وضبطها بضابط من أحكام الشرع .

ثم ينهـي دراسة بعض العادات السلوكية الضارة وأثر العقل في محاربتها . وكذلك الحديث عن المسؤولية ، وصفات المعلم السليم كما يراها بعض علماء المسلمين . وهذه في ذاتها من أهم ثمرات العقل إذ أنها تقيم المجتمع القسوي المترابط .

## ( ب ) دور العقل في تهذيب أخلاق الجماعة

للعقل دور فعال في سلوك الجماعات وتوجيهها نحو الأخذ بأسباب القوة والابتعاد عن عوامل الضعف والهلاك ، إذ أنه يدفع العاقل إلى سلوك سبيل الرشاد ، واتباع شرع الله في إقامة علاقاته بالناس - على أساس عوامل الاجتماع والتعاسك القائمة على الاعتصام بأحكام الإسلام - ومن الصفات الحميدة البستي تقوي الجماعة :

### ١- تعلم الأدب ولزوم الفصاحة :

إن من صفات الإنسان تبادل الآراء مع الآخرين ، وإنسانته لا تكتمل إلا من خلال ذلك ، وإنّ الأدب وفصاحة اللسان بحسنان الخلق ، وبهذهان الطبع ، يساعدان على حفظ النطق ، وترقيق المشاعر ، وللهاف الحسن . قال ابن خبّان : ( لا زينة أحسن من زينة الحسب ، كما أن من أجمل الجمال استعمال الأدب ، ولا حسن لمن لا أدب له ، ومن كان من أهل الأدب من لا حسب له ، يهـلـغ به أدبه مراتب أهل الأحساب ، لأن حسن الأدب خلف من الحسب . وليست الفصاحة إلا إصابة المعنى والقصد ، ولا البلاغة إلا تصحيح الأقسام ، واختصار الكلام . ومن أحمد الفصاحة الاقتدار عند البداهة ، والغزارة عند الإطالة ،

وأحسن البلاغة وضوح الدلالة وحسن الإشارة (١) . وللأدب في تعريف الأدباء معنيان عام وخاص :

المعنى العام : يشمل الثقافة العربية بما فيها علوم الدين واللغة .

أما المعنى الخاص : والذي يسمى بأدب اللغة - فهو ما أثر عن شعرائها وكتابها من بدائع القول المشتغل على الأخيلة الدقيقة وتصوير المعاني الرقيقة (٢) وساد هذا المفهوم في العصر الأموي وأوائل العصر العباسي ، وفيما بعد أصبحت لفظة أدب تطلق على كل قول أو فعل يهذب النفس ، ويرقق الحس ، ويقوم اللسان ، ويدفع الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح . (٣)

والفصاحة ثوب زينة للفصيح ، تميز بها الإنسان حيث قال تعالى : " الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ " الرحمن / ١ - ٤ . والفصيح ممن الألفاظ هو البين الظاهر ، لأنه مأثور الاستعمال ، والحسن . والألفاظ القبيحة ليست فصيحة (٤) كما يشترط في الفصاحة خلو الألفاظ من تنافر الحروف ، والغرابية ومخالفة القياس اللغوي ، وإن للأدب والفصاحة والبلاغة أهمية في تربية الذوق والحس الإنساني وفي الحديث الذي أخرجه ابن حبان عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( إن من البيان لسحرا ) (٥) وفي تفسير ابن حبان للحديث يرى أن النبي - صلى الله عليه وسلم -

- 
- (١) روضة العقلاء ص ١٩٧  
 (٢) أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي ص ٣  
 (٣) المرجع السابق ، ص ٨ وكذلك أحمد الحوفي ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ص ٨  
 (٤) عز الدين عتيق ، علم المعاني ص ١٣  
 (٥) روضة العقلاء ص ١٩٤ ، والبخاري ، نكاح ١٣٧/٦ - وسلم ، الجمعة (٨٦٩) ٢ / ٥٩٤ ، والترمذي ، بر (٢٠٢٨) ٣٧٦/٤ - وأبو داود ، أدب (٥٠١) ٣٠٣/٤ - ومالك ، كلام (٧) ٩٨٦/٢ - والدارمي ، صلاة (١٥٦٦) ٣٠٤/١ وأحمد ، ٢٦٩/١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢ ، ٣٩٧ ومواطن عدة .

قد شبه البيان بالسكر إذ أن الساهر يستميل قلوب الناظرين إليه بسحره وشعورته ، والفصيح يستميل قلوبهم بفصاحته ، ونظم كلامه فتتوق إليه الأنفس ، وترمقه الأعين ، إذ الفصاحة أحسن حلية يرتديها العاقل ، والأدب خير صاحب ومؤنس ، وهوزين في المحافل ، وزيادة في العقل ، ودليل على السروء ويرى ابن حبان أيضا أن تعلمه ينبغي أن يتم في الصغر ليعم نفعه كل مراحل حياة الإنسان ، إذ أن من لا يلحن في كلامه خير من يلحن ، وينبغي أن يكون البيان صدقا نابعا من عاطفة صادقة ومعبرا عن معاني صادقة ، لأن الهدف منه تذكية القلوب ، ومن هنا فلا يصح إهماله ، لما فيه من الانصياع إلى الفحش والبذاء ، ولا يصح التشدد والتفريق بالأدب ، وألا يتخذ عدة للمساراة ولا للمباراة ، بل ينبغي أن يتعلمه المرء ليقربه من بارئه سبحانه ، والكلام كالجواهر الثمينة ، وهو درجات ، وبعضه أفضل من بعض ، وأكثر الناس حاجة لتعلم الأدب ولزوم الفصاحة العلماء لكثرة اطلاعهم وقراءتهم للأحاديث والعلوم . ( ١ )

ولا بد للعاقل من السير في طريق الصالحين والبلغاء من الناس ، فإن كثرة الكلام يحاسب عليها الإنسان ، ورب كلمة أصعب من عمل العمر كله ، وحلاوة البيان مغرية للسامع ، وقد يكون في البيان منجاة من خطر ، فليتعاهد المرء منا نفسه بلزوم ما يرقق مشاعره صلين فؤاده ، وهذه هي دعوة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ربّه أن يلين قلبه ، بأن يجعله مرهف الحس يشعر بمن حوله . وتستفيد التربية من هذه الآراء بتعليم التلاميذ الأدب في دروس المطالعة وفي غيرها من المواد التي يمكن تقديمها بأسلوب أدبي يخاطب العاطفة ، لأن الأسلوب الأدبي أيسر وأسهل في الفهم ، لقربه من القلوب ولجذبه الانتباه ، كما أن في ذلك سبيلا للتخلص من الركاقة في الأسلوب واللحن فسي الحديث التي تسيء إلى المتكلم وتكون محلا للنقد من الآخرين .

من هنا كان لتعلم الأدب أثر كبير في تهذيب كلام المتعلم وتقويمه

لسانه ، وبالتالي يساعده على التصك بمكارم الأخلاق واليعدن رديثها .

## ٢- التحبب إلى الناس :

من السمات النبيلة التي يلتزمها العاقل التحبب إلى الناس ، لما لهذه الصفة من آثار في تقوية البنية الاجتماعية ، فالألفة والتقريب بين القلوب من مكارم الأخلاق التي شجعها الإسلام وحث العاقل على التزامها ، والتقرب إلى الخلق بلزوم حسن الخلق ، وترك سوءه ، لعافي ذلك من إذابة للخطايا ، والخلق السيء يضر بصاحبه ، ويفسد كل مابناء بأخلاقه الصالحة ، إذ هو بذراستجلاب البفض ، وفي حسن الخلق صيانة للعرض ، وفي سوءه هتك له ، وجلب للضغائن والعداوات التي تهوي بغا عليها في النار إلا أن يتغمد الله برحمته . (١)

قال ابن حبان : ( التحبب إلى الناس أسهل ما يكون وجها ، وأظهر بشرا ، وأخضر ما يكون أمرا ، وأرفق ما يكون نهيا ، وأحسن ما يكون خلقا ، وأليين ما يكون كنفا ، وأوسع ما يكون يدا ، وأرفع ما يكون أذى ، وأعظم ما يكون احتمالا ، فإذا كان المرء بهذا النعت لا يحزن من يحبه ، ولا يفرح من يحسده ، بل أن من جعل رضاه تبعاً لرضا الناس ، وعاشرهم من حيث هم ، استحق الكمال بالسوء ) (٢)

ونجد في إطلاق ابن حبان إتياع الرضا لرضا الناس - دون تخصيص أو تقييد ، لنوعية هؤلاء الناس لا يمكن أن يحقق الكمال بالسيادة ، إذ أن الناس فيهم المؤمن والكافر ، وما يرضي أحدهما لا يرضي الآخر ، كما أنه لا حاجة للمسلم في السيادة على غير المسلم ، بإرضائه إذ أنه لا يرضيه إلا ما وافق الهوى ، والهوى لا يوافق إلا ما يوافق الشيطان . . . فالأولى أن يحمل المسلم لإرضاء الله ، فإن أراد إرضاء الناس ، فليرض من كان رضاه فيما يرضي الله .

(١) روضة العقلاء ، ص ٥٠ - ٥١

(٢) المرجع السابق ، ص ٥١

من الصالحين المتقين لله .

ولقد أخرج ابن حبان من حديث ابن سمعون - رضي الله عنه - عمن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( يحرم على النار كل هين لين قريب سهل ) (١) إن أن على العاقل الاعتماد عن الخصال التي تجعل الناس يستثقلونه ، ولزوم ما يجعله محببا إليهم ، ومن أكثر الأمور جلبا للمودة البذل من المال ، وعلى المرء أيضا لزوم الإدارة لمن يعاشرهم من غير مدا هنة ، إن أن الإدارة صدقة والمدا هنة خطيئة . (٢)

والدائرة هي : أن يجعل المرء وقته في الرياضة لإصلاح الوقت من غير ثلم في الدين من جهة من الجهات ، بمعنى خفض الجناح للناس ، والرفق بالجاهل في تعليمه ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإفلاط عليه . بحيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، ولا سيما إذا احتيج إلى تأليفه ، وهي من أخلاق المؤمنين (٣) . وفيها أسلوب تربوي لطيف يمكننا استعماله في التعليم بأن نلين الجانب مع المتعلم لنستخرج منه الحسنة ونشجعه على اتباعه ، أو لتعديل سلوك غير ملائم ، ببذل ما نستطيع من الحوافز المادية والمعنوية لإصلاح دين المتعلم وخلقه ، وأمر معاشه ،

أما المدا هنة : فهي التخلق بخلق شابه بعض ماكره الله من المرء في خلقه ، وهي مأخوذة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه ، ومعاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من الفسق من غير إنكار عليه ، وبذل الدينار لإصلاح الدنيا . (٤)

والمدا هنة تعتبر نوعا من الغش والخيانة ، فإذا ما استشرت في النظام

(١) روضة العقلاء ص ٤٩ ، وزوائد ابن حبان ، بيوع (١٠٩٦) ص ٢٦٩ ،

والترمذي ، قيامة (٢٤٨٨) ٤/٦٥٤ ، وقال الترمذي : حسن غريب ، وأحمد ٤١٥/١ ، والنووي ، رياض الصالحين (٦٤٠) ص ٢٩٢

(٢) روضة العقلاء ، ص ٥٤ ، ٥٥ ،

(٣) المرجع السابق ص ٥٦ وكذلك : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري :

٤٠٣/١٠

(٤) ابن حجر ، فتح الباري : ٤٠٣/١٠ ، وكذلك : المحاسبي ، كتاب العلم : ٩٠



التعليمي بالذات هدمته ، وخرّجت عقولا جوفاء ، وهي تؤثر على المستوى العلمي إن أنهم يحسبون أنهم قد تعلموا وفي مراحل متقدمة من التعليم يكشفون أنهم طبول جوفاء لا يحملون من العلم إلا اسمه ، لذا فإنه يجدر بالمعلم إعادة النظر في برنامج تعامله مع تلاميذه وأن يكون صادقا في ذلك التعامل ، ولا يراعي إلا ما يرضي ضميره ، ويرضي ربه ، لأن في عنقه أمانة يسأل عنها في الدنيا والآخرة .

ولقد أخرج ابن حبان في فضل الإدارة حديثا عن جابر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - (مداواة الناس صدقة) (١) ، ويرى ابن حبان : أن العاقل في حاجة ماسة إلى استعمال الإدارة ، فمن عاشر الناس بدونها يكدر عيشه ، ولم تصف مودة الخلق له ، لأنهم جبلوا على حب من مد لهم يد العون مع أن من التصبر رضا الناس جميعا ، فقد التصب ما لا يدرك ، لكن الواجب التماس رضا من يعاشرهم ، ولو دفعه الأمر إلى استحسان بعض ما يكره من العادات لم يكن في ذلك مخالفة شرعية ، فإن ذلك من الإدارة ، إذ أن من لم يدار الناس ليس بحازم لأن عدم الإدارة مجلبة للبغض . (٢)

وفي وقتنا هذا نحتاج إلى استعمال الإدارة في التربية سواء في المدرسة أو في المسجد ، أو الشارع ، وفي أي مكان ، إذ أنها ضرورية لحل النزاعات التي تنشأ بين الإخوة لخلاف فقهي في أحد الفروع الاجتهادية ، ونجس المداوات قد تصل إلى حد الشجار والمراك ، والإسلام أمرنا بالمداواة وقد فعلها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ أن عدم استعمالها من الفحش والشر ، وهي تعطي دفعة قوية للمتعلم إذ أنها تقوي عزمه ، وتستحثة علسي

- 
- (١) روضة العقلاء ، ص ٥٥ ، وكذلك : زوائد ابن حبان ، بر (٢٠٧٥) ص ٥٠٦ والسخاوي ، المقاصد ص ٣٧٧ ، وصححه الزرقاني ، مختصر المقاصد (٩٢٧) ص ١٨١ ، وأبو نعيم ، الحلية ٢٤٦/٨ ، العجلوني ، الكشف ٢٨٠/٢ ، وابن السني ، عمل اليوم والليلة ص ٢٨ ، وضعفه الألباني ، ضعيف الجامع الصغير (٥٢٥٩) ١٣٣/٥ روضة العقلاء ص ٥٦ - ٥٨ (٢)

العمل والمثابرة ولقد تشبهت إليها التربية بعد خمسة عشر قرناً من مجيئ التربية الإسلامية بها فعمدت إلى التحفيز والتشجيع يشتي ألوان المحفزات ، والإغراءات .

٣- منع التهاجر بين المسلمين :

تقوم التربية الإسلامية بتطهير المجتمع من أسباب الفرقة والاختلاف ، ولذلك فهي تمنع التهاجر بين إخوان الدين الذين جمعتهم كلمة التوحيد على العبودية للواحد القهار سبحانه ، والعقل ينقي الفكر من الخواطر العدوانية ، ودواعي التفرقة ، ويميز بين الخير والشر فيستحث صاحبه على التماس أسباب القوة ، والألفة والمحبة ، بترك كل مامن شأنه إضعاف قوة وتماسك الجماعة وفي الحديث الذي أخرجه ابن حبان عن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( لا تباغضوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً ) (١) ويرى ابن حبان أيضاً أن في الحديث إلزام للعاقلة بعدم الدخول في جملة الهجج بهدم مابناء من الود لإخوانه ، ويفعل الهجران الذي ينهى عنه الدين الإسلامي ، إن على المرء الإغضاة عن الزلات وترك المناقشة على الهفوات ، ولا سيما إذا كان الأمر يحتمل الصدق والبطلان (٢) ، لأن من قدر أن يسلم من طعن الناس ويحبهم فهو مجنون (٣) ، ويرى ابن حبان أن من أسباب الهجران ما يلي :

١ - زلل أحد الأفراد وهدم إغضاة الآخرين عنه .

(١) روضة العقلاء ، ص ١٧٩ ، وأخرجه البخاري ، نكاح ١٣٧/٦ ، أدب ٨٨/٧ -

٩ - مسلم ، بر ٢٥٥٩/٤ (١٩٨٣) ، أبو داود ، أدب (٤٩١٠) ٢٧٨/٤ -

والترمذي ، بر (١٩٣٥) ٣٢٩/٤ ، وابن ماجه ، دها ٣٨٤٩/٢ (١٢٦٥) -

ومالك ، حسن الخلق (١٤ - ١٥) ٩٠٧/٢ ، وأحمد ، ٧٠٥٠٣/١ -

٢٧٧/٢ ، ٢٨٨ ، ٣١٢ ، ٣٤٢ ، ومواطن هدة .

(٢) روضة العقلاء ، ص ١٨١

(٣) ابن حزم ، الأخلاق والسير ص ١٧

- ب - الوشاية من بعض المفرضين .  
ج - ورود الملل من أحد الناس ، إذ أن القللة تورث القطع . (١)

ولقد نهى الإسلام الهجران بين المسلمين ، أما إن كان لابد حادثاً فلا ينبغي أن يزيد عن ثلاثة ليال ، فمن زاد فقد أثم بمخالفته الشرع ، ولقد ورد في الحديث عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان ، فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام (٢)

إن هذا النهي عن الهجران بين المسلمين يمنع من دوام أكثر من ثلاثة أيام كي لا تنفس القلوب وتتعود الجفاء ، ومن مات على هجران أخيه دخل النار ، وتورد أعمال المتهاجرين ، ولا ترفع مع أعمال العباد في الإثنين والخميس إذا زاداً عن العدة المسموح بها حتى يصطلحوا ، ويرى الغزالي أن هذا بالنسبة للهجران في أمر الدنيا ، أما ما يتعلق بالدين كهجران أهل البدع والمعاصي فأحسرى أن يدوم إلى أن يظهر رجوعهم وتوبتهم (٣) ويرى ابن حبان أن من هجر أخاه سنة فكانت سفك دمه ، ولا يحل الاقتراب من دواعي التنافس والتباغض والتحاسد والتدابر بين أفراد الأمة ، والواجب عليهم أن يكونوا إخواناً ، وأفضلهم من حافظ على علاقاته الاجتماعية قوية متينة ، فيشاركهم أحاسيسهم في السراء والضراء (٤) .

وتستفيد التربية من تعاليم الإسلام في منع التهاجر بتدعيم العلاقات داخل المدرسة ، وتقريب قلوب التلاميذ من بعض ، واستخدام الأسلوب اللين

- (١) روضة العقلاء ، ص ١٨٢  
(٢) البخاري ، أدب ٩٠/٧ ، ومسلم ، بر (٢٥٦٠ - ٢٥٦٢) ٤/١٩٨ ، وأبو داود ، أدب (٤٩١١) ٣/٢٧٨ ، الترمذي ، بر (١٩٣٢ - ١٩٣٥) ٤/٣٢٧ - ٣٢٩ ، وابن ماجه ، مقدمة (٤٦) ١/١٨ ، وأحمد ، ١٦٦/١ ، ١٨٢/٣ ، ١١٠/١٦٥ ، وغيرها .  
(٣) ابن قدامة ، مختصر منهاج القاصدين ص ١٠٢  
(٤) روضة العقلاء ، ص ١٨٠

في المعاملة . . فإنَّ عملية التعجب إلى التلاميذ تزيدهم رغبة في الدرس ، وتشجعهم على الاجتهاد . هذا وفي ذلك تنبيه إلى أنَّ التعليم في جماعة أفضل من الانفراد بالدرس الخصوصي ، لأنَّ عملية التطبيع الاجتماعي تحتاج إلى أن يحثك التلميذ الصغير بمن هم في سنه لسرعة تأثره بهم ، وأخذهم ، ومن هنا وجب على المدرسة العناية بمراقبة سلوك التلاميذ ، ومنع انتقال الرذائل إليهم .

ويمكن المدرسة القيام بالعديد من النشاطات الجماعية التي تقيم الألفة مثل الألعاب الجماعية ، والقيام بالرحلات ، وعمل الجمعيات المختلفة كجمعية الصحة المدرسية ، وجمعية النظام ، وجمعية البر وغيرها . وكذلك إشراك التلاميذ في حل الواجبات بتكليف كل مجموعة بتحضير جزء معين من المقرر ، أو القيام بنشاط معيّن واشترك في عرضه في المدرسة ، كل هذه الأمور ، وما شابهها تقيم الألفة والمودة وتشجع العمل الجماعي ، وتضع التهاجر بين التلاميذ .

#### ٤- البشر والتبسم للناس :

من خلال توجيهات العقل الناضج للعاقل بالتعجب إلى الناس ، ليقسي على صلتهم ، ومنع أسباب التهاجر بينهم ، ليدعم بذلك أساس البناء الحضاري القوي للمجتمع ، يربط أفراد الجماعة المسلمة برباط المنعة ، فإننا نجد بوجهنا إلى التزام أوامر الإسلام في ذلك ، ومن خير الآداب التي يحثنا على التأدب بها: البشر والتبسم ، وطرح السلام على الناس . قال ابن حبان : ( البشاشة إدام العلماء ، وسجية الحكماء ، لأنَّ البشريط في نار المعاندة ، ويحرق هيجان المباغضة وفيه تحصين من الباطي ، ومنجاة من الساعي ، ومن يستش للناس وجها - لم يكن عندهم بدون البازل لهم ما يملك ) ( ١ ) فالإسلام يطلب

من المسلم أن يُحسن مجالسة الناس ، والتلطف في معاملتهم ومحادثتهم فيتجنب التعسير ، والتنفير ، والمشاقة في الحديث ، والجدال فيه ، ويحرص على البشاشة وطيب الكلمة (١) لأن في ذلك تدعيمًا لصلة الأفراد ببعض ، ولقد وصف الله سبحانه سيدنا محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بأنه كان بشا حسن السمات فقال تعالى : " وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ " آل عمران / ١٥٩ . ومن هنا كان المسلم مطالبًا بجلب السرور على الآخرين بالكلمة الحسنة ، ومقابلتهم بوجه طليق ، وكل ذلك اعتبره الإسلام صدقة من المسلم لإخوانه وأدنى ما يفعله المرء لهم ضرح السلام على من عرف ومن لم يعرفه وفي الحديث الذي أخرجه ابن حبان عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى عليه وسلم : ( إِنَّ السَّلامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَضَعَهُ فِي الْأَرْضِ ، فَاَفْشَوْهُ بَيْنَكُمْ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ إِذَا مَرَّ بِالْقَوْمِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلٌ دَرَجَةً بِتَذْكِيرِهِ إِيَّاهُمْ بِالسَّلامِ ، فَإِنْ لَمْ يَرِدْوا عَلَيْهِ رَدُّوا عَلَيْهِ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَأَطْيَبُ ) (٢) والمراد بمن هم خير وأطيب ، الملائكة ، وهذا أمر بإفشاء السلام ، والبشور للمسلمين وعلى العاقل التزامه مع العام والخاص ، لأن من سلم على عشرة كان له عتق رقبة ، والسلام يذهب الشحنا والبغضا ، ويقطع الهجران ، والبهادي .

بالسلام أفضل عند الله من المسلم عليه بدرجة ، ولأن الملائكة ترد عليه إن غفل المسلم عنهم الرد ، وعلى العاقل أن يصحب سلامه بالابتسامة لأن من فعل ذلك تحاتت عنه خطاياها وأحبّه الناس . (٣)

- (١) حسن أيوب ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ص ٤١٩
- (٢) روضة العقلاء ص ٥٩ ، والحديث أخرجه البخاري في ، الأدب المفرد ص ١٥٢ ، وللحديث روايات كثيرة إلا أنه لم يصح منها إلا طريق ابن حبان : عن ابن مسعود . . ينظر تعليق عبد الرحمن المعلمي اليماني على الفوائد المجموعة للشوكاني ص ٢٢٧ ورواه المنذري في ، الترغيب والترهيب ٢٦٧/٣ - ٢٦٨ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٤) ١٤٨/١ - ١٤٩
- (٣) روضة العقلاء ص ٥٩ - ٦٠

ويمكن التربية في العصر الحديث الاستفادة من هذا المبدأ في ضرورة البشر والتبسم ، وأن يعم المدرسة بجميع أفرادها ، بحيث يجعل من مجتمع المدرسة مجتمعا مرغوبا فيه ، ومحبا لدى الطلاب . . . إذ أن على المعلم التزام البشر والتبسم لتلاميذه في الفصل وخارجه وخصوصا في المراحل الأولى للتعليم .

كما أن على المدرسة تأكيد مبدأ البشر ، وتبادل التحية بين التلاميذ ببذل السلام . . . وتشجيع التلاميذ على إفشاءه وعلى المدرسة أن تفهم التلاميذ أنه أمر ضروري وواجب على المسلم تجاه أخيه المسلم . فالبيئة المدرسية ملزمة بأن تعكس صورة واضحة وبقية للتعالم الخلقية الإسلامية لما فيها من الخير والنفع ، فمن المعلوم أن البشر والتبسم من المعلم والمدير والمعلماء في الفصل وتبادل التحية يدعم الرغبة الأكيدة لدى التلميذ في التعلم ، ويؤكد لماعيتها ، ويساعد في تكوين جيل منتج ، مفكر ، حر ، مستقل .

#### ٥- النصح لجميع المسلمين :

النصيحة بمعنى إخلاص المحبة ، وصدق المودة ، وصحة الاعتقاد ، والتناصح هو تبادل الإرشاد إلى الخير ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر وهو من أقوى الدعامات التي يقوم عليها أساس الدين ، وصلاح الأمة وفيها يظهر حرص الأفراد على قوة البناء الاجتماعي ، وعلى الخلق الإنساني من الانحراف ، ويرى ابن حبان أن هذا السلوك واجب على العاقل لجميع المسلمين إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم - كان يشترط على من بايعه من المسلمين . ( ١ ) والمراء يحصر على سعادة من يحبه وبالتالي ينصحه - والنصيحة تتعدى النطاق الفردي فتشمل نصيحة كافة الخلق وذلك ( بأن تتحرى مصلحتهم في جميع أمورهم بقدر وسعك ) ( ٢ ) والنصيحة من أقوى أسباب الصلاح ، والاستقامة التي بها تتم سعادة الناس فسي

( ١ ) روضة العقلاء ص ١٢٠

( ٢ ) الأصفهاني ، الذريعة ص ١٥٠

الدارين ، إذ أن الكثير من الناس يأتي المنكر بجهالة ، ويففل عن ذكر ربّه ،  
ودينه ، والنصيحة تعلّم الجاهل ، وتنه الغافل ، وتذكر الناسي ، وتحذر  
السعاصي ، وإن من يرى أخاه ينزلق في مهاوي الفسق والعصيان ، هلتهم  
لهيب الهوى والشهوات ، ولا يحاول إنقاذه ما هو فيه لأعظم جرما من لا يغيث  
الغريق ، ألا يدل الأعشى إلى سواء الطريق (١) وباستعمال التناصح  
وصف الله الأمة الإسلامية بالخيرية حيث قال : " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ،  
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ " آل عمران / ١١٠ . وأنكر  
على الذين لا يتناصحون بينهم فقال تعالى : " لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي  
إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا  
لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مَنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ " المائدة ٧٨ - ٧٩ . وأخرج  
ابن حبان من حديث تميم الداري - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم :- ( الدين النصيحة . قيل لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ،  
ولرسوله ، ولأئمة الناس وعامتهم ) (٢) . والنصيحة بأن لا يترك الناصح للمنصوح  
باب خير ، ولا سبب فلاح إلا بهيئة ، والنصيحة لله - بمعنى الإيمان به ، والتصديق  
بكتابه ، والإيمان بجميع ما جاء به رسوله ، وطاعته .

والنصيحة لأئمة المسلمين : بمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيسببه ،  
وتوجيههم إليه ، والدعاء لهم ، بالصلاح أما النصيحة لعامة المسلمين بإرشادهم  
لما فيه صلاح دنياهم وآخرتهم ، وكف الأذى عنهم ، وستر عوراتهم ، وقضاء  
حوائجهم ، ودفع المضار عنهم ، وجلب المنافع لهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم  
عن المنكر برفق ، ومساعدتهم واحترامهم والمحافظة عليهم (٣) ويرى ابن حبان  
أن خير الإخوان أكثرهم نصحا لأخيه ، وضرب الناصح أحسن من تحميلة

(١) نعمت صديقي ، من نعمة القرآن ص ١٤٧ - ١٦٣

(٢) روضة العقلاء ص ١٧٠ ، والبخاري ، إيمان ٤٣/١ ، وسلم ، إيمان (٥٥)

(٣) ٧٤/١ ، وأبو داود ، أدب (٤٩٤٤) ٤/٣٩٢ - والنسائي ، بيعة (٦)

١٢٦/٧ ، والترمذي ، بر (١٩٩٠) ٣/٢١٧ ، وقال : حسن صحيح .

(٣) حسن أيوب ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ص ٣٦٤ ، ٣٦٦

الشيء (١) . ولقد قيل للحسن البصري ، كيف نصح بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير ؟ ! فقال : والله لأن تصحب أقواما يخوفونك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب أقواما يوءنونك حتى يلحقك الخوف (٢) . ويرى ابن حبان أن على العاقل النصح لمن يقبل منه ، وبالتالي لا ينصح المعجب برأيه ، إن أنه في الغالب لا يقبل نصيحة أحد ، وإذا نصح فلينصح سرا لأن - في النصح علانية قد يلحق بالآخرين الإحراج والأذى ، وإبلاغ المقصود للمسلم فيما يزينه أخرى من القصد فيما يشينه والنصيحة سرا تقيم الألفة ، وتؤدي حق الأخوة ، وعلى العاقل تجنب نصائح الأعداء في السر والعلن (٣) ومن نصح أمرا فلا ينتظر منه جزاء ولا قبولاً ، إن أن العاقل لا ينصح على شرط القبول ، ولا يشفع على شرط الإجابة ، ولا يهيب على شرط الإثابة ، بل على سبيل الفضل وتأدية ما عليه من حق النصح نحو المسلمين (٤) ، وهذا لا يعارض ما ذهب إليه ابن حبان بأن لا ينصح إلا لمن يقبل منه ، لأن المقصود مع عدم انتظار القبول وضع الشيء في مكانه المناسب . وحد النصيحة أن يسوء العرء ماضى الآخرين سواء ساءهم أم لم يسوءهم ، وأن يسوء ما ينفعهم سواء سرهم ذلك أو ساءهم (٥) . . . إن أن في ذلك شعورا بالمسئولية وحرصا على سلامة البنية الاجتماعية .

وفي هذا الموضوع غائدة تربية كبيرة ، وإن يمكننا عن طريقها التقدم بنظام التربية خطوات إلى الأمام بحيث إن العلاقة التربوية القائمة على التفاهم والتناصح

(١) روضة العقلاء ص ١٧١

(٢) أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ١٥٠/٢

(٣) روضة العقلاء ص ١٧٢

(٤) ابن حزم ، الأخلاق والسيرة ص ٤٢

(٥) نفس الموضع .



تعتبر من ثقتنا بأنفسنا ، وحرصنا على العمل الجاد والقائم على التعاون والتحاب .  
فعلى المعلم أن ينصح المتعلم فيوجهه إلى العلم الذي يبدأ بتعلمه ، ويعلمه  
كيف يذاكر ، ويبين له الكتب التي يمكنه فهمها بسرعة أكبر من غيرها ، ويوضحه  
إلى الأمور التي تعينه على الحفظ والفهم ، وطرق المذاكرة ، وأفضل الأوقات لها ،  
ويبعده عن الأمور التي تؤثر على تحصيله وتضعفه ، وكذا لكي ينصحه بالبعد عن كل ما يضر

بأخلاقه ويبعده عن الخلافات التي تشتت ذهنه فينصح له برفق ولين ، بطريقة  
التلميح في البداية ( ١ ) . لأن في نصح المعلم للمتعلم فائدة عظيمة . فالمعلم  
عند ما يقدم النصيحة لأحد التلاميذ فإنه يشعره بنوع من الثقة في نفسه ، والحب  
للمعلم ، ويزيد من ضابط الاحترام ، ولهذا المعلم ، ويكون أكثر قابلية لنصائحه  
وفي النصيحة شحنات دافعه لمجلة التعلم إذ تعمل على ترسيخ وتقوية شخصية  
المعلم ، وتجعل من سلوكه أكثر قبولا لدى تلاميذه ، وتتمكن نظام الإدارة المدرسية  
من السير بوضوح ، وقوة أكثر فعاليتها من أساليب الإدارة الأخرى .

## ٦- كتم السر :

لقد أمرنا الإسلام بالحفاظ على الأمانه ، وحذرنا من تضييعها ، والسر نوع  
من الأمانات يوده صاحبه غيره ، والإنسان العاقل يأبى الانزلاق في مزالق  
الشیطان ، والبؤس بسخط الله بإضاعة ما أئتمن عليه فيفشي السر ، إذ أن كتمان  
فيه خير كثير ، وستر ، وحفظ للنفس من الهلكة ، وربما للمجتمع كله ، وإفشاء  
السر من الخيانة ، والخائن لا حياة له في المجتمع المسلم ، وهو ينخر في بنائه  
المجتمع إلى أن يضعف ، وسقط . ولقد أخرج ابن حبان من حديث أبي هريرة  
- رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ( استعينوا

---

( ١ ) حسن أيوب ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ص ٤٥١ - ٤٥٢

على قضاء حوائجكم بكتمان السر ، فإن لكل نعمة حاسدا (١) والواجب على العاقل ترك إبداء ما كنتم في فؤاده فلا يخرج به إلى أحد من الناس مهما كان ، فربما تتغير الأحوال وتحدث القطيعة بينه وبين من ائتمنه على سره ، فيخرج من وفائه إلى جفائه بإبداء مكنونه ، والكشف عن مخبئاته ، ومن حصن سره بكنهه تسم له تدبيره ، وظفر بما يريد ، وسلم من العيب والضرر ، وإن لم يظفر بمراده ، والحازم يجعل سره في وعاء ويكنه عن كل مستودع ، فإذا اضطر إلى إفشائه أودعه العاقل الناصح له ، وهذه الأمانة وعاءها القلب ، فمن القلوب ما يضيق بما يودع ، ومنها ما يتسع ، وكثرة إبداء الأسرار للناس عجز ، ومن كتم سرا عن عدوه ، فلا يجب أن يظهره حتى لصديقه ، وكفى بالعاقل عبرا ماجرب ، ومن استكنتم سرا فليكنتم ، ولا يكن متهاكا ، ولا مشياعا ، والسر سمي كذلك لانه لا يفشى ، والعاقل يتسع صدره لسره فلا يطلع عليه أحدا ، والحزم يكون بإحالة الرأي ، إذ به يتم الظفر ، وبكنم السر يكون الرأي ، وبه تكون خيرة المرء في يده ، ومن أودع الناس سره هان عليهم فاذاعوه ، وندم في النهاية . (٢)

هذا خلاصة ما قاله ابن حبان في كتم السر ، ونجد أن الراغب الأصفهاني

قسم السر إلى قسمين :

- ١- ما يلقي به المرء من حديث يستكنم إما لفظا كقولك لصديقك: اكتم ، أو حالا بانفرادك به ، أو بخفض الصوت لإخفائه عن الجلوس ، وكتمان السر في هذه الحالة من الوفاء .

(١) روضة العقلاء ، ص ١٦٤ ، وقال ابن حبان : إسناد حسن وطريقه قريب . وروايته كلها ضعيفة ينظر : السخاوي ، المقاصد الحسنة ص ٦٥ ، والعجلوني ، كشف الخفاء ١٣٥/١ ، والسيوطي ، اللآلئ ٨١/٢ = ٨٢ ، وأبو نعيم ، حلية الأولياء ٢١٥/٥ ، ٩٦/٦ ، الفتحي ، تذكرة الموضوعات ص ٢٠٥ والشوكاني ، الفوائد ص ٧٠ ، ٢٦١ ، وضعفه ابن النجاشي ، التمهيد ص ٢٢ - وضعفه الزرقاني ، ص ٥٦ وقال الألباني : رواية ابن حبان جيدة إلا إسناد الحديث صحيح من هذا الطريق . . ينظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٤٥٣) ٤٣٨/٣ - ٤٣٩ وصحيح الجامع الصغير (١٩٥٦) ٢٢٠/١

(٢) روضة العقلاء ص ١٦٤ - ١٦٧ .

٢- أن يكون حديثك في نفسك مستقيح إشاعته. أو شيئاً تريد فعله ، وكتمان هذا السر من الحزم والاحتياط وهو أخص بأهل السياسات وإذا احتال سر من قلة الصبر وضيق الصدر ، وهو من صفات ضعفة الرجال والنساء والصبيان والمعيد . (١)

هذا يمكننا الإفادة من هذه الفضيلة في التربية إذ أنها تعود النشء الصبر والمحافظة على الأمانة وعدم الخيانة ، ومن ثم قد تحدث بعض المواقف المحرجة لبعض التلاميذ في المدرسة فالمحفاظ عليها بكتمتها يعتبر دافعاً للمسيء إلى أن يعدل عن خطئه ويعزز الثقة بنفسه وبالتالي تقوى العلاقات بين أفراد المدرسة .

والمعلم بحكم وظيفته ككرب ومصلح اجتماعي يقوم بدور الأب في البيت والطبيب في العيادة فإنه يطلع على بعض الأسرار خاصة عندما يعرض عليه الطلاب مشكلاتهم الخاصة ، وواجبه في مثل هذه الحالات كتمان ذلك والتعطف عليه ، وعدم جعله مادة لأحاديثه ، لأن في إفشاء ما استكنتم به من أسرار التلاميذ هتك لاستارهم ، وإشاعة للمفاسد ، إذ أن هذا الأمر له تأثير قوي على عملية التعلم ففي حالة محافظة المعلم على أسرار أبنائه من التلاميذ يعيد إليهم الثقة بأنفسهم ويهتقون عليهم مصائبهم ويساعدونهم في التغلب عليها بالجد والاجتهاد والشابرة كما يدفعهم إلى أن يتعلموا منه كتمان أسرار الناس ، ويساعدتهم في حل مشكلاتهم بدون إزعاجهم بما يجلب الضرر والمضايقة لهم . وعلى الصعيد الآخر فإننا نجد أن إفشاء المعلم لما استكنتم تلاميذه يفقدونهم الثقة به ، وبالتالي يفقدونهم الثقة بأنفسهم ، ويغضب إليهم المدرسة والتعلم ، وهذا الأمر من الخطورة بحكم لعافيه من تأثير التلاميذ بهذا الجانب السلبي من السلوك الضار ، والانطواء على أنفسهم ، والشعور باليأس ، ومن ثم يؤول بهم الحال إلى العجز والفشل .

٧- إباحة جمع المال بالطرق المشروعة لمن يؤدي حقه :

يعتبر المال أساساً من أساسيات الحياة في المجتمع ، به تستطيع الأمة الرقي والتقدم ، وجلب وسائل الراحة ، وبه ندافع عن الأمة وكيانها ، والحاجة إليه ضرورية ، وهو نافع في إظهار الحق والفضيلة . يرى ابن حبان أن من أسعد الناس من كان في غناه غنياً ، وقنوعاً بما رزق ، إذ أن الفقر عدو للحياة ، ومذهب للعقل والعروة والأدب ، وهو موميء إلى الكفر ، وكثرة الهم والمهانة ، بينما الفنى مدعاة إلى المهابة (١) ووجوه جمع المال عند الشريف محدودة ، أما الوضع فلا يبالي من أين جمعه . كما أنه لا ينبغي صرف المال على المنكرات والشبهات (٢) .  
والمال لا يذم لذاته أو يمدح لذاته ، بل يقع كل من المدح أو الذم لمعنى من الآدمي ، وذلك المعنى إما لشدة الحرص عليه ، أو تناوله من غير حله ، أو حبسه عن حقه ، أو إخراجه في غير وجهه ، أو المناظرة به قال تعالى : " وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ " البقرة / ١٨٨ ، وكذلك قوله تعالى : " إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ " الأنفال / ٢٨ ، وهذا نهى عن جمع المال من غير وجه الحلال ، ونهى عن صرفه في غير حله ، وإنذار بأن هذا المال يكون فتنة ، وحاصل الأمر أنه مثل الحياة منها سم وترياق ، فتريقه فوائده ، وغوائله سم ، فمن عرف فوائده وغوائله أمكنه أن يحتزز من شره ، ويستدر من خيره (٣) . ولقد أخرج ابن حبان من حديث عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :  
(يا عمرو نعم المال الصالح للعبد الصالح) (٤) . يرى ابن حبان أن هذا

(١) روضة العقلاء ص ٢٠١

(٢) ابن مسكويه ، تهذيب الأخلاق ص ٩١ - ٩٢

(٣) ابن قدامة ، مختصر منهاج القاصدين ص ٢٠٣ - ٢٠٥

(٤) روضة العقلاء ص ١٩٩ - زوائد ابن حبان / مجموع (١٠٨٩) ص ٢٦٨ - أحمد

١٩٧/٤ - ٢٠٢ والعجلوني ، كشف الخفا ٤٤٢/٢

النص يصرح بإباحة جمع المال من حيث يجب ، ويحل للقائم فيه بحقوقه لأن في تقريره  
الصلاح بالمال والرجل معا بيانا واضحا لأنه أباح جمع المال بالحلال ، والقيام  
بحقوق الله فيه (١) والعاقل لا يأخذ المال إلا كما يجب ، من الوجه الذي  
يجب ، وفي الوقت الذي يجب ، والإنسان حين يفارق الدنيا لم يصحب معه  
إلا تقوى الله والعمل الصالح ، فالواجب على العاقل على حد تعبير ابن حبان  
اغتنام فترة الشباب فيعمل فيها بما ينفعه في كبره بما يصلح دينه ودينه ،  
ويتماهد ماله بما يصلح معاشه ، فيصون به نفسه ودينه ، ويتزود منه لآخرته  
بالاستعانة به على الطاعات ، إذ الفقر خير من الغنى بالحرام ، وأن كل ما يمدح  
به الغنى يعاب به الفقير (٢) ولا خير في الدنيا ما لم تستغل في الإعداد للآخرة  
وشر متاعها المال المكتسب من طرق محرمة ، والمنفق في مصارف السوء ، ووجود  
المال وعدمه لا يكونان بالإسك أو بالحيلة ، ولكنه أقسام ومواهب من الله .  
واستثمار المال قوام المعاش ، والعاقل يصلح ماله ، ولا يعتمد على ما عنده من  
نعم والتالي يهمل في أدائه حقوقها لأن في ذلك إساءة تصرف ربما تؤدي إلى السوء  
سلب هذه النعم عنه ، والمال الذي يبخل به عن إقامة المروءات وفعل الخير ،  
لا فائدة منه إذ يلحق بالمرء خسارة الدارين ، لأن ماله الموت ، فلا ينتفع حينها  
بالمال وقد يرثه من لا يحمد عليه . (٣) .

ونحن في هذا العصر نعيش حياة تغطي فيها القيم المادية ، فتقتاس  
الأمر بقدر ما تحققه من المنفعة المادية ، والمدرسة مطالبة بفرض الاتجاهات  
الطبية التي فيها ما يتعلق بالمال ، وطرق الحصول عليه وجميعه بما لا يخالف  
شرع الله ، وكذلك إنفاقه في مصارف الخير التي حث عليها القرآن الكريم في قوله

- 
- (١) روضة العقلاء ، ص ١٩٩  
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٠ - ٢٠٢  
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨

تعالى \* وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ، وَلِذِي الْقُرْبَى ، وَلِيتَامَى  
وَالْمَسَاكِينِ ، وَابْنِ السَّبِيلِ . . . \* الآية الأنفال / ٤١ . وكذلك في المصارف  
التي وردت في قوله تعالى : \* إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ،  
وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ، وَفِي الرِّقَابِ ، وَالْفَارِسِينَ ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ . .  
الآية / التوبة / ٦٠ بالإضافة إلى ما ينفع المرء من أمور معاشه .

والمال عنصر ضروري للعملية التربوية لما فيه من تأليف لقلوب البعض وتقريبهم  
إلى الله ودينه ، والعملية التربوية في حاجة إلى نفقات من المال لسد ميزانية  
احتياجاتها . إذ أن المال تشتري الأرض التي تقيم عليها مؤسسات التربية ،  
ونشيد هذه المؤسسات ومنه تدفع رواتب الموظفين ، ونشتري الكتب ، ونمـسـول  
الدراسات ، والأبحاث المختلفة ، ووجود المال لدى المتعلم يمكنه من الترنسج  
عن بذل النفس وإضاعة الحياء ، ويجعل من المعلم لا يتخذ هداً رئيسياً لعمله . .  
وهو وسيلة لتقوية العلاقات بين أفراد المجتمع ونشر التعاون والترابط والتكافل بينهم ،  
ويمكن المدرسة استغلال ذلك في افتتاح مشروعات طلابية تعاونية داخل  
المدرسة ، وكذلك تشجيع إقامة الجمعيات الخيرية بين أفرادها .

#### ٨- الكرم وإقامة المروءات :

الكرم هو البذل والعطاء ما تملك النفس من أمور الخير ، وخاصة المال ،  
والجاء . . وغيرها والكرم والمروء من جوامع أخلاق الإسلام وآدابه ، ومن أعمدة  
البناء الاجتماعي الإنساني وهذه الصفة تنزع المحبة في القلوب وترسخها ،  
وأكرم الناس أئقاهم كما ورد في الحديث الذي أخرجه ابن حبان عن أبي هريرة  
- رضي الله عنه - قال : ( قيل يا رسول الله - أي الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم  
عند الله أئقاهم ، قالوا : ليس عن هذا نسألك - قال : فعن معادن المسرب  
تسألونني ؟ قالوا : نعم . قال : خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذ  
فقهوا ) (١) . ويرى ابن حبان أن الكرم ليس بالحقود ولا الشامت

(١) روضة العقلاء ص ١٤٩ ، والبخاري ، أنبياء ١١١ / ٤ ، وسلم ، فضائل

(٢٥٢٦) ١٨٤٦ / ٤ وأحمد ، ١٠١ / ٤ وابن عبد البر ، جامع بيان العلم ،

٢٢ / ١ ، والخطيب البغدادي ، الفقيه والمتفقه ٩ / ١ .

ولا الباغي ، أو الساهي أو اللاهي ، أو الفاجر ، أو الفخور والكاذب ، أو اللول  
وليس بالذي يقطع إلفه ، أو يؤذي إخوانه ، أو يضيّع الوداد ، بل الكريم الذي  
يمطي من لا يرجو ، ويؤمن من لا يخاف ، ويعفو عن قدرة ، ويصل عن قطيعة ،  
ويشكر عندما يعطى ، ويعذر عندما يمنع ، ويعطي من سأل ، ويتدي من لسم  
يسأله ، ويرحم الضعفاء ، والكرم أفضل زاد الدنيا ، ومن أعظم ما يدر للآخررة ،  
وهو طبع ربه الله في الإنسان وقد يكون والد أكرم من ابنه أو أن الابن أكرم من أبيه ،  
وبالكرم تحسن السمعة ، وتتم الإلفة ، والمحبة ، وهو يحفظ الكريم من أذى اللئام  
ويجلب له صحة العقلاء والكرام ( ١ ) والكرم والعروة بمعنى الدين فالعقل كما  
ورد في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - الذي أخرجه ابن حبان - قال  
النبي - صلى الله عليه وسلم - ( كرم الرجل دينه ، ومروته عقله ، وحسبه خلقه ) ( ٢ )  
ويرى ابن حبان أن في الحديث تصريح بأن العروة هي العقل الذي سبق وأن عرّفه  
بأنه اسم يقع على العلم بسلوك الصواب ، واجتناب الخطأ ، وعلى العاقل لزوم  
إقامة العروة بما استطاع من الخصال الحمودة ، وترك المذمومة إذ أنه من  
العيب التفاخر بما كان عليه الأجداد دون الاقتداء بهم ، ولقد اختلف الناس في  
العروة ، وذكر ابن حبان أكثر من عشرين تعريفا لها . ( ٣ ) وقال عقب التعريفات  
التي ذكرها : ( اختلفت أفاضهم - العلماء - في كيفية العروة ، ومعانيها  
ما قالوا قرينة بعضها من بعض ، والعروة هندی خصلتان اجتنب ما يكره الله  
والمسلمون من الفعال واستعمال ما يجب الله والمسلمون من الخصال ) ( ٤ )

- ( ١ ) روضة العقلاء ص ١٥٠ - ١٥١  
( ٢ ) المرجع السابق ص ٢٤ ، وزوائد ابن حبان ، أدب ( ٩٢٨ ) ص ٤٧٦ ، وأحمد  
٣٦٥ / ٢ والخرائطي ، مكارم الأخلاق ص ٥ ، الزرقاني ، مختصر المقاصد  
الحسنة ص ١٥٦ ، وقال وارد وابن الديبع ، التميز ص ١٣٦ ، وقال :  
حديث مرفوع والسخاوي ، المقاصد الحسنة ص ٣١٥ ، المجلوني ، كشف  
الخفاء ١٦١ / ٢  
( ٣ ) روضة العقلاء ص ٢٠٦ ، ٢٠٧  
( ٤ ) المرجع السابق ص ٢٠٧

وهذا التعريف استنتجه ابن حبان من تعريفه للعقل ، ومن تعريفات لعلماء  
للمروءة ، ونجد منه أن المروءة ، اسم جامع لإتيان . . الآداب المحمودة التي  
جاء بها الشرع ، واجتناب الصفات الذميمة التي نهانا عنها ، وعلى العاقل أن يتجنب  
ما يحقره عند العوام حتى لا يثلم مروءته ، إذ أن المحقرات ضد المروءات ، وهي  
تؤدي في الحال وتقلل من محاسن المروءة . ( ١ )

والتربية - إذا تبنت فكر ابن حبان فإنها تستطيع أن تنفذ إلى نظام أخلاقي  
دقيق قوامه أحكام الشريعة والتربية الإسلامية حريصة على تهذيب الأخلاق ،  
وتكوين إنسان فاضل صالح في كل سلوكه ، والكرم وإقامة المروءات لا تقتصر على بذل  
المال ، بل على كل أفعال الخير ، ومحاسن الآداب التي تهدف التربية إلى  
إعداد الإنسان وفقها ، وبإمكاننا باستخدامها وممارستها في سلوكنا أن نبني  
مجتمعا فاضلا لا مثيل له . ويشتمل موضوع الكرم والمروءة على آداب تندرج تحتها  
وسوف نناقش كلا منها في الصفحات التالية :

#### أ - السخاء ومجانبة البخل :

السخاء هيئة داعية إلى بذل العقنيات للمحتاج ، وسخاء الله : إعطاؤه  
وتكرمه على العباد بالنعم ، ومن السخاء الإحسان إلى الأقارب ، وهو خلق  
من الأخلاق الرفيعة ، وإلّا يثار على النفس أعلى درجاته ، واتصف به رسول الله  
صلى الله عليه وسلم - يرى ابن حبان أن العاقل ما دام يعلم بفناء الحيلة  
الدنيا وانقلابها إلى غيره ، وأنه لا ينتفع من عمله إلا بما أراد به وجه الله ،  
فإنه ينبغي له أن يبلغ مجهوده في أداء الحقوق في ماله والقيام بالواجب في  
أسبابه ، ابتغاء ما يثاب به من الثواب في أخراه ، والذكر الحسن في الدنيا ،  
إذ أنه محمداً ، وجالب للمحبة ، ولاخير في المال إلا معه ، لأن البخل مذمة  
وجلب للبغض ، وأجود الجود بذل المال ، وصون النفس من مال الغير ،



والجود مؤداه السعادة والسيادة ، وصيانة العرض ، وأفضله ما خلا من العنة التي تذهب الثواب . ( ١ ) واستدل ابن حبان بالحديث الذي رواه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ( السخي قريب من الله قريب من الناس ، والبخل بعيد من الله بعيد من الناس ، والسخي جاهل أحب إلى الله من بخل عابد ) ( ٢ ) ويرى أن أصل الجود ترك الضنّ بالحقوق عن أهلها . إذ لا تنفع الروة بغير تواضع ، ولا المال من غير جود ، وأن الإنفاق أساس المحمدة ، إذ أن البخل شجرة في النار أغصانها فسي الدنيا ، ومن تعلق بأحد أغصانها أو صله إلى النار ، والجود شجرة في الجنة أغصانها في الدنيا ، فمن تعلق بفصل منها أدخله الجنة دار الأسخياء التي قطع اللعلى نفسه عهداً لا يجاوره فيها بخل ، ويرى ابن حبان أن الناس بالنسبة للبخل على درجات فأول ما يبدأ في التقدير يسى بخيلاً فإن زاد في الضنّ والتقدير سمي شحيحاً ، وإن زاد سى لثيماً ثم ملائماً ، ومعنى تلك الدرجات :

- ١- البخل : هو العقر المسك على ما يكتز من المال فيحرم نفسه ، وأهلـه منه مع حاجتهم إليه .
- ٢- الشحيح : وهو البخل الذي جاوز ما حبه الحد في العتو والطغيان بامساكه .
- ٣- اللثيم : وهو صفة من ذم الجود والأسخياء فوق ما به من بخل وشح .

-----

- ( ١ ) روضة العقلاء ص ٢١٠ - ٢١١ .
- ( ٢ ) المرجع السابق ص ٢١ وضعفه ابن حبان بقوله : إن كان سعيد بن محمد - راوي الحديث - حفظ إسناد هذا الخبر فهو غريب غريب وضعفه الترمذي ، بر ( ١٩٦١ ) ٣٤٣ / ٤ حيث قال : غريب لا نعرفه من هذا الوجه ، والسخاوي المقاصد الحسنة ص ٢٣٩ والعجلوني الكشف ١ / ٥٤٥ ، وابن الديبع التمييز ٨٧ ، والشوكاني الفوائد ص ٧٧ ، علي القاري الأسرار المرفوعة ٤٨٣ وقال الألباني : ضعيف جداً سلسلة الأحاديث الضعيفة ( ١٥٤ )

٤- الملائم : وهو اسم البخيل الشحيح الذي يذم الكرماء ويحتج للبخلاء ويعذرهم في فعالهم .

والجود نهاية الرفعة العالية والمرتبة الجليلة في الدنيا ، فممن أحد ممن الكرماء إلا وُذِمَ البخل وامتدح الجود ، والعاقل الذي يرضى بما رزق ، ويجود بقدر سعته . وقلة المال لا توجب الإمساك عن البذل لئلا يصير المرء بخيلاً ، والكرِيم يبذل في الفقر والغنى بقدر ما يستطيع (١)

ومن عرضنا للسخاء والبخل نجد أن هذه العادة التي يمتادها المرء لها يد طولى في الحفاظ على وحدة الأمة وتماسكها وتدعيم العلاقات والروابط بين أفرادها ، ويمكن أن نستخلص منها تطبيقات تربوية عظيمة في تنمية روح الفداء والأثرة من أجل الغير لدى المتعلم ، ويتجلى ذلك في المدرسة حينما تعود أبناءها على التعاون والشعور بمشاعر الآخرين ، وتستحثهم على فعل الخير والمشاركة فيه . وهذا من الأمور التي تهبطها التربية الحديثة رغم مالها من أثر كبير فسي دفع بعض المعلمين إلى التضحية بمصالحه الخاصة في سبيل إعطاء تلاميذه دروساً للتقوية بدون مقابل . . هذه الأثرة والجود من أعظم أنواع الكرم والبذل والعطاء للأمة .

ب- قضا \* حوائج الناس :

تميش الجماعة الإسلامية حياة من التكافل والتراحم والتعاون ، وكل فرد من أفرادها قد كتب له رزقه ، وسعادته وشقاؤه ، وعمله فمنهم القادر ، ومنهم من لا يستطيع حيلة للعمل والكسب ، فهو لا قد جعل الله لهم في الصدقات نصيباً مفروضاً ، عوضاً مادياً ، وهذه المساعدات واجبة على من يعلم من

(١) روضة العقلاء ص ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٣٢ .

المسلمين ويكون قادرا عليها . ويذكر ابن حبان أن على المسلم الكشف عن هموم المسلمين وكروبهم ، لأن من نفس كربة من كرب الدنيا عن آخر فله مثلها يوم القيامة ، ومن هم في قضاء حاجة أخيه ، ولم تقض على يديه فكأنما قضاها ، وهي صفة أوعية تستوجب الثناء ، وتميز الأصحاب الذين يعرفون بها وبها يعرف الإنسان من صدقة المودة لأن كل النار عند الرخاء أصحاب (١) وفي الصدقة تكسبون الرحمة ، والتقرب إلى الله ومنعها يستوجب ، وعيد الله بالعذاب ، قال تعالى **قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ . الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ وَمَنْهُمْ** **الْمَاعُونَ** \* الماعون / ٤-٧ وكما قال المفسرون فإن الماعون هو المنفعة التي يقدر المسلم عليها ، ويكون أخوه محتاجا إليها (٢) ، وقرن سبحانه الإعانة بالإيمان بالله ، وجعل المنع تابعا للكفر فكان سببا لعذاب الكافر قال تعالى : **إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَعْصِي عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ الْحَاقَّةُ** / ٣-٤ وأمرنا بمساعدة الآخرين . قال تعالى : **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** \* المائدة / ٢ وأمر بقضاء الحوائج للخلق في الخير ، وليس فيما يجلب الإثم ، وأمرنا أن نسعى في الخير إن لم نستطيعه إذ على المسلم القادر أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ، ويسعى في قضاء حوائجهم (٣) واستدل ابن حبان بما أخرج من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : (من نفس عنه أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عن كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر على معسر ، ستر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) (٤) ويرى ابن حبان أن العاقل لا يطلب من عدوه أن يقضي له حاجته ، ولا من الفاسق ، والكاذب ،

(١) روضة العقلاء ص ٢٢٢

(٢) محمد على الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير ٢٨١/٣

(٣) حسن أيوب ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ص ٣٠٨

(٤) روضة العقلاء ص ٢٢٢ يرواه مسلم / ذكر (٢٦٩٩) ٢٠٧٤/٤ وأبو داود / أدب (٤٨٩٣) ٢٨٣/٤ ، والترمذي / بر (١٩٣٠) ٣٢٦/٤ ، ابن ماجه مقدمة (٢٢٥) ٨٢/١ ، وأحمد ٥٢/٢ ٤١٤/٤ . ٥٥٠٠٠

ولا من له عندة حاجة ، ولا يقصد حاجة ويطلب معها حاجة أخرى إذ رأى أنها ستقضى له ، ولا يطلب حاجته من امرئ وهو يريد مقاضاته ، ولا يكون حريصاً على قضاء حاجته فالكريم يكتفي بالملم بحاجة أخيه فيقضيها ، ومن الناس من يرى لــــه حقاً على المحسن إليه ، وفضلاً أيضاً مما يدفعه إلى عدم الشكر بل يــــــذم المعضي ، فإذا عرض للعاقل مثل هذا فليهيئ له لأن الإهانة للثيم إكرام للعاقل (١) وما ذهب إليه ابن حبان من إهانة للثيم لا يصح في نظري إذ الأفضل للأغصاء عنه وتركه لتلايجر نفسه إلى انتقاد الآخرين .

وانطلاقاً من هذه الآراء السديدة فإن التربية مطالبة بتشجيع التعاون بين التلاميذ وخصوصاً في جمعيات النشاط المختلفة ، وجمعيات البر التي تقيمها المدارس ، وحث التلاميذ على الصدقات وخصوصاً في المناسبات كشهر رمضان ، وفي فصل الشتاء لإغاثة زملائهم المتضررين من المطر . وتدعيم روح العمل الجماعي ، بينهم في ود وتعاون ، وتوضيح قيمة هذا العمل لديهم وقد يحتاج الأمر إلى استعمال الوسائل المعينة المختلفة لتفهمهم ذلك .

ج - إعطاء السائل :

من الآداب الإسلامية التي حث عليها الشرع ، وتسهم بحظ وافر في إقامة الجماعة الفتية الدعوة إلى إعطاء السائل ما أعطانا المولى عز وجل ، مسن فضل قوتنا . . . . . والعاقلة بوجودها ل الله الذي منحه إياه وأبى على نفسه أن يعيش في رفد من العيش وإخوانه في حاجة لما يسد جوعهم ، وقد أمرنا الله تعالى - بإعطاء السائل حيث قال : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ " . . . البقرة / ٢٥٤ ، وامتدح المؤمن لإعطائه السائلين فقال :

وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ..  
البقرة / ١٧٧ فعلى المسلم أن لا يخل على من سألته حاجته ، وأن يبادر بإعطائه المحتاج قبل سوءه وإخفاؤه ما يعطيه إذ أن السائل قد استحق الصدقة بسوءه إليه إياها ، ولو لم يكن محتاجا ، ويرى ابن حبان أن على السائل أن لا يتسخط ما أعطي وإن قل ، ولا ينبغي أن يسأل حاجته كل إنسان ، ولا يطلب حاجته لفيره مع حاجته لأن من لا يعرف العموم لا يلزمه حمل آخر على عنقه ، وما النافع من البذل مادام الإنسان لا يأخذ من ماله شيئا ، وأسرع الأشياء زوالا المال . (١) ومن لم يستطع ولا يملك العطاء أو لا يريد ، فليمرد ردا جميلا . قال تعالى أمرا المسلم بملاطفة السائل في رده \* وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ \* الضحى / ١ . وهذا خلق أفضل الناس وأكرمهم من الأنبياء ، والصالحين والصدقيين . وفي الحديث الذي أخرجه ابن حبان عن جابر - رضي الله عنه - قال : ( ما سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا قط فقال : لا ، ولا ضرب بيده شيئا قط ) (٢) .

والعاقد الذي يهتم بعمل الخير يقصده الراجون ، ومن لم يفكر في غيره - قل عمره - وإن طال - يصبح بائسا ، وعلى المسلم التأسي بفيره في الخيرات فلا يستحسن من نفسه ما يستقبحه من غيره ويلزمه البدء بالعطاء الأقرب فالأقرب ، يبدأ المرء بأهل بيته ، ثم بإخوانه وجيرانه ثم الأقرب فالأقرب ويتحرى المعروف والإحسان في أهل الدين والعلم منهم ، وإن ابتدئ بالخير لأنه خير من المكافأة عليه ، والعطاء بعد المنع أحسن من المنع بعد العطاء (٣) والتربية الإسلامية في عنايتها بأخلاق وسلوك الأمة ، لإعداد جيل متحشد

(١) روضة العقلاء ص ٢٢٦ - ٢٢٧

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ والحديث رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٣١١) ٨٣٠/٤ ابن ماجه ، نكاح (١٩٨٤) ١/٦٣٨ - والداري ، نكاح (٢٢٢٤)

٧٠/٢ ، واحد ٢٢٩/٦ ، ٢٢٢

(٣) روضة العقلاء ، ص ٢٢٩ - ٢٣١

متربط تحرص على أن يلتزم المسلم أحسن الأخلاق ، وتأبى عليه أن يهدم ما بنىه في آخر عمره ، وتشجع على المساعدة ، ومد يد العون للمحتاج بكل ما استطاع ، وما نملك من قدرات .

#### د - استضافة الناس :

تميزت الأمة الإسلامية والعربية بصفة الضيافة في العصور المختلفة ، و لما جاء الإسلام وضع لها آداباً معينة ، وهي من الآداب الإسلامية البارزة فـ في المسلمين . وإن استضافة الناس وإكرامهم شرط لكمال الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، وجعل الإسلام إكرام الضيف بالطعام ، والملاقاة بالشاشة والفرح وطيب مجالسة ، وأخرج ابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ( من كان يومئذ باله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يومئذ باله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ) (١) . ويلزم المسلم أن يتكلف لضيفه في يومه الأول بما في مقدوره ، وفي اليوم الثاني والثالث ، يقدم له ما اعتاد أن يقدمه لنفسه ، ولا يزيد ، وبعد الأيام الثلاثة له أن يعتذر للضيف ، ويخبره بأنه لا يستطيع أن يحتله أكثر من ذلك . (٢) ومن الخير للمؤمن مداومته على إطعام الطعام ، وقرى الضيف ، ويرى ابن حبان أنها من أحسن خصال العاقل ، فمن اتصف بهذه الصفة شرف قدره عند الخلق ، وقصدوه من كل مكان وإن كان في أصله رقيقاً ، إذ أنها سبيل لمحبة الناس فاعلمها ولذكرك بالحسنى ، وكانت الأعراب تسير الميل ، والميلين في طلب الضيف . وبذل النعمة من وجوه صيانتها ، وحق من حقوقها ، ومن أهمل هذا الحق قد ترجع عنه مسن

(١) روضة العقلاء ، ص ٢٣٤ ، ورواه البخاري ، أدب ١٠٤ / ٧ ، ومسلم ، لقطة

١٣٥٢ / ٣ ، وأبو داود ، أطعمة ( ٣٧٤٨ ) ٣ / ٣٤٢ - والترمذي ،

قيامة ( ٢٥٠٠ ) ٤ / ٦٥٩ - وابن ماجه ، أدب ( ٣٦٢٥ ) ٢ / ١٢١٢ -

والدارمي ، أطعمة ( ٢٠٤١ ) ٢ / ٢٤ - ومالك ، صفة النبي ( ٢٢ ) ٢ / ٢٢٩ -

وأحمد ، حسن أيوب ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ص ٤٠٧ - ٤٠٨ (٢)

حيث بدأت ، وأداء حق الله في النعم ينميتها ، ويجلب الثواب من الله . والماعل لا يستحق ما لديه من النعم وإن قلّ ، وعليه أن يبذل لضييفه ما حضر له — لا يؤدى تحقير النعمة إلى منعها ، وبالتالي يدخل المانع في حد البخل ويعصى الله بعدم أداء حق الضيافة ، ومن منع الطعام فقد ضن بما لا بد للبدن منه ، وهذا من أعظم البخل ، ومن إكرام الضيف طيب الحديث والاستبشار به ، والتبسم والبشاشة له ، وطلاقة الوجه ، وأن يخدم المرء ضيفه بنفسه (١) .

وبإمكان التربية الإفادة من موضوع الضيافة ، تلك الفضيلة الخلقية التي تعتبر من عوامل ودعامات قوة المجتمع وتماسكه ، ودليل التكافل والتراحم ، وعلى المدرسة تعليم التلاميذ وتمويدهم مكارم الاخلاق ومنها استضافة الناس وإكرامهم وخصوصا وأن التلميذ في المدرسة يكون معارف جديدة وعديدة من التلاميذ ، وهو في علاقته مع زملائه يحتاج إلى توطيد هذه العلاقة بينهم ، وبالتالي يدعوهم لزيارته ويستضيفهم ومن هنا كان على المدرسة الاهتمام ببحث أبنائها على فمسل الضيافة وتعليمهم حقوق وواجبات الضيف . إذ أن هذا الأمر من الضروريات لعملية التنشئة الاجتماعية التي تتم في المدرسة بشكل واسع كما ينبغي أن ندرك أهمية استضافة الناس في إحداث التكافل والتراحم ، وأن تركها يؤدى إلى اختلاف القلوب والضعف وتفريق الكلمة .

هـ - العفو عن المسيء :

العفو عن المسيء من الآداب الخلقية والمروءات التي يتصف بها الكريم فتزيد من رباط المحبة والألفة إذ هو نعمة الله التي تجعل من الأعداء إخوانا ، وقد أمرنا الله سبحانه بملزوم العفو حيث قال : " خُذِرِ الْعَفْوَ وَأَمْرِ بِالْعُرْفِ ، وَأَعْرِضْ

عَنِ الْجَاهِلِينَ " الأعراف / ١٩٩ ، والعفو إسقاط المرء حقاً له فيبيري عنه من قصاص أو غرامة ، ولقد قال الله تعالى في فضل العفو ، "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، فَإِنَّ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَفٍ حَمِيمٌ" . فصلت ٣٤ / وفي الحديث الذي أخرجه ابن حبان إشادة بالعافين عن الناس .  
عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : ( أتى رجل فقال : يا رسول الله . إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، ويسئون إليّ وأحسن إليهم ، ويجهلون عليّ وأحلهم عنهم . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لئن كان كما تقول فكأنما تسفهم المثل . ولا يزال من الله معك ظهير ما زلت على ذلك ) (١) ونتيجة العفو عند المقدرة عظيمة ، فهو يكسب المرء رضا الله ومودة الناس وتقديرهم له ، وإذا أخطأ يجد من يعفوه عنه ، وهو خلق محبوب ، وإذا لم تترتب عليه مفسده ، فلا يجوز حينئذ لأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة ، ولذلك لا يجوز العفوعن السارق (٢) . والواجب على العاقل ترويض نفسه على العفوعن الناس ، وترك مجازاة السيئة بمثلها إذ أن الإحسان يسكن الإساءة المهيجة للشر ، والعاقل كما ذكر ابن حبان يصفح عندما يساء إليه من الناس جميعاً رجاء عفو الله سبحانه عن خطاياهم السالفة ، رجاء الفوز بجزاء الله ، والمعاقب بالمثل قد يندم في يوم من الأيام ، والأخ يتحمل زلات أخيه طوال العمر ولا يضيق صدره منه وفي الصفح عن أساء تحصل راحة النفس ، والعاقل لا يعاقب بالمثل لأنه إن فعل ذلك يعتبر مسيئاً ، وإن لم يبتدي بالإساءة ، لأنه ترك الأخلاق الرفيعة ، ونزل إلى مرتبة عامة الناس ، والعفو أولسبي وأحمد عن غير الجاهل ، لأن الجاهل لا يردده إلا إهانة والعقوبة (٣)

والتربية بحاجة إلى تنمية روح المودة بين أبناء الأمة ، وبالتالي فإن

(١) روضة العقلاء ص ١٤٣ وأخرجه مسلم/هر (٢٥٨٨) ٤ / ٢٠٠١ - وأحمد

٤٨٢ ، ٤١٢ ، ٣٠٠ / ٢٤

(٢) عبد الله عبد الرحيم العبادي ، من الآداب والأخلاق الإسلامية ص ٣٠١

(٣) روضة العقلاء ص ١٤٣ - ١٤٨



العفو عن السيء\* والصفح من الخصال الحميدة التي تقوي العلاقة بين أفراد المجتمع وتنشر المحبة والرحمة بينهم ، والمدرسة يحدث فيها السلوك الحسن والقبيح من التلاميذ. فلا بد لها من استعمال الثواب والعقاب في علاج ما يقع فيها من أنواع مختلفة للسلوك .

وفي بعض الأحيان قد ينجح العفو والإغضاء في صد المتعلم عن سلوك الخطأ وأحيانا لا ينجح إلا العقاب على الإساءة ، ولقد استخدم الربون المسلمون أسلوب الثواب والعقاب بحسب ما تتطلبه الأحوال . فيرى ابن خلدون ضرورة العفو عن المتعلمين المذنبين ، إذ أن الشدة وعدم العفو في جميع الحالات مضرًا للمعلم ولا سيما الصغير لأنه من سوء الطلقة ، ومن ربي بالعسف من المتعلمين سطا بسوء القهر وضيق على نفسه انسياطها وأدى إلى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث وأكثر من ذلك فإن فيها صرف للمعلم عن اكتساب الفضائل (١) فمع إباحة استعمال العقاب إلا أنه لا ينبغي للمعلم استخدامه في جميع الحالات بل عليه أن يكثر من العفو عن المذنب والمخطئ\* من المتعلمين لما في ذلك من ترغيب لهم في الدرس وتقوية رابطتهم بالمدرسة ، ولما في ذلك من عون على الفهم والإدراك +

## و - المجازاة على الصنائع :

كل من يصنع أمرا فلا بد له من أجر ، والمرء يعبد الله تعالى ليجسزى بعمله يوم القيامة ولو أفنى الإنسان عمره في عبادة الله لم يوفه حقه ، لهذا فالكل يحاسب على عمله ، والكل وارد النار - لأنه لا يدخل الجنة أحد بعمله - إلا من تغفده الله برحمته . قال تعالى " وَمَنْ شَكَرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ كَفَرَ " فَإِنَّ اللَّهَ فَتَنِي حَمِيدٌ لقان / ١٢ ووصف الله سبحانه نوحا عليه السلام بقوله : " ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا " الإسراء / ٣ . وأن شكر الله

(١) حسين عبد الله بانهيلة/ ابن خلدون تراثه التربوي ص (١٢)

على نعمه ومنه وتكرمه يستوجب العفو والمغفرة وهو يعدل العباداة ويجمع معها ، لأن به يكسب الإنسان حسنات تكمل ما عجز عنه ، فيدخل به الجنة . وكذلك فإن المرء لو قدّم لوالديه كلّ ما يملك ، ولو أقنى عمره في طاعتها لم يوفهمها حقهما ، ولذلك كان برهما وشكرهما ، والتلطف معهما نوعاً من الجزاء على ما قدّم له .

وفي الحديث الذي أخرجه ابن حبان عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ( من لا يشكر الناس لا يشكر الله )<sup>(١)</sup> وذكر ابن حبان أنّه يستحب عدّ ردّ السؤال لعافيه من مجانبه الأخلاق العالية ، وإنّ أن الحرية لمن تحلى بالأخلاق الرفيعة ، والعبودية لمن استعبد للرذائل ، والواجب على من أسدى إليه معروفاً أن يشكره بأفضل منه لأنّ الإفضال لا يقوم مقام الابتداء بفعل الخير ، ومن لم يستطع فليجازي بالمثل ، أو بالثنائية الحسن ، وإنّ أن لزوم الشكر والسعي في الحاجات من الأمور الفاضلة ، والاهتمام بحاجة الغير قد يفوق المعروف ، ولا يكون إلا من شديد العناية بقضائهم على العاقل أن يشكر الاهتمام أكثر من شكره المعروف . ( ٢ ) والمجازاة على الصنائع إما شكر أو إعطاء ، والشكر وجهان :

شكر عام : وهو حمد باللسان واعتراف بالنعمة من الله  
شكر خاص : وهو الحمد باللسان والمعرفة بالقلب ، والخدمة بالأركان وحفظ اللسان والجوارح عما لا يحل . وتسام  
الشكر حمد النعم المتفضل على عطاءه ، والرضا بما أعطى ، وعدم معصيته . ( ٣ )

( ١ ) روضة العقلاء ص ٢٣٨ ، وزوائد ابن حبان ٤ بر ( ٢٠٢٠ ) ص ٥٠٦ ،  
وأبو داود ، أدب ( ٤٨١١ ) ٤ / ٢٥٥ والترمذي ٤ بر ( ١٩٥٤ - ١٩٥٥ )  
٤ / ٣٣٩ وقال حسن صحيح - وأحمد ٢ / ٢٥٨ ، ٢٩٥ ومواضع  
هديدة .

( ٢ ) روضة العقلاء ص ٢٢٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣  
( ٣ ) السمرقندي ٤ تنبيه الغافلين ص ٣٥٢ - ٣٥٤

والحر يشكر عند النعم ولا يكفر بها ، ومن أثر عليه قلة المعروف أو شـك  
الآ يشكر كثيره وتزداد النعم بشكر النعم ، وكفران النعم إما لعدم معرفة السر  
بأسبابها والمجازاة عليها بطبعه الكاره للناس والاجتماع والتعامل معهم ، والأولى  
إهماله ، وإما أن يكون كافر النعمة مستخفا بالمنعم مستحقرا للنعمة ، وهذا  
الأولى عدم صنع المعروف مع أمثاله . ( ١ )

ويمكن التربية الإفادة من التوجيهات السابقة في الشكر والمجازاة على  
الصنائع في نواحٍ مختلفة ، منها شكر المعلم للتلميذ المجتهد إن في ذلك  
حافزاً عظيماً يعطي المتعلم قوة ودافعية لمضاعفة مجهوداته والتحسن أكثر فأكثر .  
وكذلك استخدام المجازاة بالدرجات ، والشهادات التقديرية ، أو الجوائز  
التشجيعية وما إلى ذلك وكذلك التلميذ نفسه يحتاج إلى أن يتعود الشـكـر  
ليعبر عن تقديره لمعلمه ، ولكل من ساهم في بناء شخصيته ، أو صنع له معروفات  
ولا ينبغي أن يتعدى الشكر والمجازاة على الصنائع الزيادة فوق الحد والمبالغة  
في الشكر بحيث يصل الأمر إلى حد الملق ، أو يؤثر على المتعلم إلى درجة  
يحصل معها الضرر منه ، فهذا جانب سلبي ينبغي مراعاة عدم الوصول إليه  
ومنعه من الحدوث ، وعلى المدرسة أن تعلم أبناءها كيفية شكر الأهل والمعلمين  
والزملاء ، ولا يفوتنا أن ننبه على أن من واجب المدرسة أن تربط كل النعم بالمنعم  
الحقيقي - وهو الله سبحانه - وتعلم التلاميذ لزوم حمده وشكره عليها وكيفية  
الشكر على هذه النعم . وبالتالي نجد أن الشكر على الصنائع من الأمور ذات  
القيمة التربوية الكبرى في حياة المتعلم .

كما أن دور العقل في تهذيب أخلاق الجماعة جلي واضح بحيث يتوافق  
العقل الصريح مع أحكام الشرع في إلزام المرء باتباع الأخلاق الكريمة الفاضلة ،

والترفع عن سفسافها ، ليكون من الأفراد مجتمعا مثاليا قويا مترابطا لا تؤثر عليه التيارات الهدامة . وهذه الآداب نفسها يمكن أن يتصف بها الأفراد في علاقتهم العامة والخاصة إلا أن السمة التي غلبت عليها اتسامها بصفة الجماعية ، وأثرها في تكوين الجماعة الفتيه في المجتمع الكبير ، ومن شمولها جميع العلاقات داخل المجتمع كانت السمة البارزة التي لها دورها في العلاقات العامة داخل المجتمع .

### (ج) دور العقل في الصداقة والأخوة

يمتاز الدين الإسلامي بشموله لكل ما يعوزها الإنسان في تدبير أمره ، وإصلاح حياته وآخرته ، ولقد بين الله لعباده قواعد السلوك الرشيد التي ارتضاها لهم . ووضع سبل العيش الآمن ورسم معالم الطريق أمام حياة مستنيرة ، فأقصر ما فيه الخير للبشرية ، ونهاهم عن كل ما يعرقل سيرهم نحو السيادة على الأرض ، وما يضعف قوتهم . ومن الآداب التي أقرها الإسلام ما يتصل بتربية الفرد التربوية الاجتماعية - في علاقاته مع من حوله - لينفع به الجماعة ، ويسهم في إصلاحها ، ووضح الإسلام أسس إقامة العلاقات الاجتماعية الخاصة ، ونظم هذه العلاقة في أمر الصداقة والمواخاة ، لتكون هذه العلاقة مبنية على أساس متين من الشرع ، وبالتالي ترسخ قوة المجتمع وتزداد تماسكا فيما بينها ، ولقد حدد الإسلام صفات للمسلم ووضع معايير لسلوكه ومن هذه الصفات ما تحدثنا عنه في موضوع الصداقة وما أدرجه الباحث تحت صفة الأصحاب لا يختص بعلاقات الصداقة دون العلاقات الأخرى مع باقي أفراد الأمة ، إلا أن هذه السمات في الغالب يختص بها الأصدقاء بحيث لا يمكن أن تتأني من المرء لجميع الناس وبالتالي فهو ملزم بها في علاقاته الخاصة . ومن هنا كان أولى بنا تصنيفها في صفة الأصحاب وفي هذا إظهار لدور العقل في سلوك المرء طريق الحق واتباع الدين في كل أمر يؤمر به . وبإمكاننا استخلاص بعض التطبيقات التربوية الكامنة في موضوع الصداقة والأخوة وسنتحدث عنها عقب كل صفة نذكرها .

## ١- تعريف الصداقة وأهميتها :

الصداقة أسمى العلاقات الإنسانية بين الأفراد ، وهي نوع من المحبة أخص منها ، وهي المودة التي يمكن أن تقع بين جماعة كثيرين ، والمفهوم الإسلامي للصداقة ، بأنها عقد بين الإنسان المسلم وأخيه ، وعهد بينهما أشهد الله وملائكته على التحاب في الله ، وبذل كل ما يستطيعه كل منهما في سبيل سعادة الآخر ، وهذه العلاقة لا تنشأ من التكليف بل من التعريف وأساسها ربط علاقة المحبة بالله ، وبالتالي يحب المرء كل عبد يحب الله ويعبده ، ويصافي كل إنسان يؤمن بالله ويوحده ، ويرى ابن حبان أنّ الصداقة عرض المسلم ومروءته (١) ، إذ أنها غالية وشمينة لا يمكن أن تكتسب بسهولة وبسر ، كما أنها لا يمكن أن تكون كأي شيء يمكن الاستغناء عنه بيسر . ولقد ميز العلماء بين نوعين من الصداقة هما :-

١- صداقة مكتسبة بالاتفاق الجاري مجرى الاضطراب ، وسببها التجانس في حال يجتمعان فيها ، وبألفان ويقوى الائتلاف بين الأصحاب ويضعف بحسب قوة وضعف التجانس ، إلا أن يحدث أمر آخر يقوى به الائتلاف ، والائتلاف يكون بالتشاكل والتشاكل بالتجانس . (٢) والتجانس من الصعب أن يوجد من جميع الأوجه . فما من متجانسين إلا وبينهما اختلاف ولو في أمر بسيط ، أو في نسبة الأمر المتشابهين فيه ، كما أن المختلفين بينهما تشابه ، ولو في نفي ماسوهما عنهما . (٣)

٢- صداقة تحدث بالرغبة المتبادلة في إقامة العلاقات ، ووجود العشاكلة لا يسفر تلقائياً عن وجود هذه الرغبة ، والرغبة من طرف واحد لا تكفي ، إذ أنه لا يعني طلب أحدهما للصداقة أن يطلبها الآخر أو يرغبها ، وصداقة بدون رغبة من كلا الطرفين لا يمكن أن تنجح (٤) ، وأن تبادل الإخاء لا يعني تبادل الصالح

- 
- (١) روضة العقلاء ، ص ٧٥  
 (٢) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ص ١٤٠  
 (٣) الشاطبي ، الموافقات ، ٢٥٤/١  
 (٤) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ص ١٤٦

والمنافع المادية فحسب ، فهذا يعني علاقة تعاونية أو تجارية طرفاها أخوة طريق ، بل المقصود تبادل المودة والمحبة والاحترام بين الصديقين والتعاون في إزالة الخلافات بين الناس وإصلاح ذات البين . ( ١ )

والأخوة التي تعني المشاكلة والموافقة في الطباع ليست كل شيء فسي الإسلام ، لأن المحبة لا تكون لذات المرء بل لإيمانه وطاعته لله ، وسلوكه منهجه ، وهذه العلاقة تتم نتيجة لارتياح المرء لتصرفات الآخر ، وعادة ينشأ من الصدر ، ويستبشر القلب لرؤية شخص ما ، ولا يشعر بنفس الشعور مع غيره ، ولقد أخرج ابن حبان من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ) ( ٢ ) والائتلاف يتم منذ اللقاء الأول بين الأفراد إذا تعارفوا الأرواح ، لكن العاقل الذي يؤمن بمبادئه وقيم ثابتة يحكم عقله فيما ذهب إليه قلبه ، فإن كان الذي توافقت معه روحه طائعا لله تقرب إليه ، وإلا فالأولى مفارقتها ، لأنه سرعان ما تنشب العداوة بين المختلفين في الدين والقيم والمعتقدات وطريقة التفكير والثقافة ، إذ أن إخوان الصديق من أنفس الذخائر لأوقات النوائب .

ومعيار الصداقة في الإسلام أن تكون خالصة لوجه الله ، ويرى ابن حبان أن على العاقل أن يعلم أن الفرض من الصداقة ليس الاجتماع بالمواكلة والشاربسة ، بل أيضا حسن القصد وخفض الصوت وقلة الإعجاب ، والتواضع ، والابتعاد عن الأمور التي تسبب الخلاف بينهما ، إذ أن الصديق الذي يجب صدقه يخفف عنه المثونات ، ولا يمنعه شيئا يحتاجه ليفرج بهمكرهم . ( ٣ )

- ( ١ ) أحمد عبد الرحمن إبراهيم ، الفضائل الخلقية في الإسلام ، ص ١١٠ .  
 ( ٢ ) روضة العقلاء ، ص ٥٩ ، وأخرجه البخاري ، أنبيا ١٠٤ / ٤ ، وسلم  
 بر ( ٢٦٣٨ ) ٢٠٣١ / ٤ وأبو داود / أدب ( ٤٨٣٤ ) ٢٦٠ / ٤ -  
 وأحمد ، ٢٩٥ / ٢ - ٥٢٧ - ٥٢٩  
 ( ٣ ) روضة العقلاء ، ص ٧٢

والإسلام حثنا على القيام بالصحة ورعايتها ، لأن الإنسان يحتاج إلى الصديق في كل الأحوال . والصداقة لها أثر كبير في قوة تماسك الجماعة ، فالشعر ——— دقته إذا جمع يمكننا أن نصنع منه الحبل الغليظ الذي يقهر الغيل ، وتهدد علامات الوند - والحب في الله - في العين فإنها مرآة القلب ، ومن أحب أمراً في الله فليخبره ، فإن ذلك أحرى أن يزيد في ودهما . ( ١ )

ويمكن أن تستفيد التربية من هذه التوجيهات في إقامة العلاقات داخل المؤسسات التربوية وخارجها ، إن ينبغي على المعلم أن يقيم علاقاته مع التلاميذ ومع زملائه والإدارة المدرسية على أساس إرضاء الله ، ومن ثم تأديته الواجب والأمانة التي تحملها ، وحينئذ يمكنه أداء عمله على الوجه الأكمل ، وكذلك إذا تم تقويم الأعمال والعلاقات على أسس ربطها بالله فإنها تكون ناجحةً أيانجاح ويمكننا توجيهه علاقات التلاميذ مع بعض على هذا الأساس إن به تسود روح التعاون ، وتحكيم العقل والشرع في الأمور ، وبالتالي لا يحدث الندم لأننا جعلنا إرضاء الله هو الميزان في هذه العلاقة وهو ضروري في عملية تقويم مجهودات التلاميذ ، إن أنه يؤدي إلى الموضوعية من المعلم والأمانة والدقة .

ويرى الزرنوجي وابن جماعة أنه ينبغي لطالب العلم أن يؤخي من يستفيد منه في دينه ، بأن يصاحب عالماً يستفيد من علمه ، أو متعلماً يذاكر معه ، وينبغي للمعقل أن يختار الشريك المجتهد الورع صاحب الطبع المستقيم ، ويفر من الكسلان والمعطل ، والفتان ، فإن الطباع سارقة ، وآفة العشرة ضياع العمر بغير فائدة . ( ٢ )

## ٢- صفة الأصحاب :

الصاحب جوهرة ثمينة لا تقدر بثمن ، ولا يسهل الحصول عليها ، ولو كان

( ١ ) روضة العقلاء ، ص ٧٥ ، ٨٨  
( ٢ ) ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم ص ٨٣

كل من عاشره السرّ صاحباً أو صديقاً لما اختار في اختياره له ، ولما وصفه البعض  
بالمستحيل ، فإذا اختار العاقل من يريد صحته فليلتزم معايير معينة ، وصفات  
دقيقة ترضي الله ، لأن السرّ على دين خديعة يتأثر به ، ويؤثر فيه ، ويناله منه  
الخير والشر ، ويحسن ذكره أو يسوء بحسب حال صاحبه ، ففي حديث أبي هريرة ،  
- رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ( إِنْ لَلَّهِ مَلَائِكَةٌ  
سَيَّارَةٌ يَطُوفُونَ فِي الْأَرْضِ فَإِذَا صَعِدَ وَالسَّمَاءَ سَأَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ :  
مَنْ أَمِنَ جَنَّتُمْ ؟ ) فيقولون : جئنا من عند عبادة لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك  
ويهللونك ، ويحمدونك ، ويسألونك ، ويستغفرونك ، فيقول : قد غفرت لهم ،  
وأعطيتهم ما سألوا ، وأجرتهم ما استجاروا . فيقولون : رَبِّ فَيُهِمُ فُلَانٌ . عَبْدٌ  
خَطَّاءٌ ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ ، فيقول : وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم  
جليسهم ) ( ١ )

هذا بالنسبة للقوم الصالحين ، ولقد حدد ابن حبان صفات للصاحب فيقول :  
( خير الإخوان مَنْ إِذَا عَظَّمْتَهُ صَانِكٌ ، وَلَا يَعْيبُ أَخَاهُ عَلَى الزَّلَّةِ ، فَإِنَّهُ شَرِيكُهُ  
فِي الطَّبِيعَةِ ، بَلْ يَصْفَحُ وَيَتَكَبَّرُ مُحَاسِدَةُ الْإِخْوَانِ ، لِأَنَّ الْحَسَدَ لِلصَّدِيقِ مَنَّ  
سَقَمُ الْمَوَدَّةِ ، كَمَا أَنَّ الْجُودَةَ بِالْمَوَدَّةِ أَعْظَمُ الْبَذْلِ ، لِأَنَّهُ لَا يَظْهَرُ وَدَّ صَاحِبِ  
مِنْ قَلْبٍ سَقِيمٍ ، وَلِيَحْذَرِ السَّرَّ فِي إِخَائِهِ أَلَمَ التَّثْقِيلِ عَلَى أَخِيهِ ) ( ٢ ) ويرى أَنَّ العاقل  
لا يصاحب لثيماً لأن اللثيم ضرره أكثر من نفعه ، إذ أنه لا يصاحب إلا لنفع مادي ( ٣ )

والإسلام يوجه السرّ إلى اختيار الصديق الصالح ، لأن الصديق لا يعندي

( ١ ) رواية الترمذي ، دعوات ( ٣٦٠٠ ) ٥٨٠/٥ - وأحمد ٢٥٢/٢ ٣٥٩٠

٣٨٣٤

( ٢ ) روضة العقلاء ، ص ٧٦

( ٣ ) نفس المرجع ص ٧٢



صديقه في خلقه بمقاله أو فعاله فقط ، بل وبالنظر إليه فالنظر في الصور يوثق في النفوس أخلاقاً مناسبة إلى خلق المنظور إليه ، فإن من دأبهم نظرة إلى سرور سر ، ومن دأبهم نظره إلى محزون حزن ، وفي هذا الأثر أخبار كثيرة تدل على أن الأختيار يتمم من رؤيتهم في أمر الدنيا والدين ، فإذا رأيت أحدهم ذكرك بالله - كان ابن سيرين إذا مر في السوق فمأواه أحد إلا ذكر الله تعالى (١)

وإذا ذكر الموت مات كل عضو فيه (٢) والصاحب الفاضل إذا نطق زادك فسي علمك وفيما يروى عن عمر بن عبد العزيز قال : ( لأن يكون لي مجلس من عبيد الله \* أحب إلي من الدنيا وما فيها . وقال : والله إني لأشتري ليلة من ليالي عبيد الله بألف دينار من بيت المال : فقالوا يا أمير المؤمنين تقول هذا مع تحريك وشدة تحفظك ؟ فقال : أين يذهب بكم ؟ والله إني لأعود برأيه ونصيحته وبهدايته على بيت مال المسلمين بألف و ألف ، إن في الحادثة معه تلقياً للعقل ، وترويحاً للقلب ، وتمريحاً للهم ، وتنقيحاً للأدب ) (٣) .

ويرى ابن حبان أن على العاقل مصاحبة الأختيار والابتعاد عن صحبة الأشرار وأخرج في ذلك من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ( مثل الجليس الصالح مثل العطار ، وإن لم ينلك منه ، أصابك من ريحه ، ومثل جليس السوء مثل القين ، وإن لم تصبك ناره أصابك شره ) (٤) . ومن طلب الفضائل فلا يسأله إلا أهلها ، ولم يرافقه

- 
- (١) الذهبي ، تاريخ الإسلام : ١٩٣/٤  
 (٢) الإمام أحمد بن حنبل ، العلل : ٢٠/١  
 \* عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . أخذ فقهاء المدينة السبعة ، تابعي توفي سنة ١٠٢ هـ ينظر : ابن الجوزي : سيرت عمر بن عبد العزيز ص ٢٧١/١  
 (٣) ابن خلكان ، وفیات الأعيان : ٢٧١/١  
 (٤) روضة العقلاء ، ص ٨٢ ، ورواه أحمد : ٤٠٥/٤ ، ٤٠٨ - وله لفظ آخر عند البخاري ٨٤/٧ ، وسلم (٢٦٢٨) ٢٠٢٦/٤

في تلك الطريق إلا أكرم صديق من أهل المواساة والبر ، والصدق ، وكرم المشورة ، والصبر ، والوفاء ، والأمانة والحلم ، وصفاً الضمير ، وصحة المودة ، ومن طلب الجاه والمال واللذات ، لم يصاحب إلا كل عدو المعتقد خبيث الطبيعة ، والواجب على العاقل مصاحبة من يواسيه في الضراء ، ويشاركه في السراء ، ويتفقد أموره ، ولا يصادق من كان يميل إلى نفع ويفسده منع ، ولا يصادق إلا من خالفه على الهوى وأعانه على الرأي ، ولا يصادق إلا الثقة ، وإلا استبدلة بغيره ، وصحبة الجاهل تخلو من الصفاً ويتأذى بها العاقل ، والليث سريع الانقلاب والخيانة ، والعاقل لا يصاحب إلا العقلاء ذوي الرأي والعلم والأخلاق الحسنة ، والعاقل لا يحسد صاحبه ولا يثقل عليه . ( ١ )

وفي حديثنا عن صفة الأصحاب نجد أن الصداقة في الإسلام تقوم على عدة مبادئ يتصف بها الأصحاب ويسلكونها تجاه بعض ، وسوف نتحدث عنها فيما يلي :-

#### أ - المواخاة وعدم المعصاة :

المواخاة في الدين أعظم وأقوى رباط اجتماعي - يمثل علاقة إنسان بآخر - والأخوة تجعل من الناس - على اختلاف أنسابهم وأعراقهم - أشقاءً نسبهم واحد وقلوبهم واحد .

قال تعالى : **” إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ”** الحجرات / ١٠ ، وهي علاقة تنشأ بالاتفاق في الإيمان والإسلام والمواخاة تجعل الرجل قويا عزيزا بإخوانه ، و المجتمع مجتمع قوة وتآلف ، وكانت تلك النعمة التي أنعمها الله على

الأعراب المتخاصمين لأجل الدنيا فأصبحوا بها خيرا من الأشقاء ، ومضر بها للمثل قال تعالى : **..وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ، فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا - كَأَنَّ** آل عمران / ١٠٣ . وذلك مجتمع الشر والمعاداة الذي شارف بها على السقوط في الهاوية ، والقضاء على نفسه بنفسه أعره الله وجعله رائداً للعالم بفضله الموءاخاة والمحبة التي نشرها الإسلام بينهم ، هذا الأمر ما كان ليحدث ولو اجتمعت عليه كل قوى الجن والإنس قال تعالى : **”وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ”** الأنفال / ٦٣ . حقا لو اجتمعت كل العقول والمذاهب الأرضية لما ألفت بين قلوبهم ، لكن منهج الله ودينه جمع قلوبهم ووحد رأيهم . قال ابن حبان : ( الواجب على العاقل ألا يففل عن موءاخاة الإخوان ، وإعذاره إياهم للنوائب ، والحدثان لأن من تعزى عن موضع سلوة بأخيه عند الهموم والغموم ، كان عقله إلى التقديح أقرب ، ومن النماء أنقى ) ( ١ ) ولقد آخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين المسلمين ففي الحديث الذي أخرجه ابن حبان عن أنس - رضي الله عنه - قال : ( آخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين سلمان وأبي الدرداء ، وآخى بين عوف بن مالك ، وبين الصعب بن جثامة ) ( ٢ )

وبالتالي فإننا نجد أن المسلمين الأوائل كانوا يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ( حتى كان الميراث أول الإسلام بأخوة الدين لا في النسب ، وما كان أحسن من المسلمين في يده دينار أو درهم وهو يرى أنه أحق بديناره أو درهمه من أخيه ) ( ٣ ) ويجب على العاقل موءاخاة الناس لأنه لا يسر المرء بشيء أكثر من صحبتة

( ١ ) روضة العقلاء ص ٧٠

( ٢ ) المرجع السابق ، ص ٦٩ ، وأخرجه البخاري ، أدب : ٩٢ / ٧ ، والترمذي ،

زهد ( ٢٤١٣ ) ٦٠٨ / ٤

( ٣ ) حسن أيوب ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ص ٢٩٦

الإخوان . بينما العداوة سبيل تفكك المجتمع وتنافر أفراد ، ومعمل هدم — هـ ، وهي ضد الصداقة والأخوة ، والعدو هو من يضاد الإنسان فيما يؤمن به إلى ضرره ولقد نهانا الإسلام عن التباغض في مواقف شتى ، لأن العداوة من التباغض ، ودعوة الحق قضت على العداوات التي كدّرت على العرب صفو حياتهم وهدّدت ليلهم ، وأمن مساكنهم ، ففي الحديث الذي أخرجه ابن حبان عن أبي الدرداء <sup>١</sup> - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ نَهَانِي عَنْهُ رَبِّي بَعْدَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ لَعْنُ الْحَمِيرِ وَمَلَا حَاةِ الرِّجَالِ) (١)

(١) الحديث ضعيف جداً إذ في سنده عمرو بن واقد الدمشقي - أبو حفص - مولى قريش من السادسة مات بعد الثلاثين روى له أبو داود وابن ماجه قال ابن حجر متروك . ينظر: ترجمته في: تقريب التهذيب ٨١/٢

وقال ابن حبان في المجروحين ٧٧/٢ : عمرو بن واقد يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك ، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ٢٩٢/٣ ، هالك . وفيه إسماعيل بن عبد الله بن رفاعه بن رافع العجلاني ، ويقال ابن عبيد الله ، وهو مقبول الرواية . وقال المناوي : رواه الزارع عن أبي الدرداء <sup>١</sup> ومعان من طريق إسماعيل بن رافع وهو واهٍ ينظر: فيض القدير ٩٠/٣ وأخرجه الطبراني من طريق أم سلمة وفيه يحيى بن المتوكل وهو ضعيف . ينظر المعجم الكبير ٢٥٠/٢٣ - ٢٦٣ - وحديث معان ٨٣/٢٠ وتحدث الهيثمي على الروايات الثلاثة في مجمع الزوائد : ٥٣/٥ ، وتحدث على رواية أم سلمة في كتاب الأدب من مجمع الزوائد ٢٧/٨

والحديث المذكور ضعفه الألباني ، ضعيف الجامع الصغير : ٢٣٧/١ ، وقال ضعيف جداً . وابن حبان لا يميز إلا رواية الصحاح : ولعله ذكر هذا الحديث لوروده عن ثلاثة من الصحابة ليُشعر أنه مع ضعفه يستأنس به في مثل هذه الأمور - الفضائل - والله اعلم .

والعاقل يلتزم موافاة الناس الصالحين ، ويحرص عليها ، ويتعد عن المعاداة ما وجد إلى ذلك سبيلا ، لكن قد يحدث وأن يضطر المرء إلى معاملة الأشرار وأصحاب النفوس الضعيفة فيلزمه حينئذ الحذر والمكر والدهاء . وخصوصا في يومنا هذا إذ أن أعداء الدين يحتكون بالمسلمين في مدارسهم ومساجدهم وطرفاتهم ، ومنهم معلمو السوء في المدارس ، والمعاهد والصحف ووسائل الإعلام الأخرى ، وقد يكونون في مراكز قوة مادية أو غيرها ، ومن هنا يكون المسلم قد أكره على المعاداة فإن حدث ذلك فليتبع العاقل حكم الشرع ، ويتعد عن الشر بقدر الإمكان .

وفي ذلك توجيه لسلوك المتعلم إلى فعل الخير ونيل الشر ، وإقامة الصداقات ونيل العداوات . فالعداوة تشغل فكر المرء فيما يكره وتحجبه عن الفهم والتركيز ، وتشتت الذهن ، وتوجه نحو الكذب والفسخ والخداع في المعاملة ، والبعد عن الدين .

بينما الموافاة تجعل من المعلم مخلصا في عمله ، ومن التلميذ محبا لزملائه ومدرسيه ومدرسته وبالتالي لا تجد في نفسه إلا حب الآخرين والإيثار على النفس ، والتعاون مع من حوله . والتربية مطالبة بتدعيم علاقات الأخوة في الله القائمة على المحبة والمودة ، ويكون دورها فعالا في ذلك حين تنصدي للكثير من الدعوات الهدامة التي ترمي إلى إلغاء علاقة الأخوة في الله ، وإحلال الأخوة في أمر الدنيا ، تلك الدعوات التي تقراة العلاقات في التعامل داخل المجتمع على أساس مباديء وقيم وضعية إنسانية ضعيفة ، فعلى سبيل المثال : الدعوة إلى القومية العربية ، وتعزيز أخوة العروبة على حساب الدين وهي رابطة ضعيفة لا تقوم مقام أخوة الدين ، وشاهدنا في فصول التاريخ العربي ما حدث للأمة العربية من حروب دامية بين الأخوة الأشقاء ، ورغم هذا فإن هذه الدعوة لم تتوقف بل تصدت للتربية الإسلامية ، فقررت مواد التربية الوطنية ، والتربية القومية في كثير من البلدان العربية مما ساعد في إضعاف الأمة العربية أكثر من السابق ، لأن الأخوة لا تدوم ولا تقوى إلا إن كانت

قائمة على الحب في الله والبغنى في الله ، وماذا لم نجتمع على التربية الربانية ، فلن تجمعنا المذاهب الأرضية ، بل أن هذه دعوة هدامة إن أنها تجمع المسلم وغيره في صف واحد ، وبالتالي تناسب أحكام الشرع غير المسلمين فيضطر دعاؤها إلى تغيير الكثير من الأحكام لأجل هذا الغرض ، وفي ذلك مخالفة للشرع ، وطاعة وموالة للكافرين ، والتربية الإسلامية توجهنا إلى التزام أخوة الإسلام وتحارب التفرقة والاختلاف وتدعو إلى الاجتماع والوثام والتسك بحبل الحق والوفاء عليه ، وهذا الواجب الذي تقوم به هذه التربية ينعدم في غيرها إن أن ما لم يقم على منهج الله قام على خلافه ، وكذا قامت الحركات المخطئة ومنها القومية لتخلص العرب من الحكم الإسلامي فتعزلهم عن المسلمين غير العرب (١) وفي ذلك دعوة إلى التفرقة إن أمرنا الله سبحانه بالسواخة بأخوة الدين حيث قال سبحانه : **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** . آل عمران / ١٠٣ وأخبرنا الله تعالى بأنه لا قوة في العالم تستطيع التأليف بين القلوب إلا قوته وقد رتب سبحانه وتعالى ، ومنهجه هو سبيل القوة والمنعة والتألف قال تعالى : **وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ** . الأنفال / ٦٣

ب - الوفاء :

من صفات الأصحاب الوفاء في الصداقة وعدم الطون في العلاقة الأخوية بمعنى الإخلاص فيها ، ولا يتم ذلك إلا باقتفاء مرضاة الله في علاقة المتحابين . ويرى ابن حبان أنه على العاقل المحافظ على علاقة الولد والمحبة لمن يصحبهم والتسك بطك الصلحة ، وأن يعتاد صلة أصحابه والإقبال عليهم ، والبسذل لهم ، والدنو منهم ، إن أنه لا ينبغي له أن يقصر في هذه الأشياء ولا يكون ذا لونين

(١) عبد العزيز بن باز ، نقد القومية العربية ، ص ٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٤٧

وذا قلبين بل عليه أن يخلص بأن يوافق سرعلا نيته (١) .

ولما كانت المحبة والصداقة لوجه الله ، وليست لمنفعة مادية والاستفلال من طرف الآخر فإن المحبة تبقى كما هي . . . هذا هو الوفاء الذي أمر به الإسلام وكان سببا لأن يظلُّ الله المتأخين فيه تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ولقد أخرج ابن حبان من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( لا خير في صفة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له ) (٢) ومن الوفاء للصاحب صفاء السريرة له ، والبشاشة ، والاستبشار ببلقائه ، وتقدير حوائجه على حوائج النفس . ومن الوفاء ذكر محاسن الصديق والإغضاء عن زلاته . ونصيحة ومحبة الخير له في كل الأمور ، والثبات على محبته إلى ما بعد موته فمير أهله ، وأصد قلته ويتفقد هم (٣) . ومن الوفاء أيضا قسرب السر من صديقه إذا افتقر إليه وعدم الطمع فيه إن استغنى ، وعدم الارتفاع عنه إن علت مرتبته .

والوفاء في الصداقة أمر عظيم إن أنه من أهم مبادئ الأخوة ، والعلاقات الإسلامية ، وفيه قيمة تربوية لا مثيل لها . فمن تعرفنا على معنى الوفاء نجسد أن أهم سمة له الإخلاص والمحافظة على الودان ، وهذا من أكثر الأمور دعما للمعلمية التربوية ، إن أن وفاء المعلم لتلاميذه بالحرص على مصلحتهم ووفاء لمهنته أن يخلص في أدائه عمله ، ويجعله أكثر التزاما ودقة بمتطلبات

(١) روضة العقلاء ، ص ٨٢

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٥ ، والحديث ضعيف . قال الصغاني : موضوع . ينظر الشوكاني ، الفوائد ، ص ٢٦٠ وقال العجلوني في الكشف / ٢ / ٥٠٥ رواه الديلمي عن أنس مرفوعا . وفي ٢ / ٢٨١ قال رواه ابن عدي في كامله بسند ضعيف وله شاهد من الأثر . وضعفه الزرقاني / مختصر المقاصد : ص ٢١٥ والسخاوي / المقاصد ، ص ٣٧٨ وابن الديبج / التمييز ص ٢١٣ ، والفتني / التذكرة ص ٢٠٤ وابن الجوزي / الموضوعات (٣١) (٣) محمد سعيد مبيض ، الآداب الاجتماعية في الإسلام ص ١٧٩

هذا العمل ، ومن وفاء المعلم لتلاميذه ومهنته مشاركتهم في بعض أنشطتهم  
والا اتصال بأسرهم للتعاون معا في تحسين مستوى التلميذ ، هذه المتابعة خارج  
الدرسة ، ودخلها - مع المدرسين الآخرين في دراسة أحوال التلميذ والتعرف  
على كل ظروفه - أمر مهم في رفع مستوى المتعلمين لأن نم عن شيء فإنما ينم  
عن وفاء المعلم لمهنته ولتلاميذه .

ومن وفاء المتعلم لمعلمه أن يدعو له في كل حين ، ويتفقد بالزيارة  
إن أمكنه ذلك ، ويكن له الاحترام والتقدير ، ومن وفاء التلميذ لمدرسته ونظام  
التعليم الذي علمه أن يعمل بكل ما يستطيعه لتحسينه ، وللنهوض بمستواه  
تحقيقا للميزة والرفعة لأمته وبالتالي يعمل على الجد والاجتهاد والبذل ليعبر  
لأمته عن وفاء لها .

#### ج - زيارة الإخوان :

الزيارة تعني اللقاء المقصود بين الناس في أماكن إقامتهم ، ويكثر  
تبادلها بين المتأخين في الله ، إذ أنه لا يروق لهم بال إلا بروية بعض ،  
ولو تركوا معا طوال العمر لا يداخلهم الملل ، وكل منهم في شوق دائم للقاء صاحبه  
والجلوس معه ، ولا يصبر على مفارقتها طويلا إلا بمشقة ويشعر كل منهما بزيادة  
في الإيمان والإقبال على الله كلما التقيا ، والمزاورة من مقتضيات الحياة الإنسانية  
حت عليها الإسلام ، ففي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - الذي أخرجه  
ابن حبان - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ( إن رجلا زار أخا له  
في قرية فأرصد الله على مخرجته ملكا فقال : أين تريد ؟ فقال : أريد أخا  
لي في هذه القرية . فقال : هل لك من نعمة تربتها ؟ قال : لا إلا أنني  
أحبته في الله ، قال : إني رسول الله إليك . إن الله - تبارك وتعالى -  
أحبك كما أحبته ) ( ١ ) والزيارة لا تكون لوجه الله إلا إذا كان غرضها صالحا

( ١ ) روضة العقلاء ص ٩٦ ، ورواه مسلم / بر ( ٢٥٦٦ - ٢٥٦٧ ) ٤ / ١٩٨٨ ،



دينيا ، وزيارة السلم لأخيه إما لعيادته أو لنصيحته ، أو للتدريس معه ، أو شوقا لرويته لطول غياب ، وكل هذه الأسباب عبادة يثاب فاعلمها ، والعاقلة يحدد الوقت المناسب للزيارة ، ولا يثقل على أخيه فيها ، ولا يعيث بمحتصات داره ولا يعيبها ، ولا يصحب معه من يؤذي ولا يتدخل في خصوصياته ، أو يحدث بما يكره ولا يستدرجه الى الخوض في اللغو والغيبة والنميمة والفسدة ، ودعوله ولغيره ، ويمنه على التمسك بدينه (١) والزيارة للاخوان من ضروريات الصداقة ، لأنها تبعث فيها الروح وتقهرها وقلتها تسبب الجفاء ، والبعد والتنافر بين القلوب يرى ابن حبان أن على العاقل دوام الزيارة لآخوانه وتفقد أحوالهم ، لانه في قصده ينال الأجر والثواب من الله في الآخرة إذ قال البعض : عندما يزور المرء أخا له في الله تحيه الملائكة في السماء ، وتنادي شجر الجنة الأخريات : ألا أن فلان بن فلان زار أخا في الله - ويحدث له التلذذ بالمواصلة بأخيه مع العودة بغنيمتين معا . (٢) والناس في الزيارة على ضربين : ١- الزيارة التي تقوي العلاقة ، وتزيل الخلل فيها ، فكرتها أفضل لزيادتها بالمواصلة وعدم دخول الطل فيها .

٢- الزيارة التي تورث الملالة والأولى الإقلال منها وقد رويت أحاديث بهذا المعنى منها ما أخرجه ابن حبان (زغباً تزدد حبا) (٣) ومن صحح الحسـال

(١) حسن أيوب ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ، ص ٤٣٧ - ٤٣٨

(٢) روضة العقلاء ، ص ٩٤ - ٩٧

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٨ ، يرى ابن حبان أن هذا الحديث وكل ما روي في الإقلال من الزيارة لم يصح منها خبر من جهة النقل . بينما نجد أن الحديث قد اختلف العلماء في الحكم عليه وأغلب طرقة ضعيفة لكن له أسانيد حسان عند الطبراني كما قال الحزار والهيثي . . ينظر / المنطوي / فيض القدير ٦٢/٤ ٦٣ وقال الزرقاني حسن لغيره ، مختصر المقاصد ، ص ١١٧ ، والمقاصد للسخاوي ٢٣٢- ٢٣٣ ، وابن الديبع / التمييز ، ص ٩٩ ، وضعفه الفتني ، تذكرة الموضوعات ص ٢٠٤ ، وضعفه الصفاني / ينظر الشوكاني ، الفوائد ، ص ٢٦٠ والمجلوني / الكشف ٤٣٨/١ ، وصححه الألباني ، صحيح الجامع الصغير (٢٥٦٢) ١٩١/٣ والحديث حسن .

بينه وبين الإخوان لم تضره قلة الزيارة ، لتمكن العلاقة والمودة بينهم وإذا أضرت بالصدقة قلة الزيارة فإن لم تكن الأخوة مستحكمة فالأولى قلة الزيارة لما في ذلك من الملالة والاستثقال (١) والصديق لا يستغني عن زيارة أخيه ، ولا يطيبق فراقه ، لما في الزيارة من تأليف بين القلوب ، وتسكين لرغبة كل منهما ، وحصول الفائدة المرجوة دنيويا ، من تفقد أحوال الأخ وتسليته ، وتدارس أحوال الدنيا والآخرة ، وهذه الخصلة من السلوك الإنساني تعتبر عنصرا من عناصر ودعامات التربية الاجتماعية ، إذ أنها تمثل علاقة الاتصال المباشر بالآخرين ، ولها أكبر دور في عملية التثنية الاجتماعية ، لما يحدث فيها من تعرف على أحوال الآخرين ليسهل التعامل معهم ، وبالتالي نكون مجتمع الأخوة ذلك الجسد الواحد الذي شبهه الإسلام بالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، ومن ثم فإن التربية باعتبارها المنفذ الأكبر لمخططات الأفراد والمجتمعات فإنها تستفيد من المزاورة فتقوم بجعل الفائدة منها أكبر في التعلم ، والاطلاع والمذاكرة ، والاتصال بالله سبحانه ، وفي الزيارة يجد المرء مجالا رحبا للتعاون والعمل الجمعي ، وبإمكان المدرسة تشجيع العلاقات الأخوية وتشجيع الزيارات بين المتعلمين عن طهق تكليفهم بالواجبات والنشاطات المختلفة بأن يطلب المعلم من أكثر من متعلم واحد القيام بنفس العمل معا ، ولا يطلب من كل واحد أداءه منفصلا ، وهناك بعض المعلمين يطلبون من التلميذ الضعيف زيارة التلميذ المجتهد والمذاكرة معا على سبيل اهتمام القوي منهما بالآخر ، وللزيارات بين المتعلمين فوائد جمة يمكن للتربية استغلالها .

د - قبول الهدية من الأصحاب :

هي تبادل الهدايا بين الإخوان بمعنى تقديم المرء شيئا رمزا لأخيه مما يملك لتقوية أواصر الصداقة والألفة - واستحکام المحبة بينهما ، ولا يشترط

-----  
(١) روضة العقلاء ص ٩٨ - ٩٩

أن يقدمها الأغنى منها والأكثر مالا ، ومن يقدمها لا يرجو من أخيه مقابلتها ، إنما يرجو ما يرجوه من الله بأن يقربه إلى أخيه وقد يقدم المرء الهدية إلى عدوه ليخفف من حدة العداوة والبغضا ، ويرقق بها قلبه ، ويأمن شره والناس يحبون من أحسن إليهم وخصوصا الحريصون على الدنيا الذين لا يرجون إلا متاعها ، فالهدية كالمغناطيس تجذب الخير ، وتوقف الشر والخصومة ، واستدل ابن حبان على هذه الفكرة بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( إنَّ القلوب جبلت على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها ) (١) والبشر مجبولون على محبة الإحسان وكراهية الأذى ، وحب المحسنين إليهم وبغض المئسئين ، والماعقل لا يترك المهاداة بما قدر عليه لما فيه من استجلاب المحبة له من يهدي له ، ولما في ترك المهاداة من مخافة البغض والعداوة منهم . (٢) . والهدية إذا كانت لمن لك عنده حاجة من أمور الدنيا تصبح رشوة محرمة على معطيها وأخذها ، وحاملها ، والواسطة بينهما ، ولقد قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الهدية وحثنا على قبولها كما ورد في حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - الذي أخرجه ابن حبان ( أجيئوا الداعي ، ولا تردوا الهدية ، ولا تضربوا أعناق المسلمين ) (٣) وفي هذا الخبر زجر من النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ترك قبول الهدية بين المسلمين لأن في تركها جفاء وفرقة ، وسبيل إلى الشقاء ، والواجب على المرء أن أهديت له هدية أن يقبلها ولا يردّها ، ثم يثيب عليها بقدر

(١) روضة العقلاء ص ٢١٩ ، والحديث ضعيف ، قال ابن حبان : ( قال لنا

هذان الشيخان - الحسين بن إسحق الأصفهاني ، وإبراهيم بن محمد الدستواي - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنا أهابه ) .

وضعه كل من : السخاوي / المقاصد ص ١٧١ وقال : باطل مرفوعا وموقوفا . والفتي ، تذكرة الموضوعات ص ٦٨ ، والعجلوني ، الكشف :

٣٩٥/١ وقال : ضعيف . وأبو نعيم ، حلية الأولياء ١٢١/٤ .

والشوكاني ، الفوائد ص ٨٢ ، وعلى القاري ، الأسرار المرفوعة

ص ١٧ وابن الديبج ، التمييز ص ٧٣ - وقال باطل : والمنسأوي ،

فيض القدير : ٣٤٤/٣ - ٣٤٥ ، والألباني ، ضعيف الجامع الصغير

(٢٦٢٤) ٧٧/٣ (٢) روضة العقلاء ٤ ص ٢١٩

(٣) المرجع السابق ص ٢١ ، وأحمد ٤٠٤/١ ، والحديث أخرجه البخاري نحوه

في إجابة الداعي / أحكام ٨/ ١١٤ وفي قبول الهدية / زكاة ٣/ ١٣٣ أي أن معنى الحديث وارد .

طاقته وشكر المهدي لأنها خير لآخوان تجلب المحبة وتذهب الضغينة (١) ومن أداب المهدي رويته الفضل لأخيه المهدي إليه ، والسرور بقبول الهدية ، وشكره على قبوله إياها ، وأن ينظر إليها بعين القلة ، وإن كثرت ، وهذا من التواضع للاخ والمرفان لنعمة الله عليه ، أما المهدي إليه فمن أدابه إظهار السرور والغبطة بالهدية وإن قلت والدعاء للمهدي وإن غاب ، والتبسم والبشاشة في وجهه ، والمكافأة على هديته إن قدر ، والثناء عليه مع ترك الخضوع له ، والتحفظ من زهاب الدين معه ، ونفي الطمع معه ثانيا ، وأن يظهر لسه كرتها ، وأن يشكر للمعلى مارزقه من صحبة أخ لا ينساه . (٢)

وفي الأخذ بمبدأ الشهادة أهمية كبيرة في ميدان التربية ، إذ أن الهدية ما يعطى للمريدون جهد أي لا تمنى أجرا مقابل عمل معين . والجائـزة ما يعطاه المرء مقابل عمل قام به والجوائز والمكافآت التي تعطى للمرء ، لا تعبـر عن أجره على ما قام به من عمل بل على سبيل الإثابة على عمله تقديرا لجهوده وحثا له على تقديم المزيد ، إذ أنها نوع من الشكر على العمل الحسن ، بينما الهدية تقدم لزيادة رابطة الصداقة والمودة بين الأفراد .

وبإمكان السلطات العليا في البلاد أن تقدم المكافآت للمعلمين ، لأن هذه المكافآت تزيد من كفاءة المعلم واهتمامه في عمله ، وهي أمر مستحب في التربية . . ولكن على المعلم ألا يطلب الهدية من المتعلمين عنده ، لأن فـي ذلك انتقاص من قدره لدخول الشبهة في أن تكون هذه الهدية على سبيل الرشوة أما إن أعطيها من غير طلبه فلا بأس في قبولها ، ولقد كان كثير من المرءين المسلمين يمتنعون عن قبول الهدية من الطلاب . وفي الجانب الآخر فإنهم كانوا يقدمون الهدايا التشجيعية للمتعلمين على صورة جوائز ومكافآت على اجتـهادهم . (٣)

(١) روضة العقلاء ص ٢١٨

(٢) الغزالي ، الأدب في الدين ص ٤٠ - ٤١

(٣) ينظر حاشية ص ٢٠٢ من تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة .

هـ - قبول الاعتذار :

العتاب والاعتذار من أهم ما يصفى العلاقة بين الأخوين في حال وجود ما يكدرها ، والاعتذار يكون من المخطي\* في حق أخيه ، فيبتر موقفه ، ويستسمح خاطر أخيه ، معترفا بذنبه طالبا العفو على زلته ، أما العتاب فيكون من صاحب الحق حين يسأل صاحبه عن خطئه لماذا فعله ، والعاقبل إذا صحب إنسانا فرأى منه زلة فرفضه بقي وحيدا لا يجد من يعاشره . وعليه أن يفضي عن زلات أخيه الصادق ، ولا يناقش الصديق السي\* على عثراته (١) لأن الخطأ حصل منه في سوء اختيار صحبته ، ولا ينبغي للعاقل أن يمل من عتاب أخيه ، لأن المعاتب يريد المصافاة ومن يزهد في صاحبه يستهين بزلاته وذنوبه ، وبالتالي لا يعاتبه ، إذ العتاب للصديق كالسبك للسبيكة ، فإما تصفو وإما تطير (٢) والعاقل لا يقصر عن معاتبه أخيه على أخطائه لأن في العتاب محافظة على الأخوة ، إذ أن به ثقل الذنوب ، وهو خير من الحقد ، وأنفع من الصفع ، إذ أن في العتاب معالجة للخطأ المودى إلى الشقاق ، بتفهم أسبابه ، للإقلاع عنها ، أما في الصفع بدون عتاب فإن الخطأ قد يتكرر مرة أخرى لعدم مناقشته وبحث السبب الذي أحدثه لأن المخطي\* ربما يعتقد أنه فعل صوابا ، وهو في نظر غيره خطأ . والعاقل لا يكثر من العتاب كي لا يعسود الأخ إلى ما عوتب عليه ، فيسمله ويقلاة في نفس الوقت ، والإكثار في المعاتبة يورث الجفاء ويقطع المودة . (٣) ولقد أمرنا الدين الإسلامي بقبول الاعتذار من الإخوان ، وحذرتنا من عدم قبوله لما في عدمه من القطيعة والهجران الذي يضعف الإيمان ، ولقد أخرج ابن حبان من حديث جودان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من اعتذر إلى أخيه فلم يقبل منه

- 
- (١) روضة العقلاء ٤ ص ٥٨  
(٢) ابن حزم ، الأخلاق والسير ص ٤٠  
(٣) روضة العقلاء ٤ ص ١٥٨

كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس (١) ويرى ابن حبان أن على العاقل الانصياع لأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والعفوع عن أخيه المسيء - إذا جاءه معتذرا وينسى ذنبه ، وإن أذنب في حق أخيه فليعتذر إليه ، لأن الاعتذار عن الزلة يوجب تسكين الغضب عنها ، وفي الاعتذار تكسب قيمة خلقية رفيعة بإمكان التربية استغلالها والإفادة منها في تهذيب النفوس ، وتوجيه السلوك ، إذ أنه أداة تنزل الحواجز عن علاقة الإخوان ، وتصحح عنها كل ما يؤدى إلى الخلل فيها . والمعلم والمدير والتلميذ والوالد وأي فرد يخطئ ويصيب ، فهو بحاجة إلى تصويب خطئه ، والرجوع عنه ، ويجد في الاعتذار سبيلا إلى ذلك . واعتذار المعلم لتلاميذه يحبه لديهم واعتذار التلاميذ يكون أكثر من غيرهم إما لعدم الحضور ، أو للسرхан في الفصل ، أو البعث في شيء ما ، أو عدم المذاكرة ، ويمتدح المتعلم عندما يجد نفسه في موضع حرج وعلى المعلم أن يقبل اعتذار تلميذه ، أما إن تكررت أخطاؤه فإنه يخشى عليه من الركون إليها وبالتالي يحاول المعلم الدخول إلى نفسية المتعلم والتعرف على ظروفه ومشكلاته ليسهل عليه مساعدته . وإن كثرة الاعتذار سواء من المعلم أو المتعلم تعير عن عدم توفيق المرء في عمله ، إما كرها لهذا العمل أو لعدم المقدرة عليه ، وهذا يبين لكل منهم مدى اهتمامه ، وتوفيقه في هذا العمل . وأسلوب الاعتذار الذي بينه ابن حبان يرشدنا إلى سلوك راقى في المعاملة الخلقية القائمة على الاحترام والود المتبادل وتقدير ظرف كل إنسان ، والإحساس بشعوره .

و - عدم قبول قول الوشاة :

الوشاية والنميمة أمر واحد تقريرا وهي من الأمراض الاجتماعية

---

(١) روضة العقلاء ، ص ١٥٩ ، وابن ماجه ، أدب (٣٧١٨) ٢ / ١٢٢٥ ،  
والحديث ضعيف . ينظر: العجلوني ، كشف الغطاء - ٢ / ٣٢٣ ،  
والألباني ، ضعيف الجامع الصغير (٥٤٥٢) ٥ / ١٧١ .

الخطيرة التي تفتك بوحدة وتماسك نظام الجماعة ، ولقد وضعها الباحث في هذا الموضوع من البحث رغم أنها من الأمراض الاجتماعية ، لأن علاقة الإنسان بإخوته وأصحابه أقوى من علاقته بالعامّة ، إذ أن العلاقة الخاصة - الصداقة - تحتم على المرء معرفة أمور كثيرة - من دقائق وتفاصيل الأخبار عن صديقه بحكم الملازمة والمعاشرة فإن كان يقبل الوشاية في هذا الموطن - ضد أخيه - فإنه يقبلها فسيحق العامة ، ومن هنا رأى الباحث الحديث عن الوشاية وقبولها في باب الصداقة إذ أن من صفة الأصحاب عدم قبول الوشاية من أي إنسان ضد صاحبه لأن قبولها من أكبر مفسدات الصداقة ، والوشاية عبارة عن نقل الكلام السيء الذي يفرق بين الناس ، ولقد نهى الإسلام عن الوشاية والنميمة وحذر منها ، لأنها تاكل الحسنات كما تاكل النار ورق العوسج ، وزجر الواشي ، - النمام - وهدده بفضب الله وعدم دخوله الجنة . ولقد أخرج ابن حبان من حديث حذيفة - رضي الله عنه - أنه بلغه أن رجلاً ينم الحديث فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( لا يدخل الجنة نمام ) (١) ويرى ابن حبان أن في ذلك عقاب من الله لمن اشتغل بهذه الخصلة الذميمة الحقيرة التي تفسد العيش وتفسد بين المرء وأعز الناس وأحبهم إلى قلبه ، وعلى المسلم الابتعاد عن التفكير في سبب الشحناء الذي يفرق الجمع ويفكك العلاقات الأخوية (٢) والنميمة أحد من السيف ، وسرعان ما تفسد المودة ، وتشعل نار الفتنة ، والعاقلة لا يجيب على كلام نقسل إليه عن قائل حتى يتأكد أنه قاله ، فإن من نقل إليه كذبا رجع من عنده بحق ،

(١) روضة العقلاء، ص ١٥٣ ، رواه البخاري ، أدب ٨٦/٧ ، ومسلم / إيمان (١٠٥) ١/١٠١ . والترمذي / بر (٢٠٢٧) ٤/٣٧٥ ، وأبو داود / أدب (٤٨٧١) ٤/٣٧٠ ، وأحمد ، ٣٨٩/٥ ، ٣٩١ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩ ،

(٢) روضة العقلاء، ص ١٥٣

وينبغي له أن يتحفظ ولا يجيب إلا عن كلام صح عنده عن قائله (١) ، وهو لا يقبل أي وشاية على صديقه ، ولا يصادق عدوه ، ويرى ابن حبان أن الواشي إذا نقل صدقا فقد أفشى سرا أو ثمن عليه ، وهذا خيانه ، والعاقلة لا ينبغي له أن يشفي في خائن ، وإن كان كاذبا فلا ينبغي تصديق الكاذب ، والواجب على العاقل الإغضاء عن أي وشاية ينقلها الوشاة ، ومعتبر كأنها لم تكن ، ولا يليق به أن تخرجه الوشاية إلى حال الجهال ، وأخرى به أن يبقى في اتزان ورزانه ، لأن من وشى بالشيء إلى إنسان بعينه يقصد إيذاء المخبر أكثر من قصده المخبر عنه ، لتبليغه بما يصعب عليه سماعه ، ولا يتوقعه (٢) . وفي هذا ضرر على الأخوين معا ، ولما كانت الوشاية ضارة بالطرفين وقاطعة للرحم ، وواصلة لحبائل الشيطان ، وأن المرء معها قد يرتكب جرما أو يفعل حراما فإنها من أكبر الآفات الفاتكة بالجماعة ، ولذلك حاربها الإسلام وأمرنا بعدم قبولها ، وزجر الواشي وأمره بعدم العودة إلى فعلته مع إشعاره بأنه كاذب .

وتستفيد التربية من التأكيد على عدم قبول قول الوشاة ، حيث أن الوشاية تكون من إنسان لم تبلغ به الثقة نفس الدرجة التي تبلغها فيمن يوشى عنه ، وفي الدين قاعدة : اليقين لا يزول بالشك ، والأصل التيقن من إخلاص ونقاء الصديق ، وليس الشك فيه ، إنما الشك في الواشي ، وفي هذا الأمر فائدة للمعلم والمتعلم بعدم قبول المعلومات من أي مصدر دون التثبت منها ، إذ أمرنا الدين بالتثبت والتيقن من كل أمر نعتقد أو نفعله ، فمأثرت بدليل قطعي نأخذ به ونقدمه على الدليل الظني ، وكل ما جاء به الشرع قطعي الدلالة فمعارضه من نتائج العقول - الظني الدلالة - نطرحه جانبا ونأخذ بالأصوب - إذ أنه ينبغي على المدرسة أن تربي التلاميذ على عدم استعمال هذه العادة ، وأن يعتبروا

(١) ابن حزم ، الأخلاق والسير : ص ٢٩٦

(٢) روضة العقلاء ، ص ١٥٥



الواشي خائفاً أو كاذباً . ومن ثم فلا يقدر خبره ، ولا تقبل وشايته .

ومن هنا نجد أن التربية تستفيد استفادة كبيرة من آراء ابن حبان في الصداقة إذ أن من واجب العربي ، والمؤسسات التربوية تنمية روح الأخوة فيمن يربون ، وأن يجعلوهم ينظرون إلى إخوانهم كما ينظرون لأنفسهم لا فرق بين المرء وأخيه ، لأن الجميع خلق من تراب ، ومردّه التراب ، والفضل إنما يكون بمدى الارتباط بالله وتقواه ، والتزام شرعه ، والتأديب بآدابه ، في كل سلوك صغير أو كبير يسلكونه ، الاحتفاظ برؤية الفضل لأهله ، بحسب ما يظهر من غلبة سلوكهم الخير على الشرير ، حيث أن في تعويد المتعلم احترام أهل الخير والعمل الصالح . عمل تربوي يشجع على انتشار الفضيلة .

#### د - دور العقل في محاربة العادات السيئة :

لا بد لأي نظام تربوي يريد أن ينجح من تنقية البيئة والنفس فيها من المفسد التي تتعارض مع هذا النظام ، وبما أن الإنسان لم يخلق معصوماً من الزلل فإن التربية الإسلامية لا بد لها من العمل على رعايته وحمايته ووقايته من الأضرار الاجتماعية التي تفتك بأخلاق الجماعة التي يعتبر الفرد لبنة من لبناتها وقد عدت التربية الإسلامية إلى الدقة في معاملتها مع الأفراد والمجتمع في علاجها واستئصال كل ما يشينه ويذهب بها ، من الصفات الدنيئة ، وألبسته حلقاتها من الخصال الكريمة والأخلاق الحميدة التي لم تبلغها أي تربية أو نظام فكري إنساني على وجه الأرض ، ولن تبلغها ، أو تبلغ العزّه إلا بالتزام منهج الله سبحانه ، وفعل ما يرضيه ، وترك ما يفضيه وسخطه ، وفي حديثنا عن هذا الجانب نبين أثر العقل في محاربة العادات الخبيثة ، وأن العاقل يجتنبها ويظهر أخلاقه من شوائبها .

## ١- الحرص على الدنيا :

الحرص على الدنيا من الأمور المشينة للمرء ، السبعة عن الله سبحانه ، وهو من صفات اللثام ولن دل الحرص على شيء فإنه يدل على عدم التوكل على الله ، وعدم القناعة بما قسم الله ، والشج بما يملك بالحرص والرغبة في الدنيا الفانية صفقة وضعها الله في البشري لا تخرب الدنيا ، إذ هي دار الأبرار ، ومكسب الأتقياء ، وموضع زاد المؤمنين واستجلاب المعيرة للصالحين ، ولولا الحرص على الدنيا لخربت وبطلت ، ولم يجد المؤمن من يستعين به على أداء فرائض الله ، والإفراط في الحرص على الدنيا سيئة وخصلة ذميمة (١) والحرص ينمو لدى المرء ويـزداد كلما هرم وشارف على مفارقة الدنيا . فحينها تبدأ الحياة تعظم في عينه فـإن عمل صالحاً فإنه يرى تقصيره ، وقلة عبادته وطاعته لله - بالقدر الذي يستوجب غفران المولى سبحانه ، أو عمل غير ذلك ويتيقن من ضلاله - فيرغب في الهروب من حساب الله ، ولقد أخرج ابن حبان من حديث أنس رضي الله عنه - قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم - : ( يهرم ابن آدم وتشب معه اثنتان : الحرص والحسد ) (٢) والحرص على الدنيا من الأخلاق القبيحة لعافيه من التشاغل عن أداء فروض الله وشعائره ، ويرى ابن حبان . أن الحرص سبب الفقر النفسي وعدم الرضا بقدر الله ، وهو سبب لإضاعة الموجود عن مواضعه ، وهو داعية إلى الحرمان . كما أن الجبن داعية إلى القتل مع أن الحرص لا يزيد في رزق العبد ، وهو مانع لصاحبه من الاستمتاع بما عنده ، فيجهد نفسه في طلب أمر قد يحول الموت بينه وبين بلوغه ، وعدم الإفراط في الحرص والالتكال على الخالق من أسباب ظفر المرء بما يعجز عن بلوغه بسعيه وهو علامة الفقر كما أن البخل جلباب المسكنه ، ولقاح الحرص البخل ، وهو وثيق الصلة بالنع ، ويبقى الحريص في توتر نفسي وحرصه قد يسوقه إلى الخطأ ويجلب له المذمة في الدارين بينما القناعة فيها الأمن النفسي وراحة البال . ومن الحرص ما يحمي المرء وهو ما كان بقدر إقامة فرائض الله

(١) روضة العقلاء ص ١٠٩

(٢) المرجع السابق ص ١٠٩ ، ورواه مسلم ، زكاة (١٠٤٧) ٢/٧٢٤ - الترمذي

زهدي (٢٣٣٩) ٤/٥٧٠ ، وابن ماجه / زهدي (٤٢٣٤) ٢/٤٢٣٣ -

وأحمد ٣٦/١١٥ ، ١٩٢٠ ، ٢٥٦٠

وطاعته ، وهذا إن كان حرصاً لذات غلنا نفع منه ، وينبغي للعاقل إن لم يعرف بالسماحة والقناعة والكرم ألا يعرف بالبخل والحرص على الدنيا إن هو بشئ الشعار فـ في الدارين . ( ١ )

هذا بالنسبة لأمر الدنيا ، لكن بالنسبة للتربية والتعليم فالحال مختلف ، إذ أن الحرص هناك يكون على المتاع المادي ، إنما الحرص على التعلم والازدياد من العلم والتأديب . إذ أنه العامل الذي يعطي شحنات للمتعلم لدفع العملية التعليمية إلى الأمام ، وهو سبيل النجاح وإحراز التقدم والتفوق ، لكن هذا الحرص إن كان لأجل العلم ولم يكن مربوطاً بالله فيصبح كالحرص على المال وجمعه لا يزيد المـ إلا هـما ، وعلى المدرسة أن تقوم بحماية الحرص على الدنيا الفانية ، وتوجيه طاقات التلاميذ إلى الحرص على التزود من المعرفة بما يصلح لهم دينهم ودنياهم وآخرتهم وبهذا تكون التربية قد استغلت هذه الطاقة وجهتها الوجهة الخيرة .

ولقد ذم العلماء العلم المرتبط بالجاه أو المال أو أي أمر من أمور الدنيا فيرى ابن حبان أن هذا الفعل من أقبح الأمور التي تعيب العالم . ( ٢ )

وفي الحديث الذي أورده في الحديث عن العلم ( ٣ ) ( لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء أو لتماروا به السفهاء أو لتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار - ولكن تعلموه لوجه الله والدار الآخرة ) . يرى ابن جماعة أن الذي يطلب العلم لأغراض الدنيا من جاه أو مال أو مكاشرة في الأتباع والطلاب لا ينال من شرف العلم الذي بينته لنا السنة المطهرة شيئاً . ( ٤ )

( ١ ) روضة العقلاء ص ١١١ - ١١٢

( ٢ ) المرجع السابق ص ٢٠

( ٣ ) ينظر تخريج الحديث ص ١٢٩ من هذا البحث

( ٤ ) تذكرة السمع والمتكلم ص ١٣

## ٢- الطمع :

يرتبط الطمع بالحرص على الدنيا ارتباطا وثيقا وينتج عنهما البخل ، وقد يقال : إن الطمع والبخل نتاج الحرص وعدم التوكل على الله والقناعة بما قضى ، ولذلك كانت هذه الأمور من ضعف الإيمان بالله ، والطمع عكس القناعة ، وهو الرغبة في الازدياد من الشيء المضموع فيه بأي شكل من الأشكال ، ولئن كان الطمع في الدين والعلم والازدياد من مؤنة الآخرة فهو محمود ، ولا يعتبر طمعا بل اجتهدا ، والطمع لا يكون إلا شرا ومعصية لله تعالى لأنه حرص على تحصيل أكثر ما قدر الله من الأقوات والأرزاق ، والطماع يحرم نفسه وأهله من السعادة ، وقد يقوى عليه الشيطان فيطغيه إلى سفك الدماء ، والاحتيايل وارتكاب الحرام في سبيل الحصول على أكبر قدر ممكن من المال . ولقد نهانا الإسلام عن الطمع ، وأمرنا بالابتعاد عنه لما فيه من تسخط قضاة الله ، ورفض قسمته ولما فيه من الغي والسير في طريق الخسران ، ولقد أخرج ابن حبان من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال : ( جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله علمني عملا إذا أنا علمته أحبني الله وأحبني الناس ، فقال : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ) (١)

وفي هذا الحديث بيان لأن السبل لبغض الناس للمرء الطمع فيما يملكه - والسبيل في بغض الله للعبد طمعه الزائد في الدنيا ومتاعها الزائل . إذ الطمع فقر حاضر ، ولا غنى لظماع ، والطمع قيد للرجل ، وطمع على اللسان ، والسبيل لتركه هو روية الأشياء من مكوناتها بدوام الخلوة وترك الناس . (٢)

وليتخلص المرء من هذه الغصلة المردية عليه ألا يشغل نفسه بكسب المال

---

(١) روضة العقلاء ص ١٢٠ ، رواه ابن ماجه ، زهد (٤١٠٢) ١٣٧٣/٢ .

والحاكم ٣١٣/٤ ، وأبو نعيم ، حلية الأولياء ٢٥٣/٣ ، والألباني ،

صحيح الجامع الصغير (٩٣٥) ٣١٥/١

(٢) روضة العقلاء ص ١٢٠ - ١٢٢

مادام الله سبحانه قد كتب له رزقه لكن عليه أن لا يخلد إلى الكسل وهدم العمل . كما أن عليه أن ينظر إلى من هم أفقر منه ، وأتقى منه . والطمع من الأمراض التي تهدد كيان الأمة ، وتذهب الأمن من الحياة ، وقد يدفع المرء طمعه إلى اقتراف الآثام وارتكاب الجرائم ، ومن هنا يبرز دور التربية في معالجة هذا الوسواس وتوجيه حب الإنسان إلى الازدياد من الخيرات إلى ما يرضي الله سبحانه وما ينفع الناس . إذ أن الإنسان مفعول على حب النعم والخيرات ، ولديسه دافع التملك ، والتربية توجه المتعلم إلى الازدياد من العلم ، والمعرفة والتبحر فيها ، لذا فإننا نجد لها ثبوت عن شتى الوسائل التي تزيد من الاجتهاد والمثابرة ، وكثرة الاطلاع والدراسة ، وعلى المعلم أن يشجع تلاميذه إلى عمل مكتبات خاصة في بيوتهم ، والعمل على إثرائها والاستفادة منها ، ويشجعهم أيضا على التزام الفضائل الخلقية ، والازدياد من العبادة لله تعالى ، وكذلك الازدياد من فعل الخيرات والاجتهاد في طريق الكمال الإنساني .

والتربية توجه المرء إلى توجيه طموحه وحبه في الازدياد من النعم إلى فعل الخيرات ، وزيادة الاهتمام بمهنته ، وتحسين كفاءته وخبراته وقدراته العلمية وتنمية مواهبه .

### ٣- التجسس وسوء الظن :

الإنسان مفعول على البحث والتنقيب وحب الاستطلاع ، وهدم الاكتفاء بقدر معين من المعلومات ، والتقدم الحضاري الذي بلغته الإنسانية في مجال العلوم التجريبية مرده إلى حب البحث عن المجهول . أما التجسس فهو ضرب من حب الاستطلاع ولكنه ينصب على أسرار الناس وأخبارهم المستورة بحثا عن العيوب والنقائص للتشهير بهم وفضحهم ، أي هو تتبع العيوب التي يستاء الإنسان من ذكرها ، أو معرفة الغير لها ، ولقد نهانا الله - سبحانه -

عنه حيث قال : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا . " الحجرات / ١٢ . وفي الآية نهى صريح من الله سبحانه عن التجسس ، وعن الظن السيئ الذي فيه الإثم بما فيه من اتهام الناس ، والريبة فيهم بما هم براء منه ، وفي الحديث الذي أخرجه ابن حبان عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( يَا أَيُّكُمْ وَالظَّنِّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ) (١) ذلك لأن الظن والتجسس من الداء العضال التي تفتك بالامة وتفسد عليها سعادتها وأمنها ، ولما فيها من الخيانة وهتك أستار الناس ، إذ أن من عصى الله وستر معصيته ، وأغلق بابه لا يجوز أن نتجسس عليه ، كما أنه لا يجوز الدخول عليه في بيته بغير إذنه لرؤية ما يدور في بيته من المعصية ، إلا أن يظهر المنكر في الدار بشكل يعرفه من كان خارجها كأن يحدث صوت يسمعه المارة دون قصد التصنت تحت الجدران - يدل على معصية معلومة بالنصوص القاطعة ، ولا تكون موضوعا خلافا بين العلماء (٢) وفي الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( من أطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفتقوا عينه ) (٣) .

وقد يحدث التجسس في المجلس باستماع المرأة إلى حديث قوم وهم له كارهون

(١) روضة العقلاء ص ١٠٥ ، والحديث رواه البخاري بآدب ٨٨/٧ - ومسلم ،

بر (٢٥٦٣) ١٩٨٥/٤ ، مالك حسن الخلق (١٥) ٩٠٧/٢ والترمذي ،

بر (١٩٨٨) ٣٥٦/٤ ، وأحمد ٢٤٥/٢ ٢٨٧٥ .

(٢) حسن أيوب ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ص ٤٧٤

(٣) رواه مسلم ، آدب (٢١٥٦) ١٦٩٨/٣ - وأحمد ٢٦٦/٢

فمن فعل ذلك فقد صب في أذنيه الاتك - الرصاص المذاب - يوم القيامة ، ويدخل في ذلك التجسس عن طريق آلات التصوير والتسجيل ، والأقمار الصناعية وغيرها والتجسس محظور بشكل عام على كل من يؤمن بالله واليوم ، الآخر . ويرى ابن حبان أن الواجب على العاقل ترك تتبع عورات الناس ، والاشتغال بإصلاح عيوبه ، لأن في ذلك راحة للقلب والبدن ، فكلما عرف عيبا في نفسه هان عليه عيب غيره ، إذ أن من رأى عيوب الناس وغفل عن عيب نفسه فقد عي قلبه وأن من أعجز الناس من عابهم بما فيههم وأعجز من عابهم بما فيه ، ومن عاب أمرا عابه غيره ، لأن الكل معرض للخطأ ، والتجسس من شعب التفاق وحسن الظن من الإيمان ، والعاقل يحسن الظن بغيره ، ويفترق بهمومه ليزيلها . ( ١ )

ويرى ابن حبان أن من سوء الظن ما هو محمود وخصوصا ما كان بالنسبة لرجل بينك وبينه عداوة أو شحنة في دين أو دنيا وتخاف على نفسك مكره ، وهنا يلزم سوء الظن بمكايده ، ومكره فتحتاط منه كي لا يصادفك على غرة فتهلك به ، والظن السيئ \* إن كان عن تخمين يذم به صاحبه ، وخصوصا إن كان في حق مسلم ظاهر الصلاح ، وكذلك إن كانت إساءة الظن في الذي أو المعاهد ظلما فحرام وكثير ما يجر الظن السيئ \* إلى اقرار الذنوب والمعاصي والعيان بالله .

والتربية الإسلامية تحارب التجسس وسوء الظن من خلال محاربة الإسلام لهذه العادة القبيحة التي تؤدي إلى إفساد الجماعة وإضعاف قوتها ، وبالتالي لا تقف عند هذا الحد السلبي بل توجه هذه العادة وجهتها الصحيحة ، فتأخذ بيد المتعلم إلى الاطلاع على فنون المعرفة والاطلاع على أحدث المبتكرات والمخترعات العلمية ، بل تتعدى ذلك إلى بك روح الابتكار والاكتشاف والتجديد في وسائل الحياة ، والتعرف على أسرار الحياة واستخلاص العبر من الدقة العجيبة

والإتقان في خلق الله سبحانه .

وبإمكان المدرسة توجيه سوء الظن في الأمور العسكرية ، وما ينقله اليها الأعداء من أباطيل لتضليلنا وخداعنا ، وسوء الظن في الأمور المعرفية في العلوم الاجتماعية والثقافية التي تصدر إلينا لمافيها من إفساد لأبناء الأمة ، وسوء الظن بكتابات زهول الاستعمار ومحاربي الثقافة الإسلامية . . هذا في نظري بعض ما يمكن أن تستفيد التربية من موضوع التجسس .

#### ٤- الحسد والبغضاء :

إن النفس قد جلبت على حب الرفعة ، فهي لا تحب أن يعلوها جنسها ، فإذا علا عليها شق عليها ، وكرهته ولقد عرف ابن حبان الحسد بقوله : ( هو اسم يقع على إرادة زوال النعم عن غيره ، وحلولها فيه ) (١) . وهذا أمر مركوز في الطباع ، وهو انفعال نفسي إزاء نعم الله على عباده ، ومرض نفسي خطير ذو آثار سلبية تلحق الحاسد فتوذه ، في صلاته وعلاقاته الاجتماعية ومعاملته لمن يحسده (٢) ، وقد يمتد الحسد إلى القتل والضرر سواءً لقريب أم بعيد ، وسواءً أتبع انفعاله بسعيه لإزالة النعمة عن أخيه تحت تأثير الحقد والغیظ أم لا فإن شراً يمكن أن يعقب انفعاله . (٣)

ويرى ابن حبان أن الحاسد لا يكتفي بحب زوال النعمة عن غيره بل يريد حلولها فيه ، ومعمل لتحقيق ذلك ، أما إن رأى الخير في غيره وتمنى التوفيق لمثله أو الظفر بحاله بدون إرادة زواله عنه فليس هذا بالحسد المذموم الذي ينهى عنه ، والحسد يكون لمن عظمت نعم الله عليه إن كلما زادت هذه

(١) روضة العقلاء ص ١١٤

(٢) حسن أيوب ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ص ٨٥

(٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن ٤٠٠٨/٦



النعم ازداد معها الحساد ، (١) والحسد ضرب من الحماقة لأن اغتصاب المرء برزق أقربائه ، وأهل بلد ، يقتضي أنه ربما يغتم بما يناله أهل بلد بعيد على أنه الخير الذي يناله أقاربه أنفع له مما يناله الآخرون .

ولقد ورد ذكر الحسد في كتاب الله تعالى على أنه خصلة ذميمة ، وأمرنا سبحانه بالاستعاذة منه قال تعالى : " وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ وَنَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَقَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ " البقرة / ١٠٩ .

وقال سبحانه - آمرا النبي - صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الحساد : " قُلْ أَعُوْذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . . . وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ . " الفلق / ١-٥ وأخرج ابن حبان من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ( لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ) (٢) . ويرى ابن حبان أن الحساد يورث الكمد ، والحزن وهو داء لا شفاء له ، والحاسد يشمت بعشرة محسوده ، ويهت بهم لمن أنعم عليه فيظهر حسده على وجهه ، ولا يرضيه إلا أذى الناس ، ومن خلد إلى الراحة ثم حسد الناس كان عاجزا ، فالقانع أراح بدنه وقلبه ، والثليم أتعب بدنه وقلبه ، والكرام أصبر نفوسا أما اللثام فأصبر أجسادا (٣)

(١) روضة العقلاء ص ١١٣ - ١١٤

(٢) المرجع السابق ص ١١٣ ، ورواه البخاري ، أدب ٨٨ / ٧ - ٩٠ ، ومسلم ٦ بر ( ٢٥٥٩ ) ١٩٨٣ / ٤ - وأبو داود ٤ أدب ( ٤٩١٠ ) ٢٧٨ / ٤ والترمذي ٦ بر ( ١٩٣٥ ) ٣٢٩ / ٤ - وابن ماجه ٤ دعاة ( ٣٨٤٩ ) ١٢٦٥ / ٢ - ومالك لمحسن الخلق ( ١٤ ) ١٠٧ / ٢ - وأحمد ١٤ ٧٢٥٠٣ / ١ وغيرها .

(٣) روضة العقلاء ص ١١٦ ، ١٣٠ ، ١٣١

والتربية الإسلامية تشجع على التنافس ، وفي نفس الوقت تحت على التعاون والمودة ، وعند ما يتنافس الطلاب في جو مشبع بالأمن والاطمئنان النفسي فإن النتائج الضارة للتنافس - ومنها الحسد - لا تجد إلى النفوس سبيلا . إن أن في هذا العمل مجاهدة ومحاربة للحسد ، والله سبحانه قد أمرنا بالتنافس في فعل الخير حيث قال : " وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ " المطففين / ٢٦ . وعلسى المعلم أن يستحث المتعلم على الاجتهاد والعمل الجاد لرفع مستواه ، وعدم حسد الآخرين على ما حصلوا من درجات باجتهادهم .

أما بالنسبة لتمي بعض المتعلمين زوال الدرجات التي استأثر بها البعض عن طريق الغش ومحاولة الوقوف أمام استمرارهم في الغش فهو ليس حسدا . لأن هذه الدرجات نعمة وليست نعمة ، ومن هنا ينبغي أن تعمل المدرسة على تدعيم روح التنافس الشريف نحو الجهد والاجتهاد ، ومحاربة الحسد وكل العادات الذميمة .

#### ٥ - الكذب والفجور :

الكذب عادة قبيحة مضمونه الإخبار بما لا يعتقد مخبره بصوابه ، ويرى ابن حبان أن الكذب صفة ضعف النفوس والشخصية إذ أنه يردي صاحبه ، ولا يترك له ما يصدق به (١) وفيه من المبالغة في القول بما يجعل السامع يفهم منه أكثر من الحقيقة ومنه أن يحذف المتكلم بعض الحقائق وذكر بعضها ، والكذبة الواحدة قد تستوجب عدة كذبات لتغطيتها (٢) واعتقاد الكذب يخرج الإنسان عن إنسانيته إذ أن الإنسان خص بالنطق ، ومن عرف بالكذب لا يعتبر نطقه ، وبالتالي لا ينتفع به ، فيتساوى مع البهائم بل شراً من البهيمة ، لأن البهيمة إن لم تنفع بلسا نها

(١) روضة العقلاء ص ٣٩

(٢) أحمد أمين ، كتاب الأخلاق ص ١٨٦ - ١٨٧

لمتضر، بعكس الكاذب (١)، ولقد استدل ابن حبان بالحديث الصحيح (إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) (٢) والكاذب يفقد ثقة الناس حتى حين يصدق، ويرى ابن حبان أن الكذوب يفضحه كذبه، إذ أنه رأس الذنوب الذي يبدي الفضائح ويكتم المحاسن (٣) ومن شأنه قلب موازين الأمور وتشويه الحقائق، ولن تجد جريمة تجر جر ذيلها وتستشري بين الناس إلا وكانت محفوفة بالأكاذيب حتى توحى لمن يراها أنها الفضيلة. والكاذب على الناس يكذب على نفسه وفي نهاية الأمر لا يستطيع التفريق بين كذبه وصدقه، ولقد ذم الله سبحانه الكذابين حيث قال: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ" غافر/ ٢٨ وقال تعالى: "وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ" الزمر/ ٦٠، وقال تعالى: "إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ" النحل/ ١٠٥ وللشرع حكمة بالغة في تحريم الكذب والتفجير منه والتشديد على الكاذب لما يترتب على كذبه من نتائج سيئة وخطيرة على الفرد والمجتمع منها:

- ١- إنه يجر إلى المشاحنات، وعدم الثقة في الكاذب في جميع الأمور والمعاملات.
- ٢- يترتب على الكذب مآسي كثيرة، من هدم للبيوت وقتل للأنفس البريئة، وتوسيع شقة الخلاف بين الأهل والأقارب والأصدقاء، واشعال نار الحرب التي لا هوادة فيها ولا تقف عند حد. (٤)

وأشد أخطار الكذب النفاق، وهو إخفاء المرء غير ما يبدي، ومنه الملق،

(١) الأصفهاني، الذريعة ص ١٣٥

(٢) روضة العقلاء، ص ٣٧

(٣) المرجع السابق ص ٤٠

(٤) عبد الله عبد الرحيم العبادي، من الآداب والأخلاق الإسلامية ص ٢٣٥

وهو مجاملة الآخرين بالثناء على ما لا يحمدون عليه ، والحق أن لا يستعمله المرء ، بل يصوب الخطأ بأسلوب مهذب ، لا يخرج الآخرين ، ولا يكذب عليهم بعد فهمهم بما ليس فيهم ، وأقبح الكذب وأشدّه عقوبة - الكذب على الله ، وعلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - وفيما روي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ) (١) وفي هذا النوع من الكذب يقسم المرء الكاذب بتحليل حرام أو بتحريم حلال ، أو الابتداع في الدين ومن الكذب أيضاً الحلف باليمين الفاجرة التي تجمع إلى جانب الكذب الاستهانة بالمحلف به ، ومن علامات الحق التذليل على الرأي باليمين ، وبإباحة من الكذب ما كان فيه رجاء نفع أخروي كأن يسألك امرؤ عن مسلم وهو يريد به شراً ، فتجيبه كذا لتحفظ حياته ، وتحجب الشر عنه ، وكذا ففي إصلاح ذات البين وهي حالة التمويه على العدو ، ومن وقع في الأسر ، والمباح هنا حديث المعارض باستخدام التورية والكنايات ، وليس الكذب الصريح ، وذلك في الحالات الضرورية كما هو مبين ، ومن كذب ناسياً ، أو جاهلاً ، أو مخطئاً فلا إثم عليه ، وإن صدق عليه أنه كذب ، ويرى ابن حبان أنه لو لم يكن من معائب الكذب إلا أنه يجعل من الكاذب موطناً لعدم الثقة والتصديق حتى وإن صدق لكان أحرى بالخلق كافة لزوم التثبت بالصدق الدائم ، وإن الكذب يورث النسيان فمن كان كذلك كان كالمنادي على نفسه بالخزي في كل لحظة ، إذ أنه يئزى بالرأي ويفسده ، ويهوى بالمرء في الدارين . (٢)

(١) البخاري ، علم ٣٥/١ - ٣٦ ، مسلم ، زهد (٣٠٠٤) ٢٢٩٨/٤ -  
أبو داود ، علم (٣٦٥١) ٣٢٠/٣ - الترمذي ، مفتن (٢٢٥٧) ٥٢٤/٤  
وابن ماجة ، مقدمة (٣٠) ١٣/١ والدارمي ، مقدمة (٢٣٧) ٦٦/١ وأحمد ،  
 ٤٧/٢ ، ٨٣ ، ١٢٣ ، ومواطن عدة .

(٢) روضة العقلاء ، ص ٣٩ - ٤٠

ويمكن للتربية الاستفادة من التوجيهات التي أكد عليها ابن حبان فسي  
موضوع الكذب إن أنها تحاربه وترفض كل ما يمت لهذه الصفة السيئة بصلصة ،  
إن أن الكذب مرض خطير إن أصاب المعلم جعله يفسد في عمله ، وإن أصاب  
التلميذ جعله كسولا ، وقد يؤدى الكذب إلى حدوث التسرب والفش  
والخداع ، وانتشار الغش في المدرسة ، وإشاعة المعارف الخاطئة . ولقد  
بيننا في الفصل الماضي فائدة الصدق للعملية التربوية ، إن ينبغي أن نؤصل  
هذه القيمة الخلقية ونحارب الكذب في مناهجنا وفي تعاملنا ، ومن هنا نجد  
أن ابن حبان كان مصيبا في جعل الكذب صفة للحمق واللثام وهو سنة ملازمة  
للفشل ، إن أنها تسلب الاستقرار النفسي الذي تدعه التربية الإسلامية .

#### ٦- مسألة الناس :

المسألة: منقصة ومعيبة للمرء ، إن أنها عين البطالة ، والتقصص عن العمل  
لكسب العيش والاعتماد على بذل ماء الوجه للحصول عليه ، وهي مزرية بالمرء ،  
ومضرة بالمجتمع وإن المسألة منقوطة ولا يقدم عليها كريم . وفيما أخرج ابن  
حبان عن الزبير بن العوام - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - قال : ( لأن يأخذ أحدكم حبلأ فياتي بحزمة حطب فيبيعها ، خير  
لهم أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه ) (١) ويرى ابن حبان أن العاقل  
يجتنب المسألة على الأحوال كلها ، ولا يفكر فيها أبدا ، لأن الإفكار في  
العزم على السؤال يورث المرء مهانة في نفسه ، صحت من رتبته ، وهضم  
التفكير فيها عز للنفس ورفعته للقدر . والعاقل يتعفف في نفسه ، ويلزم كريم

(١) روضة العقلاء ، ص ١٢٣ ، والحديث رواه البخاري ، زكاة ١٢٩/٢ -  
والنسائي ، زكاة (٨٢) ٧٠/٥ ، وابن ماجه ، زكاة (١٨٣٦) ٥٨٨/١  
ومالك ، صدقة (١٠) ٩٩٨/٢ - وأحمد ، ١٦٤/١ ، ١٦٧ ،  
٤٩٥ ، ٤١٨ ، ٣٠٠ ، ٢٥٧ ، ٢٤٨/٢

الخصال ، ولا يسأل حاجته إلا من أهلها لأن قوت حاجته خير من طلبها إلى غير أهلها ، ومن طلب حاجته ممن ليس أهلها حط من قدره ، ورفع المستول ، والهّم بالسؤال نصف الهرم ، فكيف بمباشرته ؟ ومن عزت عليه نفسه صغرت الدنيا في عينه ، ولا ينبل الرجل حتى يتعفف عما فسي أيدي الناس ، والسؤال من الإخوان سلال ، ومن غيرهم منع ، ولا ينبغي للعاقل أن يسأل حاجته ممن يعظم في نظره ومن باب أولى عدم سؤال من يهون عليه رده ، والحاجة إلى الناس أبغض للحر من الموت ، والسؤال إذا أجيب عليه كان فيه ذل ، وإن لم يجب كان فيه ذل السؤال ، وذل الرد ، وتكفي مذلة النفس لأن تمنع الحر العاقل من السؤال ، ولو اضطره الأمر إلى استئاف التراب ، ومص القوي ، فلا يمد يده . ومن دفعه الوقت إلى السؤال فليسأل من يعلم أنه يقضي حاجته أو ذا سلطان لم يخرج في سؤاله ، كما لم يخرج في القبول إن أعطي من غير مسألة فمن استغنى بالله أغناه ، ومن طلب العزة فليطلبها من الله العزيز ، ومن طلبها من غيره لم ينل إلا المذلة ( ١ ) .

ومن اضطر إلى مسألة الخلق فليبادب بأداب الشرع ، فلا يبدى الفاقة إلا بصدق الحقيقة ويسأل بلطافة القول ، ويشكر لمن أعطي قل العطاء أو كثر ، ويدعو للمعطي ، وإن رده رجع بجميل العذر ، وترك الإلحاح في سؤاله ( ٢ ) لأن شدة الاجتهاد في الطلب ربما كانت سببا للمنع ، ولا يسأل إلا في ديار القوم ومنازلهم لا في المحافل والمساجد والملاء ، لأن في ذلك إخراج للطرفين . وكما يرى ابن حبان فإن كان المستول كريما وسئل في ناري قومه ، ولم يكن معه حينئذ ما يقضي به حاجة السائل أخرج وخجل ، أما اللثيم فسؤاله في سجده ، أو مجلسه أقضى للحاجة منه لأنه لا يعطي إلا طلبها للذكر والمحمدة في الناس ، وترك مسأله خير لأن إعطاه شين ، ومنعه

باساءة . ( ٣ ) +

( ١ ) روضة العقلاء ص ١٢٣ - ١٢٦

( ٢ ) الغزالي ، الأذب في الدين : ص ٣٩

( ٣ ) روضة العقلاء ص ٢٢٤

ولما كانت مسألة الناس عيياً ، ومذلة تحط من قدر الإنسان ، فقد أوجدت في كثير من البلدان جمعيات لمكافحة التسول لأن من قدر على العمل والكسب كان عليه الاجتهاد والكلي ليصون نفسه عن سوء ال الناس ، ومن عجز ولم يستطع كدّاً وجب له من مال الصدقة ، ما يستعين به على قضاء حوائجه وصيانة مروهته وكثيراً ما نجد أن هذه العادة يتخذها البعض حرفة ، رغم عدم حاجتهم ناسين أنهم بهذا يلقون الله وليس في وجوههم مزرعة لحم . ومسئولية التربية الإسلامية قريبة الأمة على العزة والكرامة وعدم دناءة النفس ، وواجب المدرسة أن تدعم في نفوس الناشئة حب العطاء والكرم والتصدق . كما أن بإمكان المدرسة تشجيع التعاون بين التلاميذ ، وإعطاء المحتاج والتعاون مع بعض المؤسسات الأخرى وإيجاد عمل للطالب المحتاج خلال بعض الساعات بعد الدراسة وفي أيام العطلات والإجازات وكذلك بإمكان التربية مساعدة الأمة جميعها بالوعظ والإرشاد في المساجد والمحافل والندوات المختلفة لتبين أهمية العمل ، وسوء المسألة ، وسن المؤسسات التي تلعب دوراً فعالاً في محاربة المسألة مكاتب العمل .

#### ٧- الغضب :

يرى ابن حبان أن سرعة الغضب من شيم الحمقى ، والابتعاد عنه من سمات العقلاء ، وهو بذر الندم ، إذ أن تركه قبل حدوثه أيسر من إصلاح نتائجه (١) والناس ليسوا سوا في ضبط أعصابهم فمنهم سريع الغضب سريع الهدوء ومنهم بطيء الغضب بطيء الهدوء ، ومنهم سريع الغضب بطيء الهدوء ، ومنهم بطيء الغضب سريع الهدوء . وأفضل هؤلاء من كظم غيظه (٢)

(١) روضة العقلاء ص ١١٨

(٢) الأصفهاني ، الذريعة ص ١٨٠

وقد امتدح الله سبحانه من كظم غيظه وعفا عن الناس ، ووصفهم بالمحسنين حيث قال تعالى : " وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " آل عمران / ١٣٤ وفي الحديث نفي القوة والشدة عن الغضبان ، لأنه يجزر معه من المعاصي وارتكاب الجرائم ما يندم عليه فاعله ، أخرج ابن حبان من حديث جابر - رضي الله عنه - قال : ( جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : علمني شيئاً يارسول الله أدخل به الجنة ، ولا تكثر عليّ لمعني اعقل ، قال : لا تغضب ) (١)

وينبغي ضبط النفس عن الغضب السريع الذي يخرج المرء عن عقله لا تفسد الأسباب ، والخلاص منه كما بين لنا الإسلام ، تارة بالوضوء ، وأخرى بالصلاة ، وثالثة بذكر الله ، وذكر الموت ، وقدرة الله على الانتقام ، هذه الأمور تخفف الغضب وتطفئ من ناره ، وفي الحديث ( إذا غضب أحكم فليتوضأ ، وفيه سيرواية : إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع ) (٢)

ويسرى ابن حبان أن الواجب على العاقل ذكر كسرة معاصيه ، مع تواتر حلم الله عنه ، وأن الله يشيب من يكثر غضبه وينعمه ، ويكفي هزيمة للغضب اقترانه بذهاب الرأي ، والغضبان لا يعذره أحد في طلاق ولا عتاق ومن غضب ولم يخرج غضبه إلى المكروه من القول والفعل لا شيء عليه ، مع أن تركه أولى . والجفاء غضب لا يخرج معه المرء إلى المعاصي ، ولا إلى الانتقام ، ولا يوجد أقبح من غضب اللئيم إذا قدر (٣) .

(١) روضة العقلاء ص ١١٧ ، ورواه البخاري ، أدب ٩٩ / ٣ - والترمذي ،

(٢٠٢٠) ٣٧١ / ٤ ومالك ، حسن الخلق (١١) ٩٠٦ / ٢ ، وأحمد ،

٧٥ / ٢ (٣٦٢٠) ، ومواطن هدة .

(٢) الرواية الأولى عند أحمد ٢٢٦ / ٤ ، والثانية ١٥٢ / ٥ ، وأبو داود ،

أدب (٤٧٨٣) ٢٤٩ / ٤ .

(٣) روضة العقلاء ص ١١٨ - ١٢٠ ، ١٤٨ .



ومن الغضب ما هو محمود ، ألا وهو الحماية للدين والوطن ، والمرض ، حماية للدفاع عن الحق ورد الظلم ، ومنه الغضب في المعارك وتعنيف المبتدعين .

هكذا نجد أن سرعة الغضب من الرذائل السلوكية التي حاربتها التربية الإسلامية ، وعملت على إزالتها من النفوس وفي الجانب الآخر قامت بتقوية عزائم الناشئة وبث روح الحماسة والفداء لديهم والثورة ضد الظلم والظلمة والدفاع عن الأمة وصيانتها من الهلاك .

ولقد نهى العربون المسلمون عن ضرب المعلم للمسيء من تلاميذه وهو غضبان إذ أن العقوبة لم تشرع في التربية الإسلامية للانتقام والتشفي ، كما ينبغي للمعلم أن لا يخرج غضبه إلى إساءة الألفاظ أمام المتعلمين إذ أن الفصل ليس مكاناً للتعذيب والقمع بل هو مكان للتأديب والتهديب ، ولذلك قال سحنون لمعلم ابنه محمد : ( لا تؤذ به إلا بالمدح ولطيف الكلام ، ليس هو ممن يؤذ بالضرب والتعنيف وإنني أرجو أن يكون نسيج وحده ، وفريد زمانه ، وأتركه على نحلتي ) (١) لهذا هو حال التهذيب والتربية في الإسلام والله اعلم .

#### ٨- الكبر :

الكبر عكس التواضع ، وهو من الأفعال السيئة المذمومة بالمرء . ومن سيئاته ما ذكره ابن حبان :

- أ - إن المتكبر معجب بنفسه ويرى لها الفضل على غيرها .
- ب - يزدري بالعالم ويستحقره ، وكفى بمن يستحقر مؤمناً طغياناً .
- ج - منازعة الله عز وجل في صفاته إذ الكبرياء والعظمة من صفات الله التي استأثر بها لنفسه فمن نازعه أحداها ألقاه في النار ، إلا أن يتفضل عليه برحمته . (٢) والكبرياء مدحها ، للكبير المتعال - سبحانه وتعالى - وذما في البشر ،

(١) محمد بن سحنون ، كتاب آداب المعلمين ص ١٥ - ١٦

(٢) روضة المقلام ص ٤٧

ولقد نهانا الله سبحانه عنه في مواضع عديدة في كتابه العزيز ، قال تعالى : " ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ، ولن تبلغ الجبال طولا " الإسراء / ٣٧ .  
 ووعد المتكبرين بالنار في قوله : " إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين " غافر / ٦٠ - وقال تعالى عن سب كعب بن لبيد : " قال : يا أيها الناس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين . قال أنا خير من نفسه خلقتني من نار ، وخلقته من طين " ص / ٧٥ - ٧٦ وفي السنة تهديد للمتكبرين ، عن ابن سعود - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ( لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ، وضله حسنة ؟ قال : إن الله جميل يحب الجمال - الكبر بطر الحق وغمط الناس ) ( ١ )

والباحث على الكبر نسيان نعمة الله وشكره ، وإذا نظر المرء إلى النعممة ولهي عن الشكر عليها ، نسي الذكر واشتغل عن الشكر ، وحل بالكبر فهذا من يبطر الحق ، وما يغمط الناس - الذي يعظم نفسه ويحقر غيره ، ويشعر بالاستغناء عن الناس ، وحاجتهم إليه فيستحسن فعله ويستقبح فعل غيره ، فإذا صغر قدر المرء تكبر ، وإذا بلغ قدرا أكبر استحيا من صغر الكبر لبطره الأصغر وإن كان قدره أكبر لتواضعه ، والكبر من صفات الحقير الذليل ، لأنه يريد من العباد ، ما أراد الله تعالى من الطاعة والتعظيم . ( ٢ ) وهو كصنيع فرعون ، والكبر أعجاب النفس ولزرا بالغير ، ويرى ابن حبان أن عجب المرء بنفسه أحد أسباب عقله ، ومن تكبر على من دونه ابتلي بالذلة لمن فوقه ، ومن العيب والخسران الافتخار بالآباء والأجداد ومحاسنهم مع ترك الامتثال لها والاقتداء بها مع العلم أنه لا يسود المرء إلا بعمل نفسه ، وليس بعمل غيره . ( ٣ )

( ١ ) رواه مسلم ، إيمان ( ٩١ ) / ١ / ٩٣ ، وأبو داود ، لباس ( ٤٠٩١ ) / ٤ / ٥٩ -

والترمذي ، بر ( ١٩٩٩ ) / ٤ / ٣٦١ .

( ٢ ) المحاسبي ، المسائل في أعمال القلوب والحوارج ص ٥٨ - ٥٩

( ٣ ) روضة العقلاء ، ص ٤٨ ، ٢٠٥

وعمدت التربية الإسلامية إلى محاربة هذه الرذيلة والعمل على تخليص الأمة منها لما لها من آثار سلبية وخصوصاً في المدرسة إذ أنها تؤدي إلى تنفير التلاميذ من الدراسة ، وإلى سوء علاقة أعضاء هيئة التدريس مع بعض ومـــــــع المدير ، وتؤدي إلى اضطرابات والمداوات ، والتربية الإسلامية إذ ترفضها الأحقاد ، وتؤدي إلى الاضطرابات والمداوات ، والتربية الإسلامية إذ ترفضها ترفضها بلين ورفق ، فهي - تعلم الأفراد المتعلمين - فضائل التواضع وتستفيد منها في محاربتها. الرذيلة الكبر ، فتعالجها بالإيمان الصحيح بكل ما أمرنا الله أن نؤمن به مع الإذعان له ، وتذكير المرء بنعمة الله عليه ، وقدرته على انتزاعها ، وعرض النصوص الشرعية التي تعنف المتكبر ، وتجعله ينظر في دواعي الكبر في نفسه ، فإن كان علمه ، فينبغي له تذكر أن هذا العلم لا يساوي ذرة أمام علم الله ، وإن كان نسبه ، فالكل لآدم وآدم من تراب ، وإن كان جماله ، فالجمال جمال الروح وحسن الخلق ، وإن كان ماله ، فليذكر فقره إلى الله وقدرته على إضاعته عنه وإن كان لسلطانه فالله هو الحاكم المسيطر أقوى وأكبر ولا ينفع عنده إلا التقوى . ( ١ )

ومن هنا نجد أن التربية الإسلامية تسعى جاهدة لإزالة العادات السيئة الذميمة التي تهدد بهدم كيان المجتمع وتفتيت وحدته ، وتطهر المجتمع من كل هذه السيئات وتعمل على استبدالها بالخير النافع من السمات التي تجعل من الأمة الإسلامية أمة عطاء وعمل وجد وتماسك وتحاب .

---

( ١ ) حسن أيوب ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ص ٦٢ - ٦٨

### (هـ) دور العقل في تحمل المسؤولية

لقد خلق الله الخلاق وحدد لكل منها خصائص ووظائف ومميزات ، فالجمادات لا تحس ولا تعقل ، ولا حياة فيها ، والنباتات فيها الحياة ، والحيوان يحس ويشعر ولا يعقل ، وهو مستر أينما كان ، وعالم الملائكة خلقهم الله سبحانه من نور وجباهم طبيعة العبادة والتسبيح الدائم ونزع عنهم الشهوات ، وخلق الجن والإنس ، وركب فيهم طبيعتي الخير والشر ، ومنحهم ما يميزون به بين الحق والباطل ، وطلب منهم أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئاً ، وخص الإنسان بعمارة الأرض وإصلاحها ، وإقامة حكم الله فيها وميزه بتبليغ الرسالة ، وخلق الجنة والنار لعباده ليسألهم عما علوا في الحياة الدنيا ليحاسبهم بعملهم ، والمسئولية أمانة استودعها مخلوقاته فعظمت عليهم ، ولم يستطع حملها إلا الإنسان ، وبها استخلفه الله في الأرض واثتمنه على أسرارها وعلمه كيف يحافظ على أمانته فطوى لمن أداها ونال بها رضا ربه سبحانه .

#### ١- المسئولية وأهميتها :

المسئولية أمر عظيم يدفع المرء إلى القيام بواجبه وهي لا تنحصر في القائد والمدير بل تشمل المعلم والمتعلم ، والآباء والأبناء ، وكل إنسان بعينه . . فكل امرئ مسئول عن نفسه ، وبيته ، ومحيط عمله ، مسئولية اجتماعية بحكم انتمائه إلى الجماعة ، ومسئول أمام الله عن أمانته ، وعن إيمانه ، وموقفه تجاه الدين ، وفي الحديث الذي أخرجه ابن حبان عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمر راع على رعيته ، ومسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت زوجها ، وهي مسئولة عنه ، والعبد راع على مال سيده وهو

مسئول عنه ) (١) يرى ابن حبان أن في النص تصريح بشمول المسؤولية لكل أفراد المجتمع ، إذ الواجب على الراعي لزوم التعاهد لرعيته ، فرعاة الناس العلماء ، وراعي الملوك العقل ، وراعي الصالحين التقوى ، وراعي التلميذ معلمه ، وكل موثمن عما في يده ، وعليه المحافظة على أمانته وأدائها على أحسن وجه ، وأكثر ما يجب تعاهد الرعية للملوك لأنهم أرفع الرعاة ، لنفاد أمرهم واجتماع السلطة في أيديهم فإذا لم يحتاطوا لرعيتهم مهتوا بها هلكوا وأهلكوا . (٢)

وكل إنسان مسئول عن نفسه ، فالمسلم مسئول عن طلب العلم بالقدر الذي فيه الإلزام لجميع أفراد الأمة ، ولا يقبل منه إلقاء اللوم على أسرته أو مجتمعه إذا أهملوا في تعليمه . (٣)

وكل مسلم مسئول عن أهله من الانحراف بتربيتهم التربية الحقة . قال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا . . . التحريم ٦ ، ومسئول عن إعالته وتعليمهم الشرع قال تعالى : وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا . طه / ١٣٢ . والمعلم مسئول عن تربية تلاميذه وتعليمهم بإخلاص وفق تعاليم الإسلام ، مسئول عن سلوكهم داخل المدرسة وخارجها ، لماله من سلطة على المتعلم .

(١) روضة العقلاء ٤ ص ٢٤٤ ، ورواه البخاري ، نكاح ١٤٦/٦ ، ومسلم ،

أمارة (١٨٢٩) ٣/١٤٥٩ ، وأبو داود ، أمارة (٢٩٢٨) ٣/١٣٠ -

والترمذي ، جهاد (١٢٠٥) ٤/٢٠٨ ، وأحمد ٥٤٠٥٤/٢٦ ،

١٠٨ ، ١١١ ، ١٢١ .

(٢) روضة العقلاء ص ٢٤٣

(٣) إسحق الفرغان ، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية والتعليم ص ٤٧

ولكى يكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً قوياً حمل الإسلام المسئولية للجميع عدا الصبي والمجنون ، وبإلقاء المسئولية على الجميع يحصل التوازن في المجتمع ، إذ أن كل فرد فيه يعلم أنه مؤاخذ ومحاسب عما تكسب يداه ، سواء كان ضرره على نفسه أو على أمته . إذن فلا بد من تلاقي جهود الأفراد والجماعات — الطاقات التنفيذية التي يملكها المسئولون ، فلكي يجهد الأمة ، دون مؤازرة القائد والمسئول عليه أن يعني بحال المسلمين فيعين من يرشد هم ويوجههم (١) وأعظم أمانة مسئولية المربي إذ أنه يملك أقوى ركيزة للأمة بعد دينها وهم أبنائها ، وهذه المسئولية لا يعطاها أي إنسان ، إذ أن مهنة التعليم قد امتنحها في عصرنا هذا من هم ليسوا أهلاً لها ، مما جعل الكثير يستبدل منهج العبد بمنهج الله ، ولا بد لمنهج الله من أن يقوم عليه من هو أهل له لينتشر ويعم فسي كل جزء من حياتنا ، والمسئولية التربوية بعكس المسئولية الإدارية إذ أنها ينبغي أن تعطى لمن يرغب فيها رغبة تدفعه إلى الاهتمام بها ، والحرص على إنجازها .

٢- الصفات الواجب توفرها في المعلم كما يراها بعض المربين المسلمين :  
لقد اهتمت التربية الإسلامية بإعداد المعلم اهتماماً بالغاً ، فشرط المربون شروطاً دقيقة في المعلم لم تشترطها النظم التربوية القديمة ولا الحديثة ، وذلك لأن المعلم المسلم يؤدى أمانة ويبلغ رسالة وهذا الأمر يتطلب اقتناع المرء في قرارة نفسه بعظم المسئولية الملقاة على عاتقه ، ومن ثم الالتزام التام بهذه الأمانة ، والتضحية والبذل والعطاء في سبيل القيام بحقها . وهذا أمر جعل مكانة المعلم المسلم أكثر وضوحاً ، وبالتالي جعل المربين يختارون المعلم

---

(١) محمد سعيد رمضان البوطي ، على طريق العودة إلى الإسلام ص ٢٥ -

بمواصفات معينة تفي بمتطلبات تبليغ الرسالة وأداء الأمانة ونصيحة الأمة .

إن ينبغي للمعلم أن يتحلى بجملة من الأخلاق الحميدة التي ذكرناها في آداب العالم الروحية والنفسية والاجتماعية . فهو فرد موثق على أفعاله ماتلك الأمة من ذخيرة ، ويده مفاتيح التحكم والسيطرة بحال المجتمع من خلال المتعلمين لذا فإن أهم ما يميز المعلم المسلم الإيمان الصحيح بكل ما أمرنا الله سبحانه أن نؤمن به ، لأن رسالة المعلم في المجتمع المسلم رسالة ربانية غايتها تنشئة التلاميذ على رقابة الله ، وعبادته وإخلاص العمل لله رجاء ثوابه والخوف من عقابه . (١) ومن منطلق رسالة المسلم في مجتمعه الذي تربطه بالله كل لحظة يعيشها ، وكذلك ينبغي للمعلم المسلم (الثقة بالإسلام كمنهج إلهي يعيش به ويعمل له ويصدر عنه ، ويسخر في سبيله كل ما يملك من وقت ، وجهد ، ومال وفكر ، ومحارب كل ما يسلبه جوهره ويحول به إلى قضية فكرية لا يترجمها عمل ولا سلوك) (٢) ليأسرع في تعليمه فمن صفات المعلم الخلقية الصبر على مشاق مهنة التعليم ، وعلى اعتياد سلوك معين بما يتخلله من إرهاق وتعب ومعاناة ، إذ أن الصبر يأتي كنتيجة طبيعية للإيمان بثواب الله على هذا العمل الجليل الذي يقوم به المعلم .

وكذلك الإخلاص والصدق إذ أنهما من عوامل نجاح المعلم ، فلا يكتسب علما عن متعلم ، ولا يتخرج من قول لا أدرى فيما لا أدرى ويلتزم الدقة في المواعيد ولا يتهاون فيها ، ويتواضع للمتعلمين ويخفض لهم جناحه ولين جانباه . ويحترمهم ويعظمهم فلا يتناد بهم إلا بأحب الأسماء إليهم التي فيها توقيدهم وترحب بهم ويكرمهم وسأل عن أحوالهم ويكر من الدعاء لهم ، ويحاول المعلم

(١) عبد الرحمن النعلاوي ، وآخرون / التربية وطرق التدريس ص ٢٠

(٢) كمال محمد عيسى / خصائص مدرسة النبوة ص ٧٣

مساعدة تلاميذه فيتفقد هم ، ويستفسر عن أحوال من يتغيب منهم ، فيزوره إن زاد عن المألوف في غيابه فيعوده إن مرض ، ويهون عليه إن حزن ، ويتفقد أهله ويتعرض لحوائجهم إن كان تلميذه مسافرا (١) . . . وغير ذلك من جملة الآداب التي تجعل من المعلم قدوة لتلاميذ ، ولا يكون قدوة إلا من اقتدى بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فإن المتعلم حينئذ يكون قد اقتدى بصاحب الشريعة - صلى الله عليه وسلم - المبلغ عن ربه .

ينبغي للمعلم المسلم الذي يتحمل المسئولية الاتصاف بجملة من الصفات العقلية منها : الذكاء والنباهة . فهو في حاجة إلى التعريف على قدرات المتعلمين ، ومدى طاقتهم ليستطيع بذلك معالجة المشكلات التي قد يفاقم بها ولا يمكنه تأجيلها . والمعلم يحتاج إلى جذب انتباه المتعلمين إليه وانتباهه إلى سلوكهم داخل الفصل بالإضافة إلى التفكير في موضوع الدرس والأسلوب الذي سيشرح به درسه ، والتوجيهات التربوية للمتعلمين (٢) وهذا الذكاء يحتاجه المعلم ليتمكن من ربط بعض الأمور والأشياء الموجودة في الحياة بموضوع الدرس ، وليستطيع التدليل والبرهنة والتشيل على الموضوع الذي يدرسه لتلاميذه . وهذا أيضا يتطلب من المعلم الإلمام بالاتجاهات الخاطئة القريبة إلى المتعلمين ، ويتطلب من المعلم أن يكون مزودا بخبرات كافية تمكنه من إدارة الدرس بهدوء ورفق ، وكذلك ينبغي أن يكون المعلم مستوعبا حقائق الإسلام ليتمكن ربط الأمور بمسببها وهو الله سبحانه وتعالى (٣) إذن لابد للمعلم من أن يكون لديه حصيلة علمية غزيرة في مادته التي سيقوم بتدريسها ، علاوة على درجة كبيرة من الثقافة الإسلامية العامة ، ليتمكن

- 
- (١) ابن جماعة في تذكرة السامع والمتكلم ص ٦٠ - ٦٥  
(٢) النحلاوي وآخرون في التربية وطرق التدريس ١٦/١  
(٣) عابد الهاشمي في طرق تدريس التربية الإسلامية ص ٢٧



من السير في الشرح أثناء الدرس ، والإجابة عن استفسارات المتعلمين جميعها بسرعة . ومن هنا لم يقبل المربون المسلمون بتقليد هذه الأمانة - التعليم - لقليل المعارف والخبرات . ( ١ )

## ( و ) خاتمة الفصل

المدرسة مجتمع مصغر تنعكس فيه قيم المجتمع الكبير والبادي\* التي يسير عليها . . وفي هذا الفصل ناقش الباحث مجموعة من المبادئ\* التي لا غنى عنها للمجتمع الفاضل ، وهذه هي تعلم الأدب وفحاحة اللسان ، والتعجب إلى الناس ومنع التهاجر بينهم ، والبشر والتبسم لجميع الناس والنصح لهم وكنم أسرارهم ، وجمع المال بالطرق المشروعة لمن يؤدى حقه ثم تحدث عن الكرم وصفات الكرم التي ترفع قدره من سخاء وقضاء لحوائج الناس واعطاء السائل وضيرها .

كما ناقش الباحث آداب الإسلام في تكوين العلاقات الخاصة المثلثة في الصداقة والأخوة ، فعرّفها وبين أهميتها ، وبين صفة الأصحاب في الإسلام من مؤلّفة ، ووفاء ، وزيارة بعضهم بعضاً ، وسهادة ، وقبول الاعتذار من المسيء وعدم التأثير بوشاية الواشي .

كما ناقش الباحث مجموعة من الآفات الاجتماعية التي أشار إليها ابن حبان مثل : الحرص على الدنيا ، والطمع ، والتجسس ، وسوء الظن ، والحسد والبغضاء ، والكذب والفجور ، وسألة الناس ، والغضب ، والكبر . وقد اختتم الفصل ببيان أهمية المسؤولية والصفات الواجب توافرها في المعلم الذي هو أهل لتحمل المسؤولية .

---

( ١ ) ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم ص ٤٦ ، ١١٤٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ

لاقت التربية العقلية اهتماما كبيرا من جميع الأمم ، وما يدل على ذلك تقسّم العلوم المختلفة فما من أمة إلا واعتنت بالتعليم ، وتنمية القدرات العقلية ، وتدريب المتعلمين على البحث والابتكار ، والتربية العقلية ضرورية للمسلم بحيث لا تقبل الأعمال من غير العاقل ، لأنّ العقل في الإسلام مناط التكليف . ولقد بحث علماء السلف في موضوع العقل من حيث أحكامه وحدوده ، ومجالاته ، وتنميته ، وركزوا على وظائفه . ذلك لأنّ الله سبحانه منح الإنسان العقل وأمره بالمحافظة عليه وتنمية قدراته ، واستعماله في الخير ، ومن هنا نجد أنّ ابن حبان وهو أحد علماء السلف الصالح - رضوان الله عليهم أجمعين - يفهم العقل فهماً شاملاً مركزاً على ثمراته ، والذي نستخلصه منه أنّ التربية العقلية هي التزام شرع الله في كل سلوك نقوم به ، لأنّ العقل هو العلم بسلوك الصواب واجتناب الخطأ ، والصواب في نظر المسلم ما أقرّه الشرع واستحسنه ، والخطأ ما رفضه الشرع وأبفضه ، ومن هنا فالتربية العقلية عند ابن حبان تربية سلوكيه ، وهذا لا ينبغي عنايته بالجانب النظري الذي يبنى عليه السلوك الصحيح .

والحديث عن التربية العقلية لا يتم بمعزل عن النواحي الأخرى كالروحية والجسمية وغيرها ، فالإنسان عندما يفكر بعقله لا يفكر إلا ليهتدي إلى أمر معين ، والمسلم يفكر في الأمور لتدله على عظمة الخالق ، ويفعل كل ما يربطه بالله سبحانه وتعالى ، فهو على سبيل المثال عندما يتوضأ يحسن الوضوء ابتغاء مرضاة الله ، وأما في ثوابه ، وفي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن ففسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء . فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء . فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب ) . ( ١ )

---

( ١ ) رواه مسلم ، طهارة ( ٢٤٤ ) ٢١٥ / ١ - ومالك ، طهارة ٣٢ / ١ ، والترمذي ، طهارة ( ٢ ) ٦ / ١ ورواية مالك والترمذي إلى نهاية غسل اليد .

والتربية الإسلامية واحدة المصدر ، وهو الوحي الإلهي ، ولقد استخدمت هذه التربية جميع وسائل المعرفة من عقل وحواشٍ ، وللهام وحس ، وراعت جميع جوانب شخصية الإنسان ، وهي مرتبطة بمصدرها ومشروعها مما يضيء عليها صفات الشمول والتكامل والتوازن . . . وغيرها .

والتربية العقلية في روضة العقلاء تؤكد على الالتصاق بين العقل والخلق إذ أن ابن حبان يعتبر العقل هو التقيد بمكارم الأخلاق والسلوك الصحيح ، وفي رأيه هذا نجد على طرف النقيض من التربية البرجماتية التي تتحدث عن التربية العقلية بممزل عن الأخلاق ، فهي تجعل النقص في الأخلاق لا يساوي النقص في العقل (١) وهذا يخالف الحقيقة إذ أن الأخلاق من ثمرات العقل ، فالتربية العقلية في منهج الإسلام كما بينها ابن حبان تهتم بالآداب الروحية للمسلم من تقوى الله وتوكل عليه وصبر له ، والآداب النفسية من صدق ، وتواضع ، وقناعة . . . ونحوها ، وكذلك التربية العقلية الإسلامية تبلغ المسلم إلى إقامة المجتمع القوي المترابط فترشده إلى طريقة السلوك المستقيم داخل المجتمع والتعامل مع الآخرين ، وتوضح التربية العقلية للمسلم كيفية إقامة علاقة صداقة وتحافظ على أفراد المجتمع من العادات التي تضعف وحدتهم ، وترسم تصورا للمسئولية الفردية والجماعية في الحياة ، وتبين مدى مسئولية المعلم . ومن هنا نجد أن التربية العقلية في الإسلام تربية خلقية بالمعنى الأصح ، وليست عقلية نظرية بعيدة عن السلوك الحسن الذي يرضيه الإسلام ، فالعقل والشرع يتعاضان ، ولا يمكن أن يخالف العقل السليم أحكام الشرع ، والشرع لا يأمر إلا بالعدل والإحسان ، ولا يرشد إلا لما فيه خير الدنيا والآخرة . والشرع يشجع العلم واستخدام الطرق الدقيقة في البحث والاستدلال ، وللعقل عدة طرق في البحث ، والطريقة العلمية هي إحدى الطرائق العقلية والموضوعية تنطوي تحت هذا البحث إذ أنها من سمات الطريقة العلمية . لكن الباحث يريد أن ينبه إلى بعض القضايا :

الأولى : أن الإقرار بالطريقة العلمية كطريقة دقيقة للبحث لا يعني اتخاذها شألا يحتذى ، أو جعلها الطريقة المثلى . فالطريقة العلمية تصلح في مجالات معينة ، وهي لا تصلح بأي شكل من الأشكال لبحث بعض قضايا الإنسان .

أما الثانية : فهي العلمانية ، إذ أن التسليم بالطريقة العلمية لا يعني التسليم بالعلمانية وقبولها ، فالعلم طريقة في البحث أو محتوى معين ، أما العلمانية فهي اتجاه يقوم على أساس أن هذا الكون يسيّر نفسه بنفسه (١) وهذا الاتجاه ليس من العلم في شيء .

والثالثة : فهي قضية المبالغة في تأكيد أهمية الموضوعية ، والباحث لا يرفض الموضوعية إذا كانت تعني تحري الدقة والتعرف على وجهات النظر المختلفة ، ولكنه يرفضها حينما تعني أن يتخلى المرء عن عاطفته عندما تس المقيدة ، وهذه أمور غريبة ، إذ أن الإسلام لا يمنع تدخل العنصر الذاتي رغم منعه للتحيز والعصبية ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - قحّراً عيناه من شدة الغضب إذا مّسّ شرع الله أو خولف ، ومثال ذلك ما حدث عندما اختصم أنصاري ومهاجري فقال أحدهما يالأنصار ، وقال الآخر ياللمهاجرين فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : ( أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ) وكذلك الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يشورون دفاعاً عن دين الله .

هذا وتوجيه ابن حبان للتربية العقلية الوجهة السلوكية نابع من القرآن الكريم الذي أشارت آياته إلى السلوك القويم الذي يجب أن يصدر عن المسلم .

والمدارس في هذه الأيام مطالبة بالتركيز على الجانب التطبيقي للأخلاق الإسلامية أن مدارسنا في حاجة ماسة إلى الممارسات الفعلية للآداب الإسلامية التي تعلمها لأبنائها . لأن الاكتفاء بالقدر النظري من المعلومات الخلقية لا يفي بحاجات الأمة ولا يعدل من سلوكها ، وما دام العقل السليم يهتم بالسلوك الإنساني ولا يقتصر على وضع التنظيم النظري لهذا السلوك فلا بد من ترجمة

---

(١) الميداني / غزو في الصميم ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

هذا التنظيم فعليا ، وأن كثرة التحديات التي يلاقيها المسلمون اليوم تحتم عليهم إعادة النظر في مناهجهم ، وأنظمة تعليمهم بحيث يقوموا بالتركيز على تحويل الآداب والفضائل الخلقية التي رعى إليها الإسلام إلى واقع ، إذ أن القدوة لا تتحقق إلا بتصديق القلب واقتناعه بما ينادي به المسلمون ، وبالتالي العمل بالمبادي والمثل التي يرددونها .

ونحتاج في جميع مراحل التعليم إلى تحويل المدرسة إلى بيئة مصفرة تسير على الآداب والمبادي الخلقية التي أمرنا بها الله ، لنحقق المجتمع المثالي الكبير الذي نسعى لإيجاده في كل حين .

ولقد فطنت التربية الغربية حديثاً إلى أهمية هذا الجانب ، وأخذ الغربيون يدعون إلى ضرورة صياغة الأهداف التربوية صياغة سلوكية ، ويؤكد الباحث أن يؤكد على أن الأمة الإسلامية أولى من الأمم الأخرى في تقويم سلوكها وتطبيق ماتو من به .

- وأدعو الله أن يعز المسلمين بالتمسك بهديه سبحانه وتعالى .
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين .

فَهْوَ سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ

فهرست الآيات القرآنية

رقم الآية	رقم الصفحة	
		(٢) سورة البقرة رقمها (٢)
٤٤	٥٦	- أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون .
٦٧	٨٠	- .. قالوا : اتتخذنا هزوا قال : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين .
٧٣	٥٦	- .. كذلك يحيي الله الموتى ويريك آياته لعلكم تعقلون .
٧٥	٥٧	- .. وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه . . .
١٠٩	٢١٥	- و قد كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسداً . . .
١٥٣	١٢٤	- يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة . . .
١٥٦، ١٥٥	١٢٤	- ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع . . . الآيات
١٧٠	٨٣، ٥٧	- وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله . . . أو لو كان آباءهم لا يعقلون شيئاً . . .
١٧٧	١٧٩	- .. وآتى المال على حبه ذوي القربى . . .
١٨٨	١٧٠	- ولا تأكلوا أموالكم بهنكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام . . .
٢٥٤	١٧٨	- يا أيها الذين آمنوا انفقوا ما رزقناكم . . .
٢٥٦	٩٦	- لا إكراه في الدين . . .
٢٧٣	٨٠	- .. يحسبهم الجاهل أغنياً من التعفف . . .



٢- سورة آل عمران ورقمها (٣)

- خ
- .. كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ٧٩
- يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته .. ١٠٢
- .. واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء\* فألف بين قلوبكم... ١٠٣ ١٩٦ ، ١٩٣
- كنتم خير أمة أخرجت للناس ... ١١٠ ١٦٥ ، ٢
- .. قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . ١١٨ ٥٧
- .. والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ... ١٣٤ ٢٢٢
- قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ... ١٣٧ - ١٣٨ - ٧٤

- .. يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلین ١٥٤ ٨٢
- .. ولو كنتم قطا غليظ القلب لانفضوا من حولك... ١٥٩ ١٦٣

\*\*\*

٣- سورة النساء ورقمها (٤)

- وخلق الإنسان ضعيفا . ٢٨ ٦٦
- .. فإن تنازعتم في شئ\* فردوه إلى الله والرسول... ٥٩
- لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة... ١١٤ ١٣٠
- إنما الله إله واحد... ١٢١ ٩٥

\*\*\*

٤- سورة المائدة ورقمها (٥)

- .. إنما يتقبل الله من المتقين . ٢٧ ١١٧

\*\*\*

٥- سورة الأنعام ورقمها (٦)

- ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ... ٦ ٧٥-٧٤
- فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ٣٣ ٨٤
- ... قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون . ٥٠ ٨٣
- وإن قال إبراهيم لأبيه آزر . . . إلى قوله تعالى : إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئا وما أنا من المشركين . ٧٩-٧٤ ٧٥
- وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن . . . ١١٦ ٩٤

\*\*\*

٦- سورة الأعراف ورقمها (٧)

- وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها . . . ٢٨ ٨٣
- لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها . . . ١٧٩ ٨٣
- خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . ١٩٩ ١٨٢

\*\*\*

٧- سورة الأنفال ورقمها (٨)

- ..أنما أموالكم وأولادكم فتنة . . . ٢٨ ١٧٠
- واعلموا أنما غنمتم من شيء فله خصمه . . . ٤١ ١٧٢
- وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعا . . . ٦٣ ١٩٦ ، ١٩٣
- يآئنها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون . . . ٦٥-٦٦ ١٠٢

\*\*\*

٨- سورة التوبة ورقمها (٩)

١٧٢ ٦٠ - إنما الصدقات للفقراء والمساكين...

\*\*\*

٩- سورة الرعد ورقمها (١٣)

١٢١ ٢٨ - .. ألا بذكر الله تطمئن القلوب .

\*\*\*

١٠- سورة الحجر ورقمها (١٥)

١٤٣ ٨٨ - .. واخفض جناحك للمؤمنين .

\*\*\*

١١- سورة النحل ورقمها (١٦)

٨٣ ٤٣ - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

٧٢ ٤٩ - ولله يسجد مني السموات ومني الأرض من دابة...

٢١٧ ١٠٥ - إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون...

١٢٥ ١٢٧ - واصبرا وماصبرك إلا بالله...

\*\*\*

١٢- سورة الاسراء ورقمها (١٧)

١٨٣ ٣ - .. ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا...

٧٩ ١٥ - .. وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا .

١٢٦ ٣٧ - .. ولا تشرفي الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض...

٢ ٤٤ - .. وإن من شيء إلا يسبح بحمده...

١٠١ ٧٠ - ولقد كرّمنا بني آدم...

٩٢ ٨٥ - ويسألونك عن الروح...

\*\*\*

١٣- سورة الكهف ورقمها (١٨)

..فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ...  
~~..فمن كفر يرمي الله به ما يشاء على من لا يعلم ...~~  
~~١١٣ - ١١٠~~

\*\*\*

١٤- سورة مريم ورقمها (١٩)

- ولين منكم إلا واردها ...

\*\*\*

١٥- سورة طه ورقمها (٢٠)

- وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ...

\*\*\*

١٦- سورة الحج ورقمها (٢٢)

- .. ولينصرن الله من ينصره ...

- أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ...

\*\*\*

١٧- سورة المؤمنون ورقمها (٢٣)

- ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين .. إلى قوله

تعالى : فتبارك الله أحسن الخالقين

\*\*\*

١٨- سورة النور ورقمها (٢٤)

- ألم تر أن الله يسيح له من في السموات والأرض ...

\*\*\*

١٩- سورة الفرقان ورقمها (٢٥)

- أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون

- وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا

\*\*\*

\*\*\*

- ٢٠ - سورة النمل ورقمها (٢٧)
- .. رب أوزعني أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ ...
- .. صنع الله الذي أتقن كل شيء ...
- .. وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ...
- |    |     |
|----|-----|
| ١٩ | ر   |
| ٨٨ | ٦٢  |
| ٩٣ | ١٠٤ |

٢١ - سورة العنكبوت ورقمها (٢٩)

- .. ولقد تركنا منها آية لقوم يعقلون .
- .. وما يعقلها إلا العالمون .
- |    |    |
|----|----|
| ٣٥ | ٥٧ |
| ٤٣ | ٥٧ |

\*\*\*

٢٢ - سورة لقمان ورقمها (٣١)

- .. ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ...
- |    |     |
|----|-----|
| ١٢ | ١٨٣ |
|----|-----|

\*\*\*

٢٣ - سورة السجدة ورقمها (٣٢)

- .. وبدأ خلق الإنسان من طين .
- |   |     |
|---|-----|
| ٧ | ١٥٣ |
|---|-----|

\*\*\*

٢٤ - سورة الأحزاب ورقمها (٣٣)

- .. وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ...
- .. شا هدا ومبشرا ونذيرا ..
- وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءتنا ...
- |         |    |
|---------|----|
| ٥       | ز  |
| ٤٥ - ٤٦ | خ  |
| ٦٧      | ٨٤ |

\*\*\*

٢٥ - سورة سبا ورقمها (٣٤)

- ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق... ٦ ٩

\*\*\*

٢٦ - سورة فاطر ورقمها (٣٥)

- .. هل من خالق غير الله ؟ ... ٣ ٩٥

- .. إنما يخشى الله من عباده العلماء ... ٢٨ ١٠٧

\*\*\*

٢٧ - سورة يسن ورقمها (٣٦)

- .. إنا تطيرنا بكم لنن لهم لجنم ... ١٨-١٩ ٨٦

- .. ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ؟! ٦٢ ٥٧

- .. ومن نعمه ننكسه في الخلق أفلا يعقلون ؟! ٦٨ ٥٧

- .. إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.. ٨٢ ٩٣

\*\*\*

٢٨ - سورة ص ورقمها (٣٨)

- .. قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ... ٧٥-٧٦ ٢٢٣

\*\*\*

٢٩ - سورة الزمر ورقمها (٣٩)

- .. الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ... ١٨ ٩٦

- .. وإذا ذكر الله وحده أشتأزت قلوب الذين لا يؤمنون ... ٤٥ ٥

- .. ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم سودة ... ٦٠ ٢١٧

\*\*\*

٣٠ - سورة غافر ورقمها (٤٠)

- .. إن الله لا يهدي من هو سرف كذاب .. ٢٨ ٢١٧

- .. إن الذين يستكبرون عن عبادتي ... ٦٠ ٢٢٣

\*\*\*

٣١ - سورة فصلت ورقمها ( ٤١ )

- ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ...  
- سنريهم آياتنا في الآفاق ...

\*\*\*

٣٢ - سورة الشورى ورقمها ( ٤٢ )

- ليس كمثل شي \* وهو السميع البصير .  
- ويعلمون أنها الحق ...  
~~- وجعلنا سبيته سبيته ...~~

\*\*\*

٣٣ - سورة الزخرف ورقمها ( ٤٣ )

- بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم  
مهتدون ، وكذلك ما أرسلنا من قبل في قرية من نذير ...

\*\*\*

٣٤ - سورة الجاثية ورقمها ( ٤٥ )

- إنا في السموات والأرض لايات للمؤمنين ... إلى قوله  
تمالي : لقوم يعقلون .

\*\*\*

٣٥ - سورة الأحقاف ورقمها ( ٤٦ )

- ولكل درجات ما عملوا ...  
- ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا

\*\*\*

٣٦ - سورة الحجرات ورقمها ( ٤٩ )

- فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ...  
- إنما المؤمنون إخوة ...  
- يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ...

\*\*\*

٣٧ - سورة ق ورقمها (٥٠)

٦٣ ٣٧

- إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب...

\*\*\*

٣٨ - سورة الذاريات ورقمها (٥١)

٧٠ ٢١

- وفي أنفسكم أفلا تبصرون .

٩٥ ٥٦

- وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون -

\*\*\*

٣٩ - سورة النجم ورقمها (٥٣)

٩٤ ٣٠-٢٨

- وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن . . .

\*\*\*

٤٠ - سورة الرحمن ورقمها (٥٥)

١٥٥ ٤-١

- الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان .

\*\*\*

\*\*\*

٤١ - سورة المنافقون ورقمها (٦٣)

١٤٢-١٠١ ٨

- .. والله العزة ولسوله وللمؤمنين ...

\*\*\*

٤٢ - سورة التغابن ورقمها (٦٤)

١١٥ ١٦

- فاتقوا الله ما استطعتم . . .

\*\*\*



- ٤٣ - سورة الطلاق ورقمها (٦٥)  
 ..ومن يتوكل على الله فهو حسبه ...  
 \*\*\*  
 ٤٤ - سورة التحريم ورقمها (٦٦)  
 يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ...  
 \*\*\*  
 ٤٥ - سورة الملك ورقمها (٦٧)  
 وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير .  
 \*\*\*  
 ٤٦ - سورة الحاقة ورقمها (٦٩)  
 إنه كان لايوم من بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين .  
 \*\*\*  
 ٤٧ - سورة المدثر ورقمها (٧٤)  
 إنه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . إلى قوله تعالى : لا تبقي ولا تذر .  
 \*\*\*  
 ٤٨ - سورة النبا ورقمها (٧٨)  
 إن للمتقين مفازا .  
 \*\*\*  
 ٤٩ - سورة النازعات ورقمها (٧٩)  
 يسألونك عن الساعة أيان مرساها ...  
 \*\*\*  
 ٥٠ - سورة المطففين ورقمها (٨٣)  
 ..وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .  
 \*\*\*  
 ٥١ - سورة الطارق ورقمها (٨٦)  
 فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق ...  
 \*\*\*

١٢١ ٢

٢٤٧ ٦

٨٤٠ ١٠

١٧٧ ٣٤-٣٣

٨٥ ٢٨-١٨

٨٨ ٣١

٩٣ ٤٥-٤٢

٩١٦ ٢٦

٧١ ٧-٥

٥٢ - سورة البلد ورقمها (٩٠)

١٢٢ ٤ - لقد خلقنا الإنسان في كبد .

\*\*\*

٥٣ - سورة الضحى ورقمها ( ٩٣ )

١٧٩ ١٠ - وأما السائل فلا تنهر .

\*\*\*

٥٤ - سورة الإخلاص ورقمها ( ١١٢ )

٩٥ ٤-١ - قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . . .

\*\*\*

٥٥ - سورة الفلق ورقمها ( ١١٣ )

٢١٥ ٥-١ - قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . . .

\*\*\*

# فهرست الاجادیه

## فهرست الأحاديث الواردة في البحث

نص الحديث

الرقم	(حرف الألف)	رقم الصفحة
١-	أتى رجل فقال : يا رسول الله إنَّ لي قرابة أصلهم ويقطعونني . . .	١٨٢
٢-	اتقوا الله وصلّوا خمسكم . . .	١١٦
٣-	أجيبوا الداعي ولا تردوا الهدية . . .	٢٠١
٤-	إحسان أن تعبد الله كأنك تراه . . .	١٣٩
٥-	أخى - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين سلمان وأبي الدرداء . . .	١٩٣
٦-	أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمنكبي وقال : كن في الدنيا كأنك غريب . . .	١٤٥
٧-	إذا توضأ العبد المسلم . . .	٢٣٣
٨-	إذا غضب أحدكم فليتوضأ . . .	٢٢٢
٩-	إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء . . .	١٠٦
١٠-	الأرواح جنود مجنّدة . . .	١٨٨، ٢١
١١-	استعينوا على قضاء حوائجكم بكتمان السّر . . .	١٦٨
١٢-	إنَّ أول شيءٍ نهاني عنه ربي بعد . . . وملاحة الرجال . . .	١٩٤
١٣-	إنَّ رجلاً زار أخاه في قرية . . .	١٩٨
١٤-	إنَّ السلام اسم من أسماء الله . . .	١٦٣
١٥-	إنَّ الشمس والقمر آيتان . . . لا ينكسفان لموت أحد . . . ولا لحياة . . .	٨٧

الرقم	نص الحديث	رقم الصفحة
-١٦-	إِنَّ الْقُلُوبَ جَبِلَتْ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا . . . الحديث	٢٠١
-١٧-	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفَسَافَهَا .	٣١٠، ٢٨
-١٨-	إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةَ سَيَّارَةَ يَطُوفُونَ فِي الْأَرْضِ . . . الحديث	١٩٠
-١٩-	إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِوةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ . . . الحديث	١٤٠
-٢٠-	إِنَّ مِنْ أَشْرَافِ السَّاعَةِ أَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ الْعِلْمَ . . . الحديث	٨١
-٢١-	إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا .	١٥٥
-٢٢-	أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ ثُمَّ أَمَرَهُ فكَتَبَ مَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ	١٢٢
-٢٣-	إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ . . . الحديث	٢١٢، ٣٢
-٢٤-	إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ . . . الحديث	٢١٧

( حرف الهاء )

-٢٥-	بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آتِيَهُ . . . الحديث	خ
------	--	---

( حرف التاء )

-٢٦-	تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَسَكَّمْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا . . . الحديث	٩
------	--	---

( حرف الجيم )

-٢٧-	جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله . علمني عملاً إِنْ أَنَا عَمِلْتُهُ أَحْبَبَنِي اللَّهُ وَأَحْبَبَنِي النَّاسُ . . . الحديث	٢١٠
------	--	-----

الرقم	نص الحديث	رقم الصفحة
- ٢٨	جاء رجل الى النبي - صلى الله عليه وسلم فقال : علمني شيئاً يا رسول الله أدخل به الجنة . . . قال لا تفضب . . . الحديث .	٢٢٢

( حرف الدال )

- ٢٩	الدين النصيحة . . . الحديث .	١٦٥
------	------------------------------	-----

( حرف الراء )

- ٣٠	رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ . . . الحديث .	٦٥
------	--	----

( حرف الزين )

- ٣١	زرغباً تزدد حبا	١٩٩
------	-----------------	-----

( حرف السين )

- ٣٢	السخي قريب من الله قريب من الناس . . . الحديث	١٧٥
------	---	-----

( حرف العين )

- ٣٣	العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل : آية محكمة . . . الحديث	١١٣
- ٣٤	عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر . . . الحديث	١٢٨

الرقم	نص الحديث	رقم الصفحة
	( حرف الفاء )	
-٣٥	فضل العالم على العابد ... الحديث	١٠٦
	( حرف القاف )	
-٣٦	قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض... الحديث	١١٨
-٣٧	قيل يا رسول الله... أي الأعمال أفضل ؟ قال الجهاد... الحديث	١٤٦
-٣٨	قيل يا رسول الله... أي الناس أكرم قال : أكرمهم عند الله	
	اتقاهم ... الحديث .	١٧٢
	( حرف الكاف )	
-٣٩	كرم الرجل دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه	١٧٣، ٢٧
-٤٠	كل شيء يلهو به ابن آدم فهو باطل إلا ... الحديث	١٤٩
-٤١	كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ... الحديث	٢٢٦
	( حرف السلام )	
-٤٢	لا تباغضوا ولا تحاسدوا ... الحديث	( ٢١٥ ) ٣٦
-٤٣	لا تباغضوا ولا تنافسوا ... الحديث	( ١٦٠ )
-٤٤	لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ... الحديث	٢٠٩، ١٠٦
-٤٥	لا حلیم إلا ذو عشرة ولا حلیم إلا ذو تجربة	١٣٧، ٢٨
-٤٦	لا خير في صفة من لا يرى لك من الحق مثل ماترى له	١٩٧
-٤٧	لأنه يأخذ أحدكم حبلاً ... خير له من أن يسأل الناس ... الحديث	٢١٩

الرقم	نص الحديث	رقم الصفحة
٤٨	لا يحل لعلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال . . الحديث	١٦١
٤٩	لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر .	٢٢٣
٥٠	لا يدخل الجنة نمام .	٢٠٥
	(حرف الميم)	
٥١	ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا . . . الحديث	١٧٩
٥٢	ما كره الله منك فلا تفعله إذا خلوت .	١١٢
٥٣	ما من خارج يخرج من بيته يطلب العلم . . . الحديث	١٠٥
٥٤	ما نقصت صدقة من مال . . . الحديث	١٤٣
٥٥	مثل الجليس الصالح مثل العطار إن لم ينلك منه أصابك من ريحه . . . الحديث	١٩١ ٢٣٥
٥٦	مدارة الناس صدقة	١٥٩
٥٧	من أطلع في بيت قوم بغير إذنه . . . الحديث	٢١٢
٥٨	من اعتذر إلى أخيه فلم يقبل منه كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس	٢٠٤ ٢٣١
٥٩	من أعطي حظه من الرفق . . . الحديث	١٣٥
٦٠	من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار يوم القيامة .	خ
٦١	من كان يومئذ بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت	١٣٣
٦٢	من كان يومئذ بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . . . الحديث	١٨٠
٦٣	من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار .	٢١٨
٦٤	من لا يشكر الناس لا يشكر الله .	١٨٤
٦٥	من نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا . . . الحديث	١٧٩
	(حرف الواو)	
٦٦	وما أعطي أحد عطاءً أخيراً وأوسع من الصبر . .	١٢٥
	(حرف اليا)	
٦٧	يا أنجشة لا تكسر القوارير . . . الحديث	١٤٩



<u>للرقم</u>	<u>نص الحديث</u>	<u>رقم الصفحة</u>
٦٨	يا عمرو نعم! المال الصالح للعبد الصالح .	١٧٠
٦٩	يحرم على النار كل هين لين قريب سهل .	١٥٨٠٢٨
٧٠	يحبني الفأل . . . الحديث	٨٧
٧١	يهرم ابن آدم وتشب معه اثنتان الحرص والحسد .	٢٠٨

فائز المرحوم

قائمة المراجع

أولا : المراجع العربية :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - ابن الأثير الجزري ، عز الدين علي بن محمد  
اللباب في تهذيب الأنساب / بغداد : مكتبة المثنى ، د . ت ، ثلاثة أجزاء .
- ٣ - أحمد أمين  
ضمن الإسلام / الطبعة الأولى . - القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر  
سنة ١٩٣٦ م ، ثلاثة أجزاء .
- ٤ - . . . .
- ٥ - أحمد توفيق شاولي  
" الإنسان في القرآن الكريم / ضمن بحوث ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية . -  
مكة المكرمة : جامعة الملك عبد العزيز ، سنة ١٤٠٠ هـ ، ( ٣٧ ) صفحة .
- ٦ - أحمد حسن الزيات  
تاريخ الأدب العربي / الطبعة السادسة والعشرون . - بيروت : دار الثقافة ، د . ت .
- ٧ - أحمد الحوفي  
الحياة العربية من الشعر الجاهلي / الطبعة الرابعة . - القاهرة : مكتبة  
النهضة المصرية ، سنة ١٩٦٢ م .
- ٨ - أحمد شلبي  
تاريخ التربية الإسلامية / الطبعة السادسة . - القاهرة : مكتبة النهضة  
المصرية ، سنة ١٩٧٨ م .

- ٩ - أحمد عبد الرحمن إبراهيم  
الفضائل الخلقية في الإسلام / الرياض : دار العلوم ، سنة ١٩٨٢ م
- ١٠ - أحمد فكري  
ساجد القاهرة ومدارسها / القاهرة : دار المعارف ، سنة ١٩٦١ م ، جزآن
- ١١ - أحمد محمد عساف  
بغية الطالبين من إحياء علوم الدين (مختصر إحياء علوم الدين للغزالي) /  
الطبعة الأولى . - بيروت : دار إحياء العلوم ، سنة ١٤٠٠ هـ .
- ١٢ - إسحق أحمد الفرحان  
التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة / عمان : دار الفرقان للطباعة والنشر ،  
سنة ١٩٨٣ م الحسين بن محمد الراغب  
الذريعة إلى مكارم الشريعة / تعليق طه عبد الرؤوف سعد . - القاهرة : مكتبة  
الكليات الأزهرية ، سنة ١٣٩٣ هـ .
- ١٤ - ...  
فردات غريب القرآن / تحقيق محمد سيد كيلاني . - بيروت : دار المعرفة ،  
تصوير عن طبعة البابي الحلبي ، سنة ١٩٦١ م .
- ١٥ - الألباني ، محمد ناصر الدين  
سلسلة الأحاديث الصحيحة / الطبعة الثانية . - بيروت : المكتب الإسلامي ،  
سنة ١٣٧٨ هـ . . . أربعة أجزاء .
- ١٦ - الألباني محمد ناصر الدين  
سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة / الطبعة الثالثة . -  
بيروت : المكتب الإسلامي سنة ١٣٩٢ هـ . . ثلاثة أجزاء .
- ١٧ - .....  
صحيح الترغيب والترهيب / الطبعة الأولى . - بيروت : المكتب الإسلامي ،  
سنة ١٤٠٢ هـ . . .

١٨ - الألباني محمد ناصر الدين .

صحيح الجامع الصغير / الطبعة الأولى . - بيروت : المكتب الإسلامي ، سنة ١٣٨٨ هـ ، ستة أجزاء .

١٩ - ٥٥٥

ضعيف الجامع الصغير / الطبعة الثانية . - بيروت : المكتب الإسلامي ، سنة ١٣٩٩ هـ ، ستة أجزاء .

٢٠ - الألوسي ، محمود شكري

روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني / بيروت : دار الفكر ، سنة ١٣٩٨ هـ ، ثلاثون جزءاً

٢١ - الأهواني ، أحمد فؤاد

الثبوت في الإسلام / القاهرة : دار المعارف ، سنة ١٩٨٠ م .

٢٢ - ابن باديس ، عبد الحميد

في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير / جمع محمد الصالح رمضان - وتوفيق محمد شاهين . - الطبعة الثانية . - بيروت : دار الفكر ، سنة ١٩٧١ م .

٢٣ - ابن باز ، عبد العزيز بن عبد الله

نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع / الطبعة الرابعة . - بيروت : المكتب الإسلامي ، سنة ١٤٠٠ هـ .

٢٤ - البخاري ، الإمام محمد بن اسماعيل

الأدب المفرد / بيروت : دار الكتب العلمية ، تصوير عن طبعة سنة ١٣٤٩ هـ .

٢٥ - ٥٥٥٥

الجامع الصحيح / تركيا : المكتبة الإسلامية ، سنة ١٩٧٩ م ، ثمانية أجزاء .

٢٦ - البرسوي ، إسماعيل حقي

روح البيان في تفسير القرآن / تركيا - عثمان بيك : مطبعة سي ، سنة ١٩٢٨ م . عشرة أجزاء .

٢٧ - بروكلمان ، كارل

تاريخ الأدب العربي / تعريب عبد الحليم النجار . - الطبعة الرابعة . -  
القاهرة : دار المعارف - مصر ، سنة ١٩٧٧ م ، ستة أجزاء .

٢٨ - البستاني ، بطرس

دائرة المعارف / بيروت : دار المعارف سنة ١٣١٨ هـ ، أحد عشر جزءاً .

٢٩ - أبو بكر ابن العربي ، القاضي المالكي

أحكام القرآن / القاهرة : مطبعة السعادة ، سنة ١٣٣١ هـ ، جزآن .

٣٠ - ابن بلبان ، الأمير علاء الدين بن بلبان القارسي

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان / الأجزاء ( ١-٣ ) تحقيق عبد الرحمن محمد

ثمان . - الطبعة الأولى . - المدينة المنورة : المطبعة السلفية ، سنة ١٣٩٠ هـ . -  
وماقى الأجزاء مخطوطة مكتبة الحرم المكي وجامعة أم القرى .

٣١ - البوطي ، محمد سعيد رمضان

على طريق العودة إلى الإسلام / الطبعة الأولى . - بيروت : مؤسسة الرسالة ،  
سنة ١٤٠١ هـ .

٣٢ - البياض ، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي

أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، وهامشه : حاشية الشهاب الخفاجي " / بيروت :  
تصوير عن طبعة بولاق بمصر سنة ١٢٨٣ هـ ، ثمانية أجزاء .

٣٣ - الترمذي ، الإمام محمد بن عيسى بن سورة

الجامع الصحيح " سنن الترمذي " / تحقيق أحمد شاكر ( ١-٢ ) ، ومحمد فؤاد

عبد الباقي ( ٣-٤ ) وإبراهيم عطوة عوض ( ٥ ) . - القاهرة : البابي الحلبي سنة

١٣٥٦ هـ - ١٣٨٥ هـ . ، خمسة أجزاء .

٣٤ - ابن تغري بردي ، يوسف

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / القاهرة : المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة ، سنة ١٩٦٣ م ، ستة عشر جزءاً .

- ٣٥ - ابن تيمية ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم  
الإيمان / الطبعة الثالثة . - بيروت : المكتب الإسلامي ، سنة ١٩٧٩ م .
- ٣٦ - درة تعارض العقل والنقل / تحقيق محمد رشاد سالم . - القاهرة : دار الكتب  
سنة ١٩٧١ م . سبعة أجزاء
- ٣٧ - ...
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية / الرباط : مكتبة المعارف ،  
سنة ١٣٨٩ هـ ، سبعة وثلاثون جزءاً
- ٣٨ - ...
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان / الرياض : مكتبة المعارف ، سنة  
١٩٨٢ م .
- ٣٩ - الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر
- البخلا / بيروت : دار احياء التراث العربي ، د . ت .
- ٤٠ - ...
- رسائل الجاحظ / تحقيق عبد السلام هارون . - القاهرة :  
مكتبة الخانجي ، سنة ١٩٦٤ م ، أربعة أجزاء .
- ٤١ - جامعة الملك عبد العزيز - كلية التربية  
بحوث ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية / مكة المكرمة : سنة ١٤٠٠ هـ .
- ٤٢ - الجرجاني ، الشريف علي بن محمد
- التعريفات / الطبعة الاولى . - بيروت : دار الكتب العلمية ، سنة ١٩٨٣ م .
- ٤٣ - الجزائري ، أبو بكر جابر
- العلم والعلماء / جدة : دار الشروق ، سنة ١٤٠٣ هـ
- ٤٤ - ابن جزي ، محمد بن أحمد الكلبي الفرناطي  
التسهيل لعلوم التنزيل ، تحقيق محمد عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوة عوض . -  
القاهرة : دار الكتب الحديثة ، سنة ١٩٨٣ م ، أربعة أجزاء .
- ٤٥ - ابن جماعة الكناني ، بدر الدين بن إبراهيم بن سعد الله  
تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم / بيروت : دار الكتب العلمية ،  
تصوير عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٥٤ هـ

- ٤٦- ابن جنيد ، سعد بن عبد الله  
أصول التربية الإسلامية مقارنة مع نظريات أخرى / الرياض : دار العلوم ، سنة ١٩٨١ م.
- ٤٧- ابن الجوزي ، الإمام أبو الفرج عبد الرحمن  
الأذكار / بيروت : مكتبة الغزالي ، د . ت .
- ٤٨- ...  
سيرة عمر بن عبد العزيز / بيروت : دار الفكر ، د . ت .
- ٤٩- ...  
ذم اليهودي / تحقيق مصطفى عبد الواحد - مراجعة الشيخ محمد الغزالي - .  
الطبعة الأولى - . بيروت : د . ت . سنة ١٩٦٤ م .
- ٥٠- ...  
كتاب الموضوعات / تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان - . الطبعة الثانية - . بيروت :  
دار الفكر ، سنة ١٤٠٣ هـ ، ثلاثة أجزاء .
- ٥١- ...  
مناقب الإمام أحمد بن حنبل / القاهرة : مكتبة الخانجي . سنة ١٣٤٩ هـ .
- ٥٢- الجوهرى ، إسماعيل بن حماد  
الصاحح - تاج اللغة وصحاح العربية / تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - .  
الطبعة الثالثة - . القاهرة : د . ت . سنة ١٩٨٢ م . ستة أجزاء .
- ٥٣- البويني ، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك .  
البرهان في أصول الفقه / تحقيق عبد العظيم الديب . - الطبعة الثانية . -  
القاهرة : دار الانصار ، سنة ١٤٠٢ هـ ، جزآن .
- ٥٤- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، الملا كاتب الجلبي  
كشف الظنون / بيروت : دار الفكر ، سنة ١٩٨٢ م . ستة أجزاء .
- ٥٥- الحاكم ، الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري  
المستدرک علی الصحیحین فی الحديث وذي له " تلخيص المستدرک للإمام  
الذهبي " / بيروت : : دار الفكر ، سنة ١٣٩٨ هـ ، أربعة أجزاء .



- ٥٦- ابن حبان ، الإمام أبو حاتم محمد بن حبان البستي  
روضة العقلاء ونزهة الفضلاء / تصحيح مصطفى السفا . - الطبعة الأولى . -  
القاهرة : مطبعة الباي الحلبي ، سنة ١٣٧٤ هـ .
- ٥٧- ...  
كتاب الثقات / الهند : دار المعارف العشمانية بحيدرآباد ، سنة ١٩٧٣ م -  
... ، تسعة أجزاء .
- ٥٨- ...  
كتاب السجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين / تحقيق محمد إبراهيم  
زايد . - حلب : دار الوحي ، سنة ١٣٩٦ هـ ، ثلاثة أجزاء .
- ٥٩- ابن حزم ، الإمام علي بن أحمد بن سعيد  
الأخلاق والسير في مداواة النفوس / الطبعة الثالثة . - بيروت : دار  
الآفاق الجديدة ، سنة ١٤٠٠ هـ .
- ٦٠- حسن أيوب  
السلوك الاجتماعي في الإسلام / الطبعة الرابعة . - بيروت : دار الندوة الجديدة ،  
سنة ١٤٠٣ هـ .
- ٦١- حسن عبد المال  
التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري / الطبعة الأولى . - القاهرة :  
دار الفكر العربي ، سنة ١٩٧٨ م .
- ٦٢- حسين بانبيلق  
ابن خلدون وتراثه التربوي / الطبعة الأولى . - بيروت : دار الكتاب  
المصري ، سنة ١٤٠٤ هـ .
- ٦٣- الحميري ، محمد بن عبد المنعم  
الروض المعطار في خبر الأقطار / تحقيق إحسان عباس . - بيروت : مكتبة  
لبنان ، سنة ١٩٧٥ م .

- ٦٤ - ابن حنبل ، الإمام أحمد  
العلل / تركيا : جامعة أنقرة ، سنة ١٣٨٢ هـ . . .
- ٦٥ - . . .
- المسند (مسند الإمام أحمد) وبهامشه : " منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال " / الطبعة الثانية . - بيروت : دار الفكر والمكتب الاسلامي ، سنة ١٣٩٨ هـ ، ستة أجزاء .
- ٦٦ - الإمام أبو حنيفة النعمان  
العالم والمتعلم / تحقيق محمد رواس قلمجي ، عبد الوهاب الهندي الندوي . - الطبعة الأولى . - سوريا : مطبعة البلاغة بحلب ، سنة ١٩٧٢ م .
- ٦٧ - أبو حيان الأنديلسي الغرناطي  
التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط / الرياض : مطابع النصر الحديثة ، د . ت . ،  
تصوير عن طبعة دار السعادة ، بالقاهرة ، سنة ١٣٢٩ هـ ، ثمانية أجزاء .
- ٦٨ - الخرائطي ، محمد بن جعفر بن محمد بن سهل السامري  
مكارم الأخلاق ومعاليها / مراجعة عبد الله بن حجاج . - القاهرة : مكتبة  
السلام العالمية ، سنة ١٩٨٤ م ؟
- ٦٩ - الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي  
تاريخ بغداد " أو مدينة السلام " / بيروت : دار الكتاب العربي تصوير عن  
طبعة دار السعادة بمصر ، سنة ١٣٤٩ هـ ، أربعة عشر جزءا .
- ٧٠ - . . .
- الفقيه والمتفقه / تصحيح اسماعيل الأنصاري . - الطبعة الثانية . - بيروت :  
دار الكتب العلمية ، سنة ١٤٠٠ هـ ، جزآن .
- ٧١ - ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد  
المقدمة / القاهرة : دار الشعب ، د . ت .
- ٧٢ - ابن خلكان ، أحمد بن محمد  
وفيات الأعيان وأنباء الزمان / القاهرة : المطبعة الميمنية ، سنة ١٣١٠ هـ ،  
جزآن .

- ٧٣ - دائرة المعارف الإسلامية / تحرير مجموعة من أئمة السنتشرقين في العالم . - تعريب إبراهيم خورشيد وأحمد الشنتناوي وعبد الحميد يونس . - الطبعة الأولى . - القاهرة :
- ٧٤ - الداري ، الإمام عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام سنن الداري / تحقيق وتعليق عبد الله هاشم اليمني . - القاهرة : شركة الطباعة الفنية المتحدة ، سنة ١٣٨٦ هـ ، جزآن .
- ٧٥ - أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني سنن أبي داود / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . - الطبعة الثانية . - القاهرة : مطبعة السعادة ، سنة ١٣٦٩ هـ ، أربعة أجزاء .
- وتحقيق / عزت الدعاس . - حمص : نشر محمد علي السيد ، سنة ١٣٨٨ هـ ، خمسة أجزاء .
- ٧٦ - دراز ، محمد عبد الله نظرات في الإسلام / القاهرة : المكتب الفني للنشر ، د . ت .
- ٧٧ - ابن أبي الدنيا ، عبد الله بن محمد بن سفيان القرشي البغدادي كتاب مكارم الأخلاق / تحقيق جيمز . أبلبي . - فيسبادن : فرانزشتاينر ، سنة ١٣٩٣ هـ .
- ٧٨ - ابن الديبع ، عبد الرحمن بن علي الشيباني الشافعي تمييز الطبيب من الخبيث فيما يدور على السنة الناس من الحديث / الطبعة الأولى . - بيروت : دار الكتب العلمية ، سنة ١٤٠١ هـ .
- ٧٩ - ديوي ، جون . المبادئ الأخلاقية في التربية / تعريب عبد الفتاح السيد هلال . - القاهرة :
- الدار المصرية للتأليف والترجمة ، سنة ١٩٦٦ م .
- ٨٠ - الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد تاريخ الإسلام / القاهرة : مطبعة السعادة ، سنة ١٣٧٤ هـ ، خمسة أجزاء .

- ٨١ - تذكرة الحفاظ / بيروت : دار إحياء التراث العربي ، سنة ١٣٧٤ هـ
- ٨٢ - مبصّر عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند سنة ١٩٥٨ م
- سير أعلام النبلاء / مخطوطة - جامعة أم القرى ، المكتبة المركزية  
رقم (٢٢٤٢) .
- ٨٣ - .....  
ميزان الاعتدال / تحقيق علي محمد البجاوي . - بيروت : دار المعرفة .  
سنة ١٣٨٢ هـ ، أربعة أجزاء
- ٨٤ - الرازي ، محمد بن أبي بكر  
مختار الصحاح / بيروت : دار الكتب العربية ، د . ت .
- ٨٥ - الزاوي ، الطاهر أحمد  
ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة / الطبعة  
الثانية . - القاهرة : البابي الحلبي ، سنة ١٣٨٣ هـ ، أربعة أجزاء .
- ٨٦ - الزقاني ، محمد بن عبد الباقي  
مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة /  
تحقيق محمد لطفي الصباغ . - جدة : دار عكاظ . من منشورات مكتب التربية  
العربي لدول الخليج " ، سنة ١٤٠١ هـ .
- ٨٧ - الزركلي ، خير الدين .  
الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين  
والمستشرقين / الطبعة الخامسة . - بيروت : دار العلم للملايين ، سنة  
١٩٨٠ م ، ثمانية أجزاء .
- ٨٨ - الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر  
الكشاف عن حقائق التنزيل وبيان الآقاويل في وجوه التأويل / القاهرة :  
البابي الحلبي ، سنة ١٣٨٥ هـ ، أربعة أجزاء .
- ٨٩ - السبكي ، علي عبد الكافي تقي الدين  
طبقات الشافعية الكبرى / تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو . -  
القاهرة : البابي الحلبي ، سنة ١٣٨٤ هـ ، عشرة أجزاء .

- ٩٠ - السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن  
المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة / تعليق  
عبد الله محمد الصديق وعبد الوهاب عبد اللطيف . - القاهرة : مكتبة  
الخانجي ، سنة ١٣٧٥ هـ .
- ٩١ - ابن سحنون ، محمد بن عبد السلام (سحنون)  
كتاب آداب المعلمين / تحقيق حسن حسني عبد الوهاب . - الطبعة الثانية . -  
تونس : دار الكتب الشرقية ، سنة ١٣٩٢ هـ .
- ٩٢ - سزكين ، فؤاد  
تاريخ التراث العربي / تعريب رفهي أبو الفضل ومحمد فهي حجازي . -  
القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، سنة ١٩٧٧ م . . خسة  
أجزاء .
- ٩٣ - سعد ندا  
المسكر والمخدر جناية على العقل / مجلة الجامعة الإسلامية . - المدينة  
المنورة : العدد ٥٤ ، سنة ١٤٠٢ هـ ، ص ١٢٣ ، إلى ص ١٣١ .
- ٩٤ - سعيد إسماعيل علي  
معهد التعليم الإسلامي / القاهرة : دار الثقافة ، سنة ١٣٩٨ هـ .
- ٩٥ - السفاريني ، محمد بن أحمد  
غذاء الألباب بشرح منظومة الأرباب : مكة : مطبعة  
الحكومة ، سنة ١٣٩٣ هـ ، جزآن .
- ٩٦ - سفر عبد الرحمن الحوالي  
العلمانية - نشأتها وتطورها في الحياة الإسلامية المعاصرة / مكة : مركز البحث  
العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى ، سنة ١٤٠٢ هـ .
- ٩٧ - السلي ، محمد بن الحسين .  
طبقات الصوفية / تحقيق نور الدين شريعة . - القاهرة : الخانجي ، ١٩٦٩ م .
- ٩٨ - السمرقندي ، الفقيه أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم  
تنبيه الفافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين / تصحيح أحمد سلام . -  
الطبعة الأولى . - بيروت : دار الكتب العلمية ، سنة ١٤٠٣ هـ .

- ٩٩ - السمعاني ، عبد الكريم بن محمد  
الأنساب / الهند : دار المعارف العشمانية بحيدرآباد ، سنة ١٣٨٥ هـ ،  
ستة أجزاء .
- ١٠٠ - ابن السني ، أبو بكر أحمد بن محمد  
عمل اليوم والليلة / تحقيق عبد القادر عطا . - بيروت : دار المعرفة ، سنة  
١٣٩٩ هـ .
- ١٠١ - السهمي ، حمزة بن يوسف .  
تاريخ جرجان / إشراف محمد عبد المعين خان . - الطبعة الثالثة . -  
بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠١ هـ .
- ١٠٢ - سيد أحمد عثمان  
التعلم عند برهان الدين الزرنوجي / القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ،  
سنة ١٩٧٧ م .
- ١٠٣ - سيد سابق ، ومحمد عثمان عدلان  
" التربية العقلية الإسلامية " / ضمن بحوث ندوة خبراء أسس التربية  
الإسلامية . - مكة المكرمة : جامعة الملك عبد العزيز ، سنة ١٤٠٠ هـ  
( ١٤ ) صفحة .
- ١٠٤ - سيد قطب  
خصائص التصور الإسلامي / الطبعة السابعة . - بيروت : دار الشروق ،  
سنة ١٩٨٠ م .
- ١٠٥ -  
في ظلال القرآن / الطبعة الثامنة . - بيروت : دار الشروق ، سنة ١٩٧٩ م  
ستة أجزاء .
- ١٠٦ - ابن سينا ، أبو علي الحسين  
القانون في الطب / بيروت : دار صادر ، تصوير عن طبعة بولاق سنة ١٢٩٤ هـ  
، ثلاثة أجزاء .

- ١٠٧- السيوطي ، جلال الدين  
جامع الأحاديث للمسانيد والمراسيل / تحقيق صقر أحمد عباس ، وأحمد  
عبد الجواد ومحمد سعيد الحنبلي - دمشق طبعة الكتي ، سنة ١٩٢٩ م  
جزءان .
- ١٠٨- .....  
اللائي\* المصنوعة في الأحاديث الموضوعة / القاهرة: المكتبة التجارية-  
الكبرى ، د . ت ، جزءان .
- ١٠٩- بنت الشاطي\* ، عائشة عبد الرحمن  
الشخصية الإسلامية - دراسة قرآنية / الطبعة الثانية. - بيروت : دار العلم  
للملبيين ، سنة ١٩٧٢ م .
- ١١٠- الشاطي ، أبو إسحق إبراهيم اللخمي الفرناطي  
الموافقات في أصول الأحكام / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . -  
القاهرة : مطبعة صبيح ، سنة ١٩٦٩ م . أربعة أجزاء .
- ١١١- ابن شاعر الكتي ، محمد بن أحمد  
عيون التواريخ / مكة - جامعة أم القرى - مخطوط بمركز البحث العلمي رقم  
( ٩٨٤ ) .
- ١١٢- الشوكاني ، محمد بن علي  
الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة / تحقيق عبد الرحمن بن يحيى  
المعلمي اليمني. - الطبعة الثالثة . - بيروت : المكتب الإسلامي ، سنة  
١٤٠٢ هـ .
- ١١٣- صابر طعيمة  
المعرفة في منهج القرآن الكريم - دراسة في الدعوة والدعاة / بيروت : دار  
الحيل ، د . ت ،  
الصابوني ، محمد علي  
صفوة التفاسير / الطبعة الرابعة. - بيروت : دار القرآن الكريم سنة ١٩٨١ م ثلاثة أجزاء .
- ١١٥- مختصر تفسير ابن كثير / الطبعة السابعة بيروت : دار القرآن الكريم ، سنة  
١٩٨١ م ، ثلاثة أجزاء .

- ١١٦ - الصفدى ، صلاح الدين خليل بن أبيك  
كتاب الوافى بالوفيات / تصحيح وداد القاضي.. قيسبادن : دار النشر  
 فرانزشتاينر، سنة ١٣٨١هـ - ١٤٠١هـ، سبعة عشر جزءاً .
- ١١٧ - الطبراني ، سليمان بن أحمد  
المعجم الكبير / تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.. بغداد : وزارة الأوقاف  
 العراقية ، سنة ١٣٩٧هـ .. خمسة وعشرون جزءاً ناقصة من ١٣ - ١٦ ،  
 ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ .
- ١١٨ - الطبري ، محمد بن جرير  
جامع البيان في تفسير القرآن / تحقيق أحمد شاكر ومحمد شاكر .. القاهرة  
 دار المعارف ، سنة ١٣٧٤هـ - ثلاث عشرة جزءاً .
- ١١٩ - طه عبد السلام أبو خضير  
 "مبحث النبوات" نشر في أضواء على العقيدة الإسلامية والأخلاق / إعداد  
 لجنة من قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر .. الطبعة  
 الأولى .. القاهرة : مكتبة سعدي وشندي ، سنة ١٣٩٥هـ - سنة  
 ١٣٩٦هـ - ص ٧٦ - ١٠٩
- ١٢٠ - الطوسي ، نصير الدين  
آداب المتعلمين / جمع وتحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ونشره مع رسائل  
 أخرى .. الطبعة الثانية .. بيروت : د . ن ، سنة ١٣٨٦هـ .
- ١٢١ - عابد توفيق الهاشمي  
طرق تدريس التربية الإسلامية / الطبعة السابعة .. بيروت : مؤسسة  
 الرسالة ، سنة ١٤٠٣هـ .
- ١٢٢ - ابن عبد البر النعري القرطبي  
جامع بيان العلم وفضله / بيروت : دار الفكر ، د . ت ، جزءان
- ١٢٣ - عبد الحليم عويس  
المسلمون في معركة البقاء / القاهرة : دار الإهتمام ، سنة ١٩٧٩م



- ١٢٤ - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني  
غزو في الصميم / الطبعة الأولى . - دمشق : دار القلم ، سنة ١٤٠٢ هـ .
- ١٢٥ - عبد الرحمن عميرة  
منهج القرآن في تربية الرجال / جدة : دار عكاظ ، سنة ١٩٨١ م .
- ١٢٦ - عبد الرحمن النحلاوي  
التربية وطرق التدريس / تأليف عبد الرحمن النحلاوي ومحمد خير عرقسوس  
وعبد الكريم عثمان . - الرياض : الرئاسة العامة للكلية والمعاهد العلمية ،  
سنة ١٣٨٩ هـ ، جزآن .
- ١٢٧ - عبد العال سالم مكروم  
" مكانة العقل في الفكر الإسلامي " نشر في مجلة التضامن الإسلامي ،  
السنة ٣٦ - فبراير سنة ١٤٠٢ هـ ج ١٠ ص ٣٥ - ٤١ .
- ١٢٨ - عبد العزيز سيد الأهدل  
أسرار العبادات في الإسلام / بيروت : دار العلم للملايين ، سنة ١٩٧٢ م
- ١٢٩ - عبد الغني عهود  
في التربية الإسلامية / الطبعة الأولى . - القاهرة : دار الفكر العربي ،  
سنة ١٩٧٧ م .
- ١٣٠ - عبد الكريم الخطيب  
التفسير القرآني للقرآن / القاهرة : دار الفكر العربي سنة ١٣٨٦ هـ ثلاثون جزءا
- ١٣١ - عبد الله حسين  
التعليم العربي والجامعي / القاهرة : نشر مطابع التوفيق ، د . ت
- ١٣٢ - عبد الله عبد الرحيم العبادي  
من الآداب والأخلاق الإسلامية / الطبعة الثانية . - القاهرة : مطبعة  
السعادة ، سنة ١٤٠٠ هـ .

- ١٣٣ - عثمان جمعة ضميرية  
التصور الإسلامي للكون والحياة والانسان / القاهرة : مطبعة المدني سنة ١٩٦٢ م
- ١٣٤ - العجلوني ، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي  
كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأجداد على السنة الناس / تصحيح  
أحمد القلاش . - حلب : مكتبة التراث الإسلامي ، د . ت ، جزءان .
- ١٣٥ - عز الدين عتيق  
علم المعاني / بيروت : دار النهضة العربية ، سنة ١٩٧٤ م .
- ١٣٦ - العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر  
تهذيب التهذيب / بيروت : دار صادر ، تصوير عن طبعة الهند : دار  
المعارف العثمانية ، سنة ١٣٢٥ هـ .
- ١٣٧ - ...  
تقريب التهذيب / تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف . - الطبعة الثانية . -  
بيروت : دار المعرفة ، سنة ١٣٩٥ هـ ، جزءان .
- ١٣٨ - ...  
فتح الباري شرح صحيح البخاري / القاهرة : المطبعة الخيرية ، سنسنة  
١٣٢٥ هـ ، ثلاثة عشر جزءا .
- ١٣٩ - ...  
لسان الميزان / الطبعة الثانية . - بيروت : مؤسسة الأعلمي ، سنة ١٩٧٢ م  
سبعة أجزاء .
- ١٤٠ - ابن العماد الحنبلي  
شذرات الذهب في أخبار من ذهب / بيروت : المكتب التجاري ، د . ت ،  
ثمانية أجزاء .
- ١٤١ - عماد الدين خليل .  
التفسير الإسلامي للتاريخ / الطبعة الثانية . - بيروت : دار العلم للملايين ،  
سنة ١٩٧٨ م .

- ١٤٢ - عماد الدين خليل .  
حول إعادة تشكيل العقل المسلم / قطر : مطابع قطر الحديثة ، سنة ١٩٨٣ م .  
الكتاب الرابع من سلسلة كتاب الأمة التي تصدر في قطر .
- ١٤٣ - ...  
العقل المسلم والروية الحضارية / قطر : دار الحرمين للطباعة والنشر  
بالدوحة ، سنة ١٩٨٣ م .
- ١٤٤ - عمر محمد التوي الشيباني  
فلسفة التربية الإسلامية / ليبيا : الشركة العامة للنشر والإعلان والتوزيع ،  
سنة ١٩٧٥ م .
- ١٤٥ - الغزالي ، الإمام أبو حامد محمد بن محمد  
أحياء علوم الدين - وهامشه : " المغني عن حمل الأسفار في الأسفار للحافظ  
العراقي " / القاهرة طبعة الشعب ، د . م ، ستة عشر جزءاً .
- ١٤٦ - ...  
الأرب في الدين / تحقيق عبد الله أبو زينة . - الطبعة الرابعة . - القاهرة :  
دار الشروق ، سنة ١٩٨٣ م .
- ١٤٧ - ...  
مشكاة الأنوار / تحقيق أبو العلا عفيفي . - القاهرة : الدار القومية للنشر سنة ١٩٦٤ م .
- ١٤٨ - ...  
معارج القدس في مدارج معرفة النفس / تحقيق أبو العلا عفيفي - القاهرة : مكتبة  
الجندي ، سنة ١٩٦٨ م .
- ١٤٩ - الغزالي ، الإمام أبو حامد محمد بن محمد  
منطق تهافت الفلاسفة المسمى معيار العلم " / تحقيق سليمان دنيا . -  
القاهرة : دار المعارف ، سنة ١٩٦١ م .
- ١٥٠ - ...  
المنقذ من الضلال / تحقيق جميل صليبا وكامل عياد . - الطبعة  
الرابعة . - دمشق : مطبعة الترقى ، سنة ١٩٦٠ م .

- ١٥١ - الفزالي ، الامام أبو حامد محمد بن محمد .  
ميزان العمل / تحقيق سليمان دنيا . - القاهرة : دار المعارف بمصر ،  
سنة ١٩٦٤ م .
- ١٥٢ - ابن فارس ، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا  
معجم مقاييس اللغة / تحقيق عبدالسلام هارون . - الطبعة الثانية . -  
القاهرة : البابي الحلبي ، سنة ١٩٧١ م ستة أجزاء .
- ١٥٣ - الفتني ، محمد بن طاهر بن علي الهندي  
تذكرة الموضوعات ومذيلها " قانون الموضوعات والضعفاء للمؤلف " /  
الطبعة الثانية . - بيروت : دار إحياء التراث العربي . سنة ١٣٩٩ هـ
- ١٥٤ - الفخر الرازي  
مفاتيح الغيب - أو التفسير الكبير / القاهرة : المطبعة البهية المصرية ،  
سنة ١٩٣٨ م ، إثنان وثلاثون جزءاً .
- ١٥٥ - فهد الرومي  
منهج المدرسة الفعلية الحديثة : في تفسير القرآن الكريم / بيروت : مؤسسة  
الرسالة ، سنة ١٩٨١ م ، جزآن .
- ١٥٦ - فينكس ، فليب . ه .  
فلسفة التربية / تعريب محمد لبيب النجيجي . - القاهرة : دار النهضة  
العربية ، سنة ١٩٦٥ .
- ١٥٧ - القاري ، منلا علي  
الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة / تحقيق محمد لطفي الصباغ . - بيروت :  
دار القلم ، سنة ١٩٧١ م .
- ١٥٨ - ابن قدامة ، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن  
مختصر منهاج القاصدين / تحقيق زهير الشاوش . - الطبعة الرابعة . -  
بيروت : المكتب الإسلامي ، سنة ١٣٩٤ هـ .
- ١٥٩ - قدرى حافظ طوقان  
العلوم عند العرب / بيروت : دار القدس للطباعة ، د . ت .

- ١٦٠ - القزويني ، زكريا بن محمد  
آثار البلاد وأخبار العباد / بيروت : دار صادر ، سنة ١٩٦٠ م .
- ١٦١ - ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبي عبد الله محمد  
الروح / تعليق محمد اسكندر يلدا . - الطبعة الأولى . - بيروت : دار  
الكتب العلمية ، سنة ١٩٨٢ م .
- ١٦٢ - .....  
هدة الصابرين وذخيرة الشاكرين / الطبعة الرابعة . - بيروت : دارالافتاء  
الجديدة ، سنة ١٤٠٠ هـ
- ١٦٣ - ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي  
البداية والنهاية / الطبعة الثانية . - بيروت : مكتبة المعارف ، سنة ١٩٧٧ م  
أربعة عشر جزءاً .
- ١٦٤ - كمال محمد عيسى .  
خصائص مدرسة النبوة الطبعة الاولى . - جدة : دار الشروق ، سنة ١٤٠٢ هـ .
- ١٦٥ - أبو لبابة حسين  
التربية في السنة النبوية / الطبعة الثانية . - الرياض : دار اللواء ، سنة  
١٤٠٠ هـ .
- ١٦٦ - ابن اللحام الحنبلي  
المختصر في أصول الفقه / تحقيق محمد مظهر بقا . - دمشق : دار الفكر ،  
سنة ١٩٨٠ م .
- ١٦٧ - ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني  
سنن ابن ماجه / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . - الطبعة الأولى . - القاهرة :  
الباي الحلبي ، سنة ١٣٧٣ هـ ، جزءان .
- ١٦٨ - مالك بن أنس  
الموطأ / ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي . - القاهرة : الباي الحلبي ، سنة ١٩٥١ م  
جزءان .

- ١٦٩ - الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب البصري .  
أرب الدنيا والدين / الطبعة السادسة عشر . - بيروت : دار إحياء التراث  
العربي ، سنة ١٩٧٩ م .
- ١٧٠ - المحاسبي ، الحارث بن أسد  
الرعاية لحقوق الله / تحقيق عبد القادر عطا . - الطبعة الثالثة . - القاهرة :  
دار الكتب الحديثة ، سنة ١٣٩٠ هـ .
- ١٧١ - ...  
العقل وفهم القرآن / تحقيق حسين القوتلي . - الطبعة الثانية . - بيروت : دار  
الكندي ودار الفكر ، سنة ١٣٩٨ هـ .
- ١٧٢ - المحاسبي / الحارث بن أسد  
كتاب العلم / تحقيق محمد العابد مزالي . - الطبعة الأولى . - الجزائر  
وتونس : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، والدار التونسية للنشر ، سنة ١٩٧٥ م
- ١٧٣ - ...  
المسائل في أعمال القلوب والجوارح / تحقيق عبد القادر عطا . - القاهرة :  
عالم الكتب ، سنة ١٩٦٩ م .
- ١٧٤ - محمد أمان بن علي الجامي  
"العقل والنقل عند ابن رشد" ، نشر في مجلة الجامعة الإسلامية . - المدينة  
المنورة : العدد الأول ، سنة ١٣٩٨ هـ ، ص ١١٧ - ١٣٠
- ١٧٥ - محمد أمين المصري  
لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها / الطبعة الرابعة . - دمشق :  
دار الفكر ، سنة ١٩٧٨ م .
- ١٧٦ - محمد سعيد مبيض .  
الاداب الاجتماعية في الاسلام / قطر : الشئون الدينية ، سنة ١٤٠٢ هـ .
- ١٧٧ - محمد شديد .  
منهج القرآن في تربية الرجال / بيروت ، مؤسسة الرسالة ، سنة ١٤٠٢ هـ .

- ١٧٨ - محمد شفيق غربال  
الموسوعة العربية الميسرة / إشراف محمد شفيق غربال . - القاهرة : دار  
الشعب . - مؤسسة فرانكلين ، سنة ١٩٧٢ م .
- ١٧٩ - محمد صلاح الدين مجاور  
تدريس التربية الإسلامية - أسسه وتطبيقاته التربوية / الكويت : دار القلم ،  
سنة ١٩٧٦ م .
- ١٨٠ - محمد عبد الرحمن بيصار  
العقيدة والأخلاق / الطبعة الرابعة . - القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ،  
سنة ١٩٧٣ م .
- ١٨١ - محمد عبد الله أبو النجا  
علم أصول الفقه / الطبعة الخامسة . - القاهرة : مطبعة صبيح ، سنة ١٩٦٦ م .
- ١٨٢ - محمد عبده  
الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية / الطبعة السابعة . - القاهرة : دار  
النار ، سنة ١٩٦٧ م .
- ١٨٣ - محمد الغزالي .  
مشكلات في طريق الحياة الإسلامية / قطر : مطابع قطر الحديثة ، سنة ١٤٠١ هـ  
الكتاب الأول من سلسلة كتاب الأمة التي تصدر في قطر .
- ١٨٤ - محمد فريد وجدي  
دائرة معارف القرن العشرين / بيروت : دار الفكر سنة ١٣٩٩ ، عشرة أجزاء .
- ١٨٥ - محمد فهمي عبد الوهاب  
ورثة الكتاب . . أو رسالة العلماء / القاهرة : دار الاعتصام ، سنة ١٩٨٠ م .
- ١٨٦ - محمد قطب  
جاهلية القرن العشرين / بيروت : دار الشروق ، سنة ١٩٨٢ م .
- ١٨٧ - . . .  
منهج التربية الإسلامية / الطبعة الرابعة . - بيروت : دار الشروق ، سنة  
١٩٨٠ م . جزآن

- ١٨٨ - محمد المبارك .  
نظام الاسلام : العقيدة والعبادة / بيروت : دار الفكر ، سنة ١٩٨١ م .
- ١٨٩ - محمد محمود حجازي .  
التفسير الواضح / الطبعة الرابعة . - القاهرة : مطبعة الاستقلال الكبرى ،  
سنة ١٩٦٨ م ، ثلاثون جزءاً من في ثلاثة مجلدات .
- ١٩٠ - محمد منير مرسي .  
أصول التربية الثقافية والفلسفية / القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٧ م .
- ١٩١ - محمود عبد الوهاب فايد .  
التربية في كتاب الله / الطبعة الخامسة . - القاهرة : دار الإعتصام ،  
سنة ١٩٧٨ م .
- ١٩٢ - المركز العالمي للتعليم الإسلامي - جامعة أم القرى .  
توصيات المؤتمرات التعليمية الإسلامية العالمية الأربع / الطبعة الأولى . -  
مكة : جامعة أم القرى ، سنة ١٤٠٣ هـ .
- ١٩٣ - ابن مسكويه ، أحمد بن محمد .  
تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق / بيروت : دار الكتب العلمية ، سنة  
١٤٠٠ هـ .
- ١٩٤ - الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري .  
الجامع الصحيح " صحيح مسلم " / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . -  
القاهرة : البابي الحلبي ، سنة ١٣٧٤ هـ . خمسة أجزاء .
- ١٩٥ - مقداد بالجن .  
دور التربية الأخلاقية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية / القاهرة :  
دار الشرق ، سنة ١٩٨٣ م .
- ١٩٦ - المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله .  
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم / لندن : مطبعة بريل ، سنة ١٩٥٦ م .
- ١٩٧ - المناوي ، عبد الرؤوف .  
فيض القدير " شرح الجامع الصغير للسيوطي " / الطبعة الأولى . -  
القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، سنة ١٩٣٨ م ، ستة أجزاء .



- ١٩٨ - المنذري ، زكي الدين بن عبد العظيم بن عبد القوي  
الترغيب والترهيب / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . - الطبعة  
 الأولى . - القاهرة : مطبعة السعادة ، سنة ١٣٧٩ هـ . - أربعة  
 أجزاء .
- ١٩٩ - ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري  
لسان العرب / القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، تصوير عن طبعة  
 بولاق سنة ١٣٠٨ هـ عشرون جزءاً .
- ٢٠٠ - منير العرسي سرحان  
في اجتماعيات التربية / الطبعة الثانية . - القاهرة : مكتبة الأنجلو  
 المصرية ، سنة ١٩٧٨ م .
- ٢٠١ - المودودي ، أبو الأعلى  
المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم / جمع محمود مهدي الإستانبولي . -  
 الطبعة الثانية . - بيروت : المكتب الإسلامي ، سنة ١٩٨٢ م .
- ٢٠٢ - نادية جمال الدين  
فلسفة التربية عند إخوان الصفا / القاهرة : منشورات سمير أبو داود (المركز  
 العربي للصحافة) ، سنة ١٩٨٣ م .
- ٢٠٣ - النسائي ، أبو عبد الرحمن بن شعيب  
سنن النسائي "المجتبى" وبهامشة زهر الربيع للسيوطي / الطبعة الأولى . -  
 القاهرة : البابي الحلبي ، سنة ١٣٨٣ هـ ، ثمانية أجزاء .
- ٢٠٤ - نعمت صديقي  
نعمة القرآن / الطبعة الثانية . - القاهرة : عالم الكتب ، سنة ١٩٧٣ م .
- ٢٠٥ - أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني  
حلية الأولياء / الطبعة الأولى . - القاهرة : مطبعة السعادة ، سنة  
 ١٣٥١ هـ ٦ عشرة أجزاء .
- ٢٠٦ - النووي ، يحيى بن شرف  
رياض الصالحين / تحقيق عبد العزيز رباح . وأحمد يوسف الدقاق  
 وشعيب الأرناؤوط . - الطبعة الثالثة . - دمشق : دار المأمون  
 للتراث ، سنة ١٤٠٠ هـ .

- ٢٠٧ - ابن هشام ، عبد الملك  
السيرة النبوية / مراجعة طه عبد الرؤوف سعد . - القاهرة : مكتبة  
الكتابات الأزهرية ، ١٩٧٤ م ، أربعة أجزاء .
- ٢٠٨ - الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر  
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / الطبعة الثانية . - بيروت : دار الكتاب  
اللبناني ، سنة ١٩٦٧ م ، عشرة أجزاء .
- ٢٠٩ - .....  
وارد الظمان إلى زوائد ابن حبان / تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة . -  
بيروت : دار الكتب العلمية ، د . ت .
- ٢١٠ - ياقوت الرومي الحموي  
معجم البلدان / بيروت : دار أحياء التراث العربي ، د . ت ، خمسة  
أجزاء .
- ٢١١ - يوسف مصطفى القاضي  
تساؤلات ومقالات تربوية ونفسية / جدة : دار عكاظ ، سنة ١٩٨١ م .
- ٢١٢ - يوسف القرضاوي  
التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا / القاهرة : مكتبة وهبة ، سنة ١٩٧٩ م
- ٢١٣ - .....  
الصبر في القرآن الكريم / الطبعة الأولى . - القاهرة : مكتبة وهبة ،  
سنة ١٩٧٧ م .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

- 214- Good, Carter victor  
Dictionary of Education-Third Edition.- U.S.A.  
:McGrawHill Book Company, 1973.
- 215 - The New Encyclopaedia Britanica.- 15 Edition:-U.S.A.:  
William Benton publisher, 1975.Vol. IX
- 216- O'connor :  
    "TheNature and Scope of Educational Theory"  
    in New Essays in the Philosophy of Education.  
    Edited by G.Langford and:D.J,O'connor.- LONDON:  
    Rutledge and Kegan Paul,1978.PP.47-65
- 217- Oxford Advanced Learners Dictionary of Current English.  
3rd Edition.- LONDON : Oxford University Press, 1974.